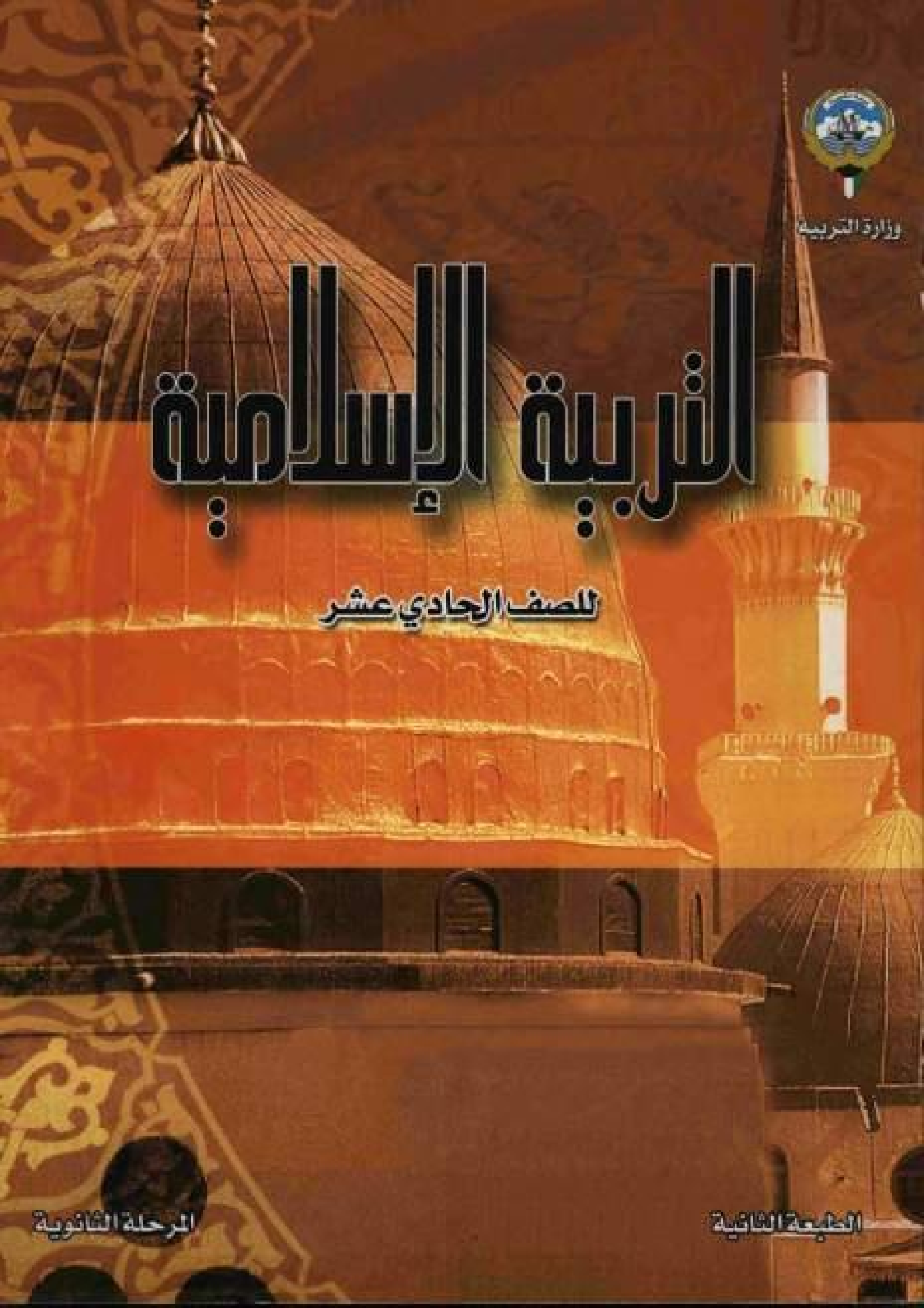
وزارة التربية
التربية الإسلامية
للصف الحادي عشر
الطبعة الثانية
المرحلة الثانوية

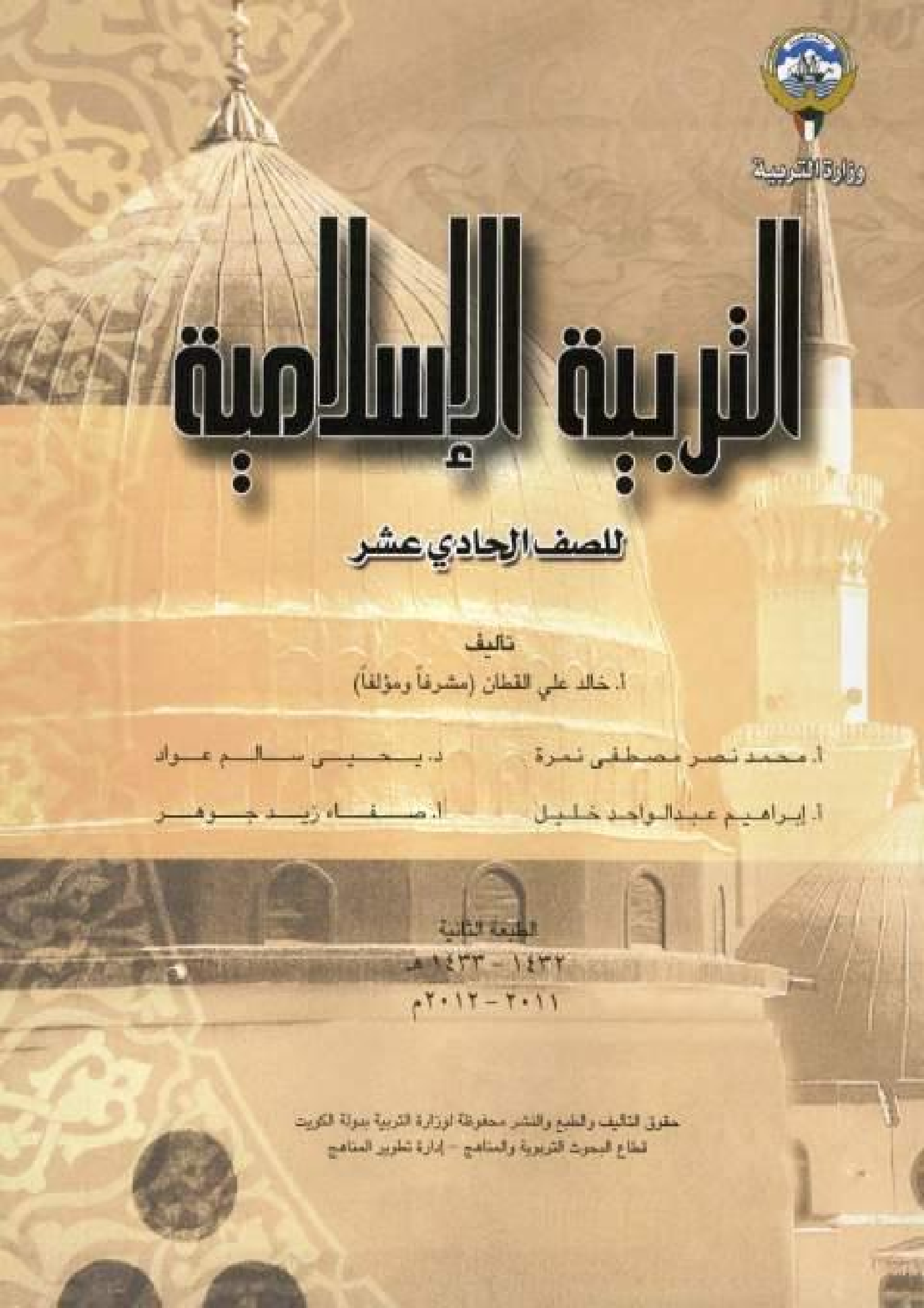

التربية الإسلامية

للصف الحادي عشر

تأليف

أ. خالد علي القطان (مشرفاً ومؤلفاً)

أ. محمد نصر مصطفى نمرة

د. يحيى سالم عواد

أ. إبراهيم عبدالواحد خليل

أ. صفاء زيد جوهر

الطبعة الثانية

١٤٣٢ - ١٤٣٣هـ

٢٠١١ - ٢٠١٢م

حقوق التأليف والطبع والنشر محفوظة لوزارة التربية بدولة الكويت

قطاع البحوث التربوية والمناهج - إدارة تطوير المناهج

الطبعة الأولى ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣م
٢٠٠٤ - ٢٠٠٥م
٢٠٠٦ - ٢٠٠٧م
الطبعة الثانية ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨م
٢٠٠٩ - ٢٠١٠م
٢٠١٠ - ٢٠١١م
٢٠١١ - ٢٠١٢م

لجنة مواءمة الكتب المدرسية للمرحلة الثانوية

أعضاء اللجنة

١ - خالد علي حسين القطان رئيساً

٢ - د. محمد علي الحمادي عضواً

٣ - د. عبدالرحمن صالح الجبران عضواً

٤ - أ. عبدالله محمد علي هلال عضواً

٥ - أ. عبداللطيف أحمد العمر عضواً

٦ - أ. جاسم محمد المسباح عضواً

٧ - أ. أحمد سعد المنيفي عضواً

إهداء خاص من
Y kuwait.net
منتديات ياكويت

تمت مواءمة الكتاب من قبل لجنة المواءمة بقرار
١٣٢٤٩ / ٢٠٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب السمو الشيخ صباح الأحمد الجابر الصباح

أمير دولة الكويت

سمو الشيخ نواف الأحمد الجابر الصباح

ولي عهد دولة الكويت

المحتوى

الدرس	الموضوع	الصفحة
	المقدمة	٧
	مقدمة لجنة المواءمة	٩
	(المفهوم الأول)	
	الإيمان بالغيب يزيد المؤمن هداية وتقوى	١١
الدرس الأول	الإيمان بالملائكة الأخيار	١٣
الدرس الثاني	الإيمان بالجن والشياطين	١٩
الدرس الثالث	الإيمان باليوم الآخر	٢٦
الدرس الرابع	الجنة والنار وأوصافهما	٣٥
الدرس الخامس	الإيمان بالقدر خيره وشره	٤٤
	(المفهوم الثاني)	
	اسس قيام المجتمع المسلم	٥٧
الدرس السادس	المجتمع المسلم تحكمه عقيدة واحدة	٥٩
الدرس السابع	قيام المجتمع المسلم على أسس من النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية	٦٢
الدرس الثامن	الإسلام يكفل لاتباعه الحرية والعمل والحماية	٧٠
الدرس التاسع	التكافل الاجتماعي نظام إسلامي	٧٨
	(المفهوم الثالث)	
	التناقض والتعارض في بعض القيم وانماط السلوك من سمات المجتمع المعاصر نتيجة التغير الاجتماعي	٨١
الدرس العاشر	التغير الاجتماعي أمر طبيعي في كل المجتمعات الإنسانية	٨٣
الدرس الحادي عشر	التعارض القائم بين الممارسات الاجتماعية وقيم الإسلام الثابتة ومبادئه	٨٨
الدرس الثاني عشر	القيم والسلوكيات المخالفة للسلوك الإسلامي وقيمه	٩٢
الدرس الثالث عشر	الإسلام هو الصورة المثلى لما ينبغي أن يكون عليه الفرد والمجتمع من قيم وانماط سلوك	٩٩

الدرس	الموضوع	الصفحة
	(المفهوم الرابع) **الإسلام يضع التشريعات ليعد الفرد للحياة الزوجية الناجحة، وينظم حياة المجتمع بتشريعاته للأسرة**	١٠٥
الدرس الرابع عشر	الزواج فطرة إنسانية	١٠٧
الدرس الخامس عشر	عوامل تحقق الاستقرار في الحياة الزوجية	١١١
الدرس السادس عشر	الزواج وأحكامه	١١٨
الدرس السابع عشر	حقوق كل من الزوجين على الآخر	١٢٩
	(المفهوم الخامس) **الإسلام يبيح الفرقة بالمعروف عند الاختلاف وتعذر الاتفاق**	١٣٧
الدرس الثامن عشر	لماذا أباح الإسلام الطلاق؟	١٣٩
الدرس التاسع عشر	الطلاق وأحكامه	١٤٣
الدرس العشرون	أحكام الفراق بغير لفظ الطلاق	١٥٠
الدرس الحادي والعشرون	أحكام لما بعد الطلاق	١٥٤
	(المفهوم السادس) **القرآن الكريم والسنة النبوية مصدر تربية المسلمين**	١٦١
الدرس الثاني والعشرون	الرسول «صلى الله عليه وسلم» قدوة المسلمين وخير المربين ...	١٦٣
الدرس الثالث والعشرون	الحج تربية عملية وتطبيقية لتشريع العبادات في الإسلام	١٦٩
الدرس الرابع والعشرون	**مواقف من حياة الصحابة الكرام – رضي الله عنهم –:**	
	أولاً – عمر بن الخطاب – رضي الله عنه	١٨٠
الدرس الخامس والعشرون	ثانياً – كعب بن مالك – شاعر العقيدة الإسلامية	١٨٥
الدرس السادس والعشرون	**صحابيات خالدات – رضي الله عنهن –:**	
	أولاً – فاطمة بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (سيدة نساء أهل الجنة)	١٩١
	ثانياً – السميراء بنت قيس – (الصابرة المجاهدة)	١٩٣
	أهم المراجع	١٩٦

المقدمة

بعد حمد الله تعالى، والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة والسلام على نبيه محمد «صلى الله عليه وسلم»... فإننا نقدم هذا الكتاب في التربية الإسلامية لأبنائنا وبناتنا متعلمي (الصف الحادي عشر).

وقد عالجنا موضوعاته بما ييسر للمتعلم فهم دينه، والوقوف على بعض جوانب الإيمان بالغيب حتى يزداد هداية ويقيناً، ويترسخ لديه التعلق بأهداف العقيدة الصافية من خلال التقريب لمفهوم الغيب، في إطار من التعمق في حقائق الإيمان بالملائكة الأخيار، والإيمان بالجن والشياطين، والإيمان باليوم الآخر وما فيه، والإيمان بالقدر خيره وشره، والجنة والنار وأوصافهما حتى يكتمل إيمانه، وتستقر عقيدته في ثنايا قلبه صافية نقية لا يشوبها شك، ولا يختلط بها ما يريب.

ثم كان للمجتمع المسلم وأسس قيامه نصيب من المعالجة، وبخاصة أنه تحكمه عقيدة واحدة، ونظم اجتماعية واقتصادية وسياسية متشابهة في ضوء ما يكفله الإسلام لأبنائه، وما يحوطهم به من قيم وأنماط سلوك إسلامية تراعي ما يطرأ عليهم من تغيّرات قد تتعارض مع قيم الإسلام الثابتة، ولن يجد الفرد إلا الصورة المثلى في الإسلام.

ولقد تناول الكتاب بعضاً مما وضعه الإسلام من تشريعات لإعداد الفرد للحياة الأسرية، وأبرز ذلك في عوامل الاستقرار لهذه الحياة بما أحاطها من حقوق وواجبات لكل من الزوجين على الآخر في إطار من الأحكام المشروعة والعادلة، حتى إذا تعثرت أو تعسرت الحياة الزوجية، فربما وجد الزوجان فرصة لتهدئة الخواطر وزوال المتاعب في الطلاق وتداعياته من العدة والنفقة والحضانة، والمبررات التي توصل الزوجين إلى كل ذلك.

وكان للقرآن الكريم والسنة النبوية قدرهما الكامل بما يتناسب وموضوعات الكتاب، وفي تحقيق القدوة الكاملة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتربيته للمسلمين، ونموذج من هذه القدوة لفريضة الحج وأعماله، على أنه تربية عملية وتطبيقية لتشريع العبادات في الإسلام.

ولم نجد بدًّا من معالجة نماذج من حياة الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - تبرز أثر تربية الرسول - صلى الله عليه وسلم - لهم، حتى يقف المتعلم على التطبيق التربوي لما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم بسبب تربية الرسول - صلى الله عليه وسلم - كقدوة تعيش بينهم.

وقد توخينا في علاج موضوعات الكتاب إطاراً يكشف الحقائق ويوضحها مما يدفع المتعلم إلى التعلق بهذه الحقائق، ويدقق في تصورها ويحرص على التفكير فيها، باحثاً منقباً بجهده الذاتي ليضيف الأثر والتأثير اللازمين للدور التربوي من دروس الكتاب.

وقد وفينا كل موضوع حقه من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة بما يكفل وقوف المتعلم على ما يتعلق بالموضوع من الكتاب والسنة، وراعينا أن يحفل علاج الموضوعات باللمحات التشريعية والتهذيبية.

كما انتقلنا من عرض الموضوعات بأسلوبها الكاشف إلى موجز لكل موضوع يقف أمامه المتعلم في حرص المؤمن على أن يلم بجوانب عقيدته، وعبادته وخلقه ومسلكه، ونيلنا كل موضوع بمناقشات تقويمية تعين المتعلم على قياس تحصيله، وتقويم جهده وفهمه، وتريه مدى قدرته على الفهم والاستنتاج والربط، وتوسع مداركه، وتدربه على مواجهة ما قد يعرض له في حياته الدراسية من مران على الإجابة عن الأسئلة، وتناول هذه الإجابة بالأسلوب السليم.

ونسأل الله تعالى أن يستفيد منه أبناؤنا، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير.

المؤلفون

مقدمة لجنة المواءمة

أخي المعلم، أختي المعلمة

بناءً على القرار الصادر بشأن تشكيل لجنة مواءمة كتب التربية الإسلامية مع السلم التعليمي الجديد ونظام التعليم الثانوي الموحد، وعملاً بسياسة الوزارة الرامية إلى تطوير المناهج الدراسية للوصول إلى تحقيق الأهداف العامة للتربية في دولة الكويت.

فقد حرصت لجنة مواءمة كتب التربية الإسلامية على مراجعة حقائق ومعلومات كل درس في كتاب المتعلم، (الصف الحادي عشر) وتحققت من تخريج النصوص والأدلة الواردة في كل درس، وتم رفع التكرار، وحذف بعض العبارات أو تعديلها حسب المطلوب، وإضافة ما يلزم من كلمات وعبارات، وذلك حرصاً على مصلحة المتعلم، وتسهيلاً للمادة العلمية عليه، كما تمّ وضع تمهيد لكل درس لتسهيل الدخول إلى حقائقه ومعلوماته، كذلك وضعت عناوين جانبية لإظهار المادة العلمية. والله الموفق.

الإيمان بالغيب يزيد المؤمن هداية وتقوى

وتتناوله الدروس الآتية:

الدرس الأول : الإيمان بالملائكة الأخيار

الدرس الثاني: الإيمان بالجن والشياطين

الدرس الثالث: الإيمان باليوم الآخر

الدرس الرابع: الجنة والنار وأوصافهما

الدرس الخامس: الإيمان بالقدر خيره وشره

الدرس الأول

الإيمان بالملائكة الأخيار

التمهيد:

لقد اصطُلح قديماً على تسمية ما غاب عنا بالسمعيات، لأن دليلها سمعي، ولما كان ما غاب وما لم يغب مسموعاً، فإن كلمة عالم الغيب أوسع دائرة مما اصطلح عليه بالسمعيات.

وكلمة الغيب وردت في القرآن الكريم ثمان وأربعين مرة في أربع وثلاثين سورة[1]، وأصل الغيب هو كل ما غاب عنك، فإن وراء هذه الدنيا التي نعيشها بحواسنا عالماً آخر يغيب عن هذه الحواس، فالغيب على هذا: هو ما غاب عن العباد، أو هو ما استأثر الله بعلمه.

قال الشاعر:

إنما الغيبُ كتابٌ صانه ... عن عيون الخلق ربُّ العالمينْ

ليس يبدُو منه للناس سوى ... صفحةِ الحاضر حيناً بعد حينْ

مفهوم الغيب:

فالمراد بالغيب أيضاً كل ما خفي علينا علمه ولا ينفذ فيه ابتداء إلا علْم اللطيف الخبير، وإنما الذي نعلمه منه هو ما أعلمنا إياه، أو أقام لنا دليلاً على معرفته، ولهذا لا يجوز أن يُطْلَق فيقال: فلان يعلم الغيب، لأنه لا يعلم الغيب إلا الله عالم الغيب والشهادة، قال تعالى:

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾[2].

والإيمان بالغيب الذي استأثر الله بعلمه من سمات الإنسان التقي النقي، ولذلك جعله الله تعالى من الصفات التي تميز المؤمنين، فقال سبحانه:

﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[3].

والذي استأثر الله بعلمه ويعتبر من عالم الغيب كثير، منه على سبيل المثال: الروح، والجنة، والنار، والبعث والحشر، والحساب، والجن والملائكة، وغير ذلك، وسنتناول فيما يأتي الحديث عن الملائكة الأخيار:

---

(١) وردت بصيغة (علّام الغيوب) في أربع سور أخر.

(٢) سورة الجن الآيتان ٢٦، ٢٧.

(٣) سورة البقرة الآيات من ١-٤.

مفهوم الملائكة:[1]

الملائكة عالم خلقه الله تعالى على حقيقة لا يعلمها إلا هو سبحانه، وهذا العالم من الملائكة ينفذ أمر الله تعالى تنفيذاً دقيقاً، قال الله – تعالى –:

﴿...لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2]

وطبيعتهم نورانية غير طبيعة البشر، وغير طبيعة الجان، وهم قادرون على التشكل بالأشكال الحسنة المختلفة، كما أنهم لا يوصفون بذكورة ولا بأنوثة، وهم لا يتزوجون، ولا يأكلون، ولا يشربون، ولا ينامون.

وجوب الإيمان بالملائكة:

يجب على كل مكلف شرعاً الإيمان بالملائكة، وذلك بأن يعتقد اعتقاداً جازماً بأنهم موجودون، قال الله – تعالى –:

﴿...وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[3].

وقال – تعالى –:

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[4].

وفي وصفهم قال الله – تعالى –:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[5].

وقال تعالى:

﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[6].

فهم لا ينامون ولا يكسلون عن عبادة الله أبداً، ولقد أنكر الله على الكفار وصفهم الملائكة بالأنوثة، وتوعدهم على ذلك، فقال تعالى:

﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾[7].

كما أن الذي يصفهم بالذكورة يعتبر كاذباً مفترياً، فإن الله تعالى لم يصفهم بذلك، وعلى هذا يجب الاعتقاد بأنهم لا يتزوجون ولا يتناسلون، ومن الافتراء على الله – تعالى – القول بأنهم يأكلون أو يشربون، فإن أمرهم غيبي لا يعلمه إلا الله – تعالى –، ولا يجوز لنا أن نصفهم إلا بما وصفهم الله – تعالى –.

---

(١) الملائكة: جمع ملاك، نقلت حركة الهمزة فيه إلى الساكن قبله، ثم حذفت الألف تخفيفاً فصارت ملكا وهو مشتق من كلمة الألوكة ومعناها الرسالة، والجمع: الايك أي ملائكة.

(٢) سورة التحريم من الآية رقم ٦.

(٣) سورة النساء من الآية رقم ١٣٦.

(٤) سورة البقرة الآية رقم ٢٨٥.

(٥) سورة الأنبياء الآيات من ٢٦–٢٨.

(٦) سورة الأنبياء الآيتان ١٩–٢٠.

(٧) سورة الزخرف الآية ١٩.

وظائف الملائكة:

الملائكة من المخلوقات التي لا نعرفها إلا عن طريق الوحي، وهم أنواع كثيرة، ويقومون بوظائف متعددة، جاء الحديث عنها في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، وسنذكر منها ما يأتي:

١ - إبلاغ الوحي: إن أهم الوظائف السامية التي حملت أمانتها الملائكة من أجل سعادة الإنسان إبلاغ الوحي إلى الرسل - عليهم السلام -، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وهذه مهمة جبريل - عليه السلام -، ويسمى روح القدس، ووصفه الله - تعالى - بالقوة والأمانة في قوله:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾[١].

وفي قوله تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾[٢].

وصح عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه رافقه في أعظم رحلة تمت في الوجود وهي إسراء النبي (صلى الله عليه وسلم) ومعراجه، فرافقه عليه السلام من مكة إلى المسجد الأقصى ومنه إلى سدرة المنتهى بالملكوت الأعلى.

٢ - ويقوم ميكائيل - عليه السلام - بوظيفته التي وكّله الله بها وهي المطر والنبات، ووظيفة إسرافيل - عليه السلام - التي وكله الله بها هي النفخ في الصور يوم القيامة، ووظيفة ملك الموت قبض الأرواح، وله أعوان من الملائكة لقوله - تعالى -:

﴿...حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[٣].

ومنهم رضوان (عليه السلام)، وعمله الذي يقوم به خزانة الجنة، وهناك خدم الجنة، وهم ملائكة لا يُحصي عددهم إلا الله - تعالى -، قال سبحانه:

﴿...وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[٤].

٣ - الزبانية: وهم تسعة عشر ملكاً وكّلهم الله تعالى بالنار، فهم خزنتها يقومون بتعذيب أهلها، قال الله - تعالى -:

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ۝ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ۝ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾[٥].

وكبيرهم يسمى مالك، قال تعالى في الحديث عن أهل النار:

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ۝ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾[٦].

٤ - حملة العرش: يحمل عرش الرحمن عزّ وجلّ أربعة، وإذا جاء يوم القيامة أضيف إليهم أربعة آخرون لقوله - تعالى -: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ...﴾[٧].

وقوله - تعالى -: ﴿...وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[٨].

٥ - العناية بشؤون المؤمنين: ومن وظائف الملائكة أيضاً أنهم يتولّون العناية بشؤون المؤمنين والصالحين من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم، ويلتمسون لهم الغفران والرحمة من لدن الله - تعالى -، يقول سبحانه:

---

(١) سورة التكوير الآيات من ١٩-٢١.
(٢) سورة الشعراء الآيات من ١٩٢-١٩٤.
(٣) سورة الأنعام من الآية ٦١.
(٤) سورة الرعد الآيتان ٢٣-٢٤.
(٥) سورة المدثر الآيات من ٢٦-٣١.
(٦) سورة الزخرف الآيتان ٧٧-٧٨.
(٧) سورة غافر من الآية ٧.
(٨) سورة الحاقة من الآية ١٧.

﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[1].

٦ - النزول للنصر والتأييد: ومن وظائف الملائكة الدالة على نورانيتهم في علاقتهم ببني آدم أن الملائكة تتنزل في وقت الشدة على المؤمنين لنصرتهم وتأييدهم في مواجهة أعدائهم، كما تتنزل عليهم لتزيل عن صدورهم المخاوف التي تعتريهم والأحزان التي تلم بهم في دنياهم وتبشرهم بالجنة التي وعدوا بها، يقول الله - تعالى -:

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[2].

ويقول تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ۝ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾[3].

٧ - الحفظة: وعملهم حفظ الإنسان وحمايته من الجان والشيطان، والعاهات والنوازل، قال - تعالى -:

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...﴾[4].

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) في تفسيرها: (ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه)، وقال مجاهد: (يحفظونه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام)[5].

٨ - الكرام الكاتبون: ووظيفتهم كتابة أعمال البشر، وإحصاؤها عليهم، فعلى يمين كل عبد مكلف ملك يكتب صالح أعماله، وعن يساره ملك يكتب سيئات عمله قال - تعالى -:

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[6].

٩ - أعمال أخرى: وهناك وظائف وأعمال أخرى للملائكة بعد أن تناولنا أكثرها، والمتتبع للآثار الواردة في أعمال الملائكة يتأكد له أن الكون كله قد أنيط أمر تدبيره بالملائكة كما جاء في كلمات من آيات قرآنية من مثل: «الصافات، الزاجرات، التازعات، الناشطات، المدبرات والمقسمات».

ونضيف أنَّ الملائكة ستتكلَّمُ يومَ القيامةِ أهل الباطل الذين عبدوا الملائكة من دون الله تعالى، وتعلن تنزيهه سبحانه عن أن يشرك به أحد في عبادته وحده، يقول الله - تعالى -:

---

(١) سورة غافر الآيات من ٧-٩.
(٢) سورة الأنفال الآية ١٢.
(٣) سورة فصلت الآيات من ٣٠-٣٢.
(٤) سورة الرعد من الآية ١١.
(٥) تفسير ابن كثير.
(٦) سورة الانفطار الآيات من ١٠-١٢.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾[1].

وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم):

«أطّت السماء، وحقّ لها أن تئطّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله»[2].

ثمرات الإيمان بالملائكة:

لقد رأيت - يا بني - فيما قدمناه أن الملائكة في عالم الغيب خَلْقٌ كريمٌ مِنْ خَلْقِ الله تعالى، ولهم وظائفُ سامية تجعلهم قوةً خَيِّرَةً في الكون، وجنداً للحق واليقين، وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله، وكراماً كاتبين، وهذا يعني أن علاقتهم بالبشر علاقة معنوية وثيقة طابعها الود والرحمة والعناية والحفظ والدعاء! الأمر الذي يجعل الملائكة أمناء بحق على الإنسان في كل أموره وأحواله، بل ثبت لنا أن الكون قد أنيط تدبيره إلى الملائكة. من أجل هذا كان حقاً على الإنسان أن يقدّر الملائكةَ حقَّ قدرهم، فيؤمن بهم، لأن الإيمان بهم تصديق لإيمانه بخالقه، وبرهان على صفاء نفسه، وثبوت برّها، وسموها إلى آفاق الكمال، وحين يعلم أنها تلازمه، وتسجل عليه أعماله، وترصد أقواله، وتراقب حركاته وسكناته، فإن عليه أن يلتزم أمر الله تعالى ويجتنب ما نهى عنه، ويحيا بالورع والحياء من الله، ويعيش ليعمل لدنياه كأنه يعيش أبداً، ويعمل لآخرته كأنه يموت غداً.

المسلم يعتقد:

- أن هناك عالماً من الغيبيات استأثر الله بعلمه.
- أن الإيمان بالغيب من الصفات التي تميز المؤمنين.
- أن الملائكة من عالم الغيب خلقهم الله على حقيقة يعلمها.
- أن الإيمان بوجود الملائكة يجب على كل مكلف شرعاً.
- أن للملائكة صفاتٍ متعددةً تختلف عن صفات الجن والإنس.
- أن للملائكة وظائفَ متنوعةً من أهمها إبلاغ الوحي إلى الرسل.
- أن المتتبع للآثار الواردة عن الملائكة يجدها تنطق بأن الله قد وكّل إليهم رعاية الكون والخلق.
- أن الملائكة أمناء على الإنسان في كل أموره وأحواله.
- أن هناك ثمراتٍ للإيمان بالملائكة، منها أنها تلازمه وتسجل عليه أقواله وأفعاله، وتجعله يراقب الله في جميع أعماله فيلتزم بما أمره ويبتعد عما نهى عنه.

---

(١) سورة سبأ الآيتان ٤٠-٤١.

(٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد ح٢٣١٢ وقال: حسن غريب.

التقويم

س١ – أجب عما يأتي:

أ – ما مفهوم الغيب؟ وما الفرق بينه وبين السمعيات؟

ب – بم تتصف الإنسان الذي يؤمن بالغيب؟ أيّد إجابتك بدليل من القرآن الكريم.

جـ – وضّح مفهوم الملائكة، وبيّن نوع طبيعتهم.

د – للملائكة أوصاف يختصون بها دون غيرهم. اذكر بعضاً منها.

هـ – ما حكم الإيمان بالملائكة؟ أيّد إجابتك بدليل من القرآن الكريم.

و – للملائكة الكرام وظائف متعددة يقومون بها – ناقش هذه العبارة في ضوء دراستك للموضوع.

س٢ – اذكر وظيفة كل ممن يأتي كما ورد ذكرها في القرآن الكريم:

– جبريل عليه السلام.

– خدم الجنة.

– الحفظة.

– الكرام الكاتبون.

س٣ – ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة فيما يأتي:

أ – الغيب: كل ما خفي علينا واستأثر الله بعلمه. ( )

ب – جبريل وميكائيل ومالك ورد ذكرهم في القرآن الكريم. ( )

جـ – الملائكة غير قادرين على التشكل في الأشكال الحسنة المختلفة. ( )

د – لا يجوز أن نصف الملائكة بغير ما وصفهم الله – تعالى –. ( )

هـ – عالم الغيب أعمّ وأشمل من عالم السمعيات والمرئيات. ( )

س٤ – علل ما يأتي:

أ – لا يجوز أن يُطْلَقَ أن فلاناً يعلم الغيب.

ب – تنفيذ الملائكة أمر الله – تعالى – وعدم اتصافهم بالعصيان.

جـ – علاقة الملائكة بالبشر علاقة وُدّ، ورحمة، وعناية.

د – طبيعة الملائكة غير طبيعة الإنس والجن.

* * *

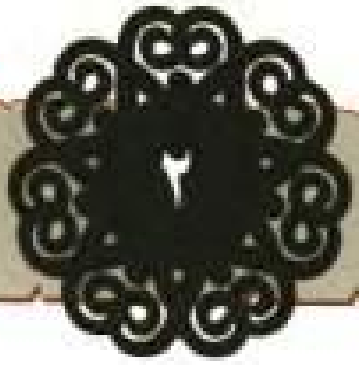

الإيمان بالجن والشياطين

التمهيد:

إن الحديث عن الإيمان بالجن والشياطين يأتي بعد الحديث عن الإيمان بالملائكة الكرام، إذ الإيمان بوجودهم جزء من عقيدة المؤمن، وهم من عالم الغيب الذي أمر المؤمن بالإيمان به، فإن من آمن بالله – تعالى –، وبعلمه، وقدرته، وحكمته، لا يتردد في تصديق الله – تعالى – في أي شيء يخبره من غيب أو شهادة.

ولقد جاء ذكر الجن والشياطين في عشرات من آيات القرآن الكريم، وكذلك في أحاديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وكَتَبَ عنهم وكل ما يتعلق بهم (ابن تيمية) في كتابه "الفتاوى"، والسيوطي في كتابه «لقط المرجان في أحكام الجان»، والقاضي بدرالدين الشبلي الحنفي في كتابه «آكام المرجان في غرائب الأخبار وأحكام الجان»، وكتب عنهم الكثير غير هؤلاء من علماء المسلمين، ويهمنا هنا أن نوضح مفهوم الجن والشياطين، وحقيقتهم، وأقسامهم، وكيفية اتصالهم بالإنسان، ووسائل الوقاية من شرورهم، وثمرات الإيمان بهم.

من الجن؟

الجن: هم عالم من العوالم الغيبية، لا يعلم حقيقتهم إلا الله – تعالى –، وسُمي الجن جناً لاجتنانهم وهو استتارهم، وعدم ظهورهم للناس، لأن الاجتنان هو الاستتار مأخوذ من جَنَّ الليلُ إذا أظلم فستر الأشياء بظلامه، ومنه سميت الجنة، لأنها تستر بأشجارها الملتفة من يدخلها، كما سمي الجنين في بطن أمه جنيناً، لاستتاره ببطن أمه، وعدم ظهوره، قال الله – تعالى – في الشيطان من الجن:

﴿...إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾[1].

والجان هو أبو سائر الجن، وهو مخلوق من مادة النار المعروفة، وكان خَلْقُه قبل خَلْقِ الإنسان، وذلك في قوله – تعالى –:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾[2].

وقال – تعالى –:

﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[3].

ومنهم المؤمنون، ومنهم الكافرون، ومنهم الفاسقون، يقول الله – تعالى – في شأن الجن:

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٢٧.
(٢) سورة الحجر الآيتان ٢٦-٢٧.
(٣) سورة الرحمن الآية ١٥.
(٤) سورة الجن الآية ١١.

أي أديانا مختلفة، ومن هنا ندرك أنهم مكلفون كالإنس، وأنهم مجازون مثلهم، قال الله – تعالى – حاكياً قولهم:

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[1].

وقد استمعت الجن لآيات القرآن تتنزل على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) دون أن يراهم أول مرة وفي هذه المرة نزل قوله – تعالى –:

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[2].

كما أنهم – أي الجن – يأكلون ويشربون بدليل أنهم سألوا رسول الله الزاد، فقال – صلى الله عليه وسلم –: «كل عظم يُذكَرُ اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما كان لحماً، وكل بعرة أو روثة علفٌ لدوابكم» وقال – صلى الله عليه وسلم –: «فلا تستنجوا بهما فإنهما زاد إخوانكم من الجن»[3].

كما روى الإمام أحمد من حديث عبدالله بن عمر أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لا يأكلنَّ أحدكم بشماله ولا يشربنَّ بها، فإن الشيطان يأكلُ بشماله ويشربُ بها»[4] أما تزاوج الجن وتوالدهم فيدل عليهما قوله تعالى في وصف حور الجنة: ﴿لَّمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾[5]

أي لم يلمس الحور العين أحد من الإنس أو الجن قبل أزواجهم من أهل الجنة، وقال – تعالى – في شأن إبليس وجنوده لعنهم الله:

﴿...أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[6].

وهذه الآية الكريمة تدل على أنهم يتوالدون، وأن لهم ذرية كذرية الإنسان.

والجن والشياطين يتشكلون بأشكال مختلفة، ويتلونون تلوناً كبيراً، وثبت أن الشيطان تشكل في صورة رجل وجاء إلى دار الندوة في مكة ورجال قريش مجتمعون فيها للتشاور في أمر النبي – صلى الله

---

(١) سورة الجن الآيتان ١٤، ١٥.
(٢) سورة الأحقاف الآيات من ٢٩-٣٢.
(٣) أخرجه أحمد ومسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح كتاب تفسير القرآن حديث ٣١٨١.
(٤) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث ٥٨١٢.
(٥) سورة الرحمن الآية ٧٤.
(٦) سورة الكهف من الآية ٥٠.

عليه وسلم - وشاركهم في اجتماعهم، وأشار عليهم بأسوأ اقتراح وهو قتل النبي - صلى الله عليه وسلم -[1] كما تشكل الشيطان في صورة إنسان وسرق من تمر الصدقة كما جاء في حديث أبي هريرة عند البخاري (٣/ ١٢٥)، ولكن الشيطان لا يقدر على التمثل بصورة الرسول - صلى الله عليه وسلم - لقوله - عليه الصلاة والسلام -: «من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي»[2].

أقسام الجن:

الجن نوعان: (النوع الأول): شياطين لا خير فيهم البتة، (النوع الثاني): جن منهم الصالح، ومنهم الفاسد، فحالهم كحال الناس، منهم البار، ومنهم الفاجر، ومنهم المؤمن، ومنهم الكافر، بيد أن الشياطين أصلهم من الجن، وذلك لأن إبليس كان من الجن، وأخبر القرآن الكريم بذلك في قوله - تعالى -:

﴿...إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ...﴾[3].

ولما أبلس الشيطان، وطُرد من الرحمة الإلهية، وانقطع عن الخير كلية كانت ذريته مثله بحكم الوراثة لا خير فيهم أصلاً، فلا يعرفون إلا الشر ولا يدعون إلا إليه.

على أن كلَّ من يخبث ويتمرد وينقطع عن الخير من أفراد الجان والإنسان يصبح شيطاناً، فإن عتا قيل فيه مارد، وإن زاد عتوه قيل فيه عفريت.

وقد أثبت القرآن العظيم هذه الحقائق كلها، إذ جاء فيه أن من الجن شياطين، ومن الإنس شياطين.

قال - تعالى -:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا...﴾[4]

وقال - تعالى -:

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾[5].

صلة الجان بالإنسان:

سبق أن أشرنا إلى أن الشيطان حضر مجلس دار الندوة، وسرق من تمر الصدقة، واتصال الجن بالإنسان ثابت بالكتاب والسنة، غير أنه اتصال ليس كاتصال الإنس بالإنس، لأن الجن كما عرفنا غيبي يرانا ولا نراه، وليس اتصال مشاركة في الآلام والآمال، والمتاعب والمشكلات، والسلم والحرب، والأمن والخوف، وإنما هو اتصال من نوع خاص يناسب طبيعة كل منهما، وفي الحدود التي رسمتها سنن الله - تعالى - وقوانينه الكونية والشرعية.

---

(١) (ابن كثير: البداية والنهاية ٣/ ١٧٥-١٧٦ وابن هشام ٢/ ٣-١-١٠٥).
(٢) متفق عليه واللفظ لمسلم في كتاب الرؤيا حديث ٤٢٠٦.
(٣) سورة الكهف من الآية ٥٠.
(٤) سورة الأنعام من الآية ١١٢.
(٥) سورة النمل الآية ٣٩.

فالجن موجودون في كل مكان يكون فيه إنسي، ويحضرون أكله وشربه ومجالسه، إلا أن الإنسان يمكنه أن يحجزهم عنه بذكر الله – تعالى.

كما أن الجن مسلَّطون على الإنس بالوسوسة والإغواء والإضلال، وهذه مهمة الشياطين والكافرين والفاسقين، أما الصالحون فشأنهم شأن صالحي الإنسان، لا يفعلون إلا الخير، ولا يسعون إلا فيه.

وأحياناً يلبسون جسم الإنسان، ويعيشون فيه بكيفية لا يعلمها إلا الله – تعالى –، فيصاب الإنسان عن طريقهم بمرض من الأمراض، كالصرع والجنون والتشنجات، وقد يسرق لصوصهم أموال الناس، وقد يكسر المشاغبون منهم الأواني وغير ذلك.

وفي الصحيحين من حديث جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إذا كان جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم، فإن الشيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلّوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً وأوكوا قربكم واذكروا اسم الله، وخمّروا آنيتكم واذكروا اسم الله ولو أنْ تعرضوا عليها شيئاً، وأطفئوا مصابيحكم»[1].

وروى مسلم من حديث جابر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه حتى يحضره عند طعامه»[2].

وروى مسلم عن جابر أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: «إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال أدركتم المبيت والعشاء»[3].

ويؤخذ مما سبق أن الجن موجودون ويظهرون في أشكال مختلفة، وخصوصاً أول الليل وآخره، وفي الخرابات، والصحاري، وفي الأسواق، وعلى الإنسان أن يأخذ حذره منهم.

وسائل الوقاية من الجن:

إن إيماننا بوجود الجن كجزء من عالم الغيب، وإدراكنا لبعض صفاتهم وأحوالهم من الكتاب والسنة، ووقوفنا على بعض طباعهم الشريرة، كل ذلك يلزمنا أن نتحصن منهم، وندفع أذاهم عنا، وذلك بالاحتراز والوقاية منهم بعدة أمور، من أهمها:

١ – الاستعاذة بالله – تعالى –، قال الله – عزّ وجلّ –:

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[4].

ولقوله – صلى الله عليه وسلم – في حديث الصحيحين حين استب رجلان عنده فاشتد غضب أحدهما: «إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد: لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»[5].

---

(١) رواه مسلم – باب الأمر بتغطية الإناء، حديث ٥٢٠٦.
(٢) رواه مسلم في كتاب الأشربة حديث رقم ٣٧٩٤.
(٣) رواه مسلم في كتاب الأشربة حديث ٥٢٨١.
(٤) سورة فصلت الآية ٣٦.
(٥) متفق عليه واللفظ للبخاري في كتاب الأدب حديث ٥٥٨٨.

٢ - قراءة المعوذتين: (قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس) لحديث النسائي وغيره، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا ابن عباس، ألا أدلك أو قال ألا أخبرك بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟ قلت بلى يا رسول الله قال: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس هاتين السورتين»[١].

٣ - قراءة آية الكرسي: وهي الآية (٢٥٥) من سورة البقرة (الله لا إله إلا هو الحي القيوم...) الآية، لحديث أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: وكلني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فذكر الحديث، فقال: إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي، لن يزال معك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: صدقك وهو كذوب، ذاك شيطان»[٢].

٤ - قراءة سورة البقرة كاملة: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة»[٣].

٥ - ذكر الله تعالى: قال - صلى الله عليه وسلم - من قال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في كل يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه»[٤].

ولحديث الترمذي، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات... وفيه وآمركم أن تذكروا الله تعالى، فإن مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعاً حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم، كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى»[٥].

٦ - الوضوء عند الغضب، فمن غضب فليتوضأ، فإنه يعصم نفسه من الشيطان أن يحمله على ارتكاب ما لا ينبغي، أو ما لا يحسن من قول أو فعل.

ثمرات الإيمان بالجن والشياطين:

إنَّ الإيمان الصادق، واليقين الجازم عصمة لصاحبه من تسلط الشيطان عليه، قال الله - تعالى -:

﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[٦].

---

(١) رواه النسائي في كتاب الاستعاذة حديث ٥٤٣٧.
(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن ح ٤٩٢٤.
(٣) رواه مسلم ٢/١٨٨ في كتاب صلاة المسافرين وقصرها رقم الحديث ١٢٠٠.
(٤) متفق عليه - رواه البخاري في كتاب الدعوات حديث ٥٩٢٤.
(٥) رواه الترمذي في كتاب الأمثال حديث ٢٧٩٠.
(٦) سورة النحل الآيتان ٩٩-١٠٠.

وجدير بالإنسان أن يتوقى لنفسه منهم، بعد أن تيقن أنهم موجودون، وأنهم من عالم الغيب، وأن الإيمان بوجودهم جزء من عقيدة المؤمن.

ووعي المؤمن وإدراكه الصحيح يجعله يحكم على أصحاب الضلال والغواية بأنهم أسلموا أنفسهم للشيطان، فيبتعد عنهم ولا يخالطهم، فإن الشياطين لا تتنزل إلا على أخباث النساء والرجال من أهل الآثام والأفاكين الملوثين بالذنوب، قال الله – تعالى –:

﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ۝ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[1].

ولقد قرر الخالق عزّ وجلّ كرامة الإنسان وأثبتها في سورة الإسراء في قوله:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[2].

وهذا الشرف للإنسان يدفعه إلى الاعتزاز بخالقه، والتمسك بعقيدته، وينفر من الذين يتعوذون بالجن، فلقد ثبت أنهم يستشعرون التعاظم حين يستعيذ إنسان بهم ويزدادون رهقاً وطغياناً وكفراً، قال الله تعالى في الحديث عنهم:

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[3].

فليخسأ الذين يستعينون بالجن، فلقد اختاروا لأنفسهم المنزلة الأدنى.

المسلم يعتقد أن:

- الإيمانَ بالجن جزء من عقيدته، فيلزمه التصديق بوجودهم.
- الجن من العوالم الغيبية ولا يعلم حقيقتهم إلا الله – تعالى – خالقهم.
- طبيعة الجن تختلف عن طبيعة الإنس والملائكة.
- رسولَ الله – صلى الله عليه وسلم – اجتمع بهم وسمع منهم وسمعوا القرآن منه.
- من صفات الجن أنهم يتشكلون بأشكال مختلفة ويأكلون ويشربون ويتزوجون ويتناسلون.
- الجن منهم الشياطين، ولا خير فيهم أبداً، ومنهم الصالحون والفاسدون.
- الجن مسلطون على الإنسان بالوسوسة والإغراء والإضلال.
- على المسلم أن يقي نفسه من الجن ويحترز منهم بالوسائل المشروعة.
- هناك ثمرات للإيمان بوجود الجن تجعل المسلم لا يسلم نفسه للشيطان أبداً.

---

(١) سورة الشعراء الآيات من ٢٢١-٢٢٣.
(٢) سورة الإسراء الآية ٧٠.
(٣) سورة الجن الآية ٦.

التقويم

أولاً – أجب عن الأسئلة الآتية:

س١ – لماذا كان الإيمان بالملائكة يستوجب الإيمان بوجود الجن والشياطين؟

س٢ – بم تحكم على أهمية معالجة موضوع الإيمان بالجن والشياطين؟

س٣ – وضِّح مفهوم كلمة الجن، وأصل اشتقاقها اللغوي، ومن أي شيء خلقوا؟

س٤ – اذكر بعض صفات الجن المتفقة مع صفات الإنس، وبعض صفاتهم المخالفة، مؤيداً إجابتك بالاستشهاد.

س٥ – الجن له أقسام، ناقش هذه الحقيقة في ضوء دراستك.

س٦ – بيِّن كيفية اتصال الجن بالإنسان، واذكر بعض الأمثلة لذلك.

س٧ – بيِّن كيفية الوقاية والتحرز من الجن؟ وما أهم الوسائل اللازمة لذلك؟

س٨ – بم تفسر أن الإيمان الصادق عصمة لصاحبه من تسلط الشيطان عليه؟

ثانياً – علل ما يأتي:

أ – اهتمام علماء المسلمين بما يتعلق بالجن والشياطين.

ب – عدم تمثل الشيطان بشخصية الرسول «صلى الله عليه وسلم».

جـ – اتصال الجن بالإنسان ليس اتصال مشاركة في الآلام والآمال.

د – الجن مسلطون على الإنس بالوسوسة والإغواء والإضلال.

هـ – حرص الإسلام على أن يذكر المسلم اسم الله تعالى عند طعامه.

و – الوضوء عند الغضب.

ز – البعد عمَّن أسلموا أنفسهم للشيطان ومخالفتهم.

ثالثاً – صِل عبارات المجموعة (أ) بما يناسبها من عبارات المجموعة (ب) فيما يأتي:

(أ)	(ب)
– الجان هو أبو سائر الجن	أنهم سألوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) الزاد.
– إذا دخل الرجل منزله فذكر اسم الله – تعالى – قال الشيطان:	شياطين، ومن الإنس شياطين أيضاً.
– أثبت القرآن الكريم أن من الجن	وهو مخلوق من مادة النار المعروفة.
– الجن يأكلون ويشربون بدليل	أدركتم العشاء ولا مبيت لكم.

* * *

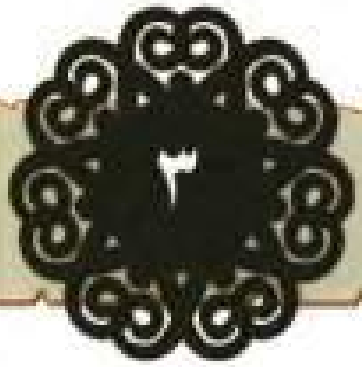

الإيمان باليوم الآخر

التمهيد:

يعلم الناس جميعاً أن الموت نهاية حاسمة لكل حي، ولكن الغرور وطول الأمل يخيلان لبعض الناس أنه كأن من الأزل وسيبقى إلى الأبد، والحصيف هو الذي يوقن أن الموت لا بد أن تذوقه كل نفس فهو مصير حتمي، قال الله – تعالى –: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾[١].

من أجل ذلك فإن العاقل هو الذي يوزع اهتمامه بالعمل على كلتا الدارين بقدر ما تستحقه كل واحد منهما، فيجعل عمله للدنيا بقدر مقامه فيها، ويعمل للآخرة بقدر بقائه فيها حيث دلّ قوله – تعالى –: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾[٢] على أهمية الدنيا، وفيها يُنكّر الله – تعالى – نبيه الكريم بنصيبه منها لأنه كاد أن ينساها من فرط تعلقه بالآخرة.

الحياة البرزخية:

لا يكاد المرء يترك دنيانا هذه حتى يبدأ حسابه، ويظهر ثوابه أو عقابه، وبوادر الشر أو بواكير الخير تظهر في اللحظة الأخيرة من عمر الإنسان على آخر منازل الدنيا وأول مراتب الآخرة – قال الله – تعالى –: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٣].

كما أن نذر العقاب الأليم تواجه الفُساق والظَّلمة في تلك الساعة الحرجة.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٤].

ويجب الإيمان بأن أول ما ينزل بالميت بعد موته سؤال الملكين في القبر؛ بأن يرد الله روحه، وسمعه، وبصره، ثم يسأله الملكان عن ربه، ودينه، ونبيه، فإما يُنْعَم أو يُعَذَّب، وذلك حسب حُسن إجابته أو سوئها.

وقد كان رسول الله – صلوات الله وسلامه عليه – يفيض في شرح الحقائق المتصلة بهذا العالم المغيب حتى ليكاد سامعوه يرون آفاقه رأي العين، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة بلغت حد الشهرة والتواتر المعنوي، منها: حديث عثمان – رضي الله عنه – قال: «كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال: استغفروا لأخيكم وسلوا له التثبيت فإنه الآن يُسأل»[٥].

---

(١) سورة آل عمران من الآية ١٨٥.
(٢) سورة القصص من الآية ٧٧.
(٣) سورة فصلت الآية ٣٠.
(٤) سورة الأنعام من الآية ٩٣.
(٥) رواه أبو داود والبزار والدارقطني والبيهقي والحاكم وصححه، والرواية لأبي داود في كتاب الجنائز حديث ٢٨٠٤.

ومما تقدم يستفاد أن لأهل القبور في البرزخ حياة يدركون بها أثر النعيم والعذاب، ولو بَلِيت أجسادهم، وأما كيفية تنعمهم أو تعذيبهم فأمرها غيبي لا نعرف حقيقته، والبحث في تفاصيله أمر لا نستطيع الخوض فيه، لأنه من عالم الغيب الذي يجب الإيمان به.

اليوم الآخر:

هو يوم القيامة، وأوله يبدأ من الموت لحديث هانئ مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان - رضي الله عنه - إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته فقيل له: تُذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هذا؟ قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينجُ منه فما بعده أشدُّ منه»(١).

ولفظ اليوم الآخر يطلق على آخر يوم من أيام هذه الحياة، وعلى اليوم الأول والأخير من الحياة الآخرة، فهو يوم واحد، يراد به أمران: الأول: فناء هذه العوالم كلها وانتهاء الحياة الدنيا بكاملها، والآخر: هو إقبال الحياة الآخرة وابتداؤها.

أدلة الإيمان باليوم الآخر:

ويقتضي الإيمان باليوم الآخر التصديق بما أخبر الله - تعالى - عن فناء هذه الدنيا وبما يسبقه من أمارات، وما يتم فيه من أهوال، وكذلك ما أخبر الله - تعالى - عن الحياة الآخرة وما فيها من نعيم وعذاب، وما يجري فيها من أمور عظام، كبعث الخلائق، وحشرهم وحسابهم، وثوابهم أو عقابهم على أعمالهم إلى غير ذلك مما سنأتي على تفصيله.

وهذا الإيمان ليس واجباً فحسب، بل هو أحد الأركان الستة التي تُبنى عليها عقيدة المؤمن قال الله - تعالى -:

﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ...﴾(٢).

وقد ذُكر اليوم الآخر في عشرات السور، وفي تقديره وتأكيد مجيئه قال الله - تعالى -:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾(٣).

وقوله - تعالى -:

﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٤).

وفي وصف اليوم الآخر والحديث عنه يقول الله - تعالى -:

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ۝١٤ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١٥ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾(٥).

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الزهد حديث ٢٣٢٠، وقال حديث حسن غريب.

(٢) سورة البقرة من الآية ١٧٧.

(٣) سورة الحج الآيتان ٦-٧.

(٤) سورة التغابن الآية ٧.

(٥) سورة الحاقة الآيات من ١٣-١٦.

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

الناس يعيشون في هذه الحياة الدنيا متفاوتين تفاوتاً كبيراً في: أرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم، وفي سعادتهم، وشقائهم، فمنهم الظالم ومنهم المظلوم، ومنهم الصحيح السليم، ومنهم المريض السقيم، ومنهم الغني الثري، ومنهم الفقير، ومنهم المحسن، ومنهم المسيء، إلى غير ذلك من التفاوت، فلو أنهم ينتهون بموتهم وانقضاء آجالهم ولا يبعثون لكان ذلك مناقياً للعدل والرحمة، ومن هنا فقد قضى الله - تبارك وتعالى - بالبعث والجزاء، قال الله - تعالى -:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[1].

ونستطيع أن نذكر أهم ثمرات الإيمان باليوم الآخر فيما يأتي:

١ - يحقق كمال الإيمان بالله - عزّ وجلّ - لأنه أحد الأركان الستة.

٢ - الإيمان باليوم الآخر يجعل المسلم يستعد له ويعمل الصالحات ليتجنب العقاب.

٣ - يخفف وطء المصائب على المسلم لأنه سوف يجد الثواب إذا صبر عليها يوم الحساب.

٤ - تحقيق العدل الإلهي في ضوء تفاوت الناس واختلاف طباعهم وأعمالهم.

٥ - تسلية المؤمن عما يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

العلامات الصغرى لليوم الآخر:

العلامات الصغرى لقرب يوم القيامة كثيرة، وردت بها الأحاديث الشريفة وخلاصة مجملها، انتقاض عرى الدين الإسلامي، وانتكاس الفطرة الإنسانية، وإليك بعض الأمثلة لها كما جاءت في الأحاديث النبوية الصحيحة:

١ - عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: إن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن من أشراط الساعة أن يُرفع العِلْم، ويظهر الجهل، ويفشو الزنا، وتُشرب الخمر، ويكثر النساء، ويقل الرجال، حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد»[2].

٢ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج - وهو القتل - حتى يكثر فيكم المال فيفيض»[3].

٣ - وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن أعرابياً قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «متى الساعة»؟ فقال: «فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة» قال: كيف إضاعتها؟» قال: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[4].

---

(١) سورة النحل الآيات من ٣٨-٤٠.

(٢) رواه السبعة إلا أبا داود والرواية للترمذي في كتاب الفتن حديث ٢١٣١. وقال حديث حسن صحيح.

(٣) رواه الشيخان وابن ماجة والرواية للبخاري في كتاب الجمعة حديث ٩٧٨.

(٤) رواه البخاري في كتاب العلم حديث ٥٧.

٤ - وعنه - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبدالله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله. إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»[١].

العلامات الكبرى:

١ - **طلوع الشمس من المغرب:** وهي أول الآيات الكبرى المؤذنة بتغيير أحوال العالم العلوي حتى ينتهي بقيام الساعة.

روى عبدالله بن عمرو بن العاص أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً»[٢].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيراً»[٣].

والمعنى أنه إذا طلعت الشمس من المغرب فإن الإيمان حينئذ لا ينفع نفساً لم تكن مؤمنة قبل ذلك، كما لا تنفع التوبة نفساً كانت عاصية قبلها، وهذا بالنسبة لمن طلعت عليه الشمس وهو بالغ، والله أعلم.

وطلوع الشمس من المغرب يكون في يوم، ثم تطلع من الشرق كعادتها، وإذا طلعت من الغرب غربت في المشرق، وحينئذ يغلق باب التوبة إلى يوم القيامة على القول الراجح، لقوله - تعالى -:

﴿...يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا...﴾[٤].

والمراد ببعض آيات الرب طلوع الشمس من المغرب كما في الحديثين السابقين.

٢ - **خروج الدابة:** والظاهر أن خروجها يكون في زمن طلوع الشمس من مغربها كما في فتح الباري لابن حجر العسقلاني، قال الله - تعالى -:

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾[٥].

وقال ابن كثير: هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق.

وهذه الدابة قيل تخرج من مكة، وقيل من غيرها، وحين تخرج تكلم الناس وتخبرهم بما هم عليه من إيمان أو كفر، ومن صلاح أو فسق، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم فائدة ذلك، فإن التوبة لا تقبل بالنسبة لمن رآها أو علم بها.

٣ - **خروج المسيح الدجال:** وسمي المسيح (بالحاء على الصحيح) لأنه يمسح الأرض ويقطعها في

---

(١) رواه الشيخان والرواية لمسلم في كتاب الفتن حديث رقم ٥٢٠٣، والغرقد بفتح الغين وسكون الراء: نوع من الشجر له شوك عظيم معروف ببلاد بيت المقدس.

(٢) رواه أحمد وابن ماجة وأبو داود ومسلم واللفظ له في كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث رقم ٥٢٢٤.

(٣) رواه أحمد والشيخان وأبو داود وابن ماجة والرواية لأحمد في باقي مسند المكثرين، حديث رقم ٧٧٩١.

(٤) سورة الأنعام من الآية ١٥٨.

(٥) سورة النمل الآية ٨٢.

أربعين يوماً، ولأنه ممسوح العين اليمنى، وهو الآية الكبرى المؤذنة بتغيير الأحوال العامة في معظم الأرض، وقد وصفه النبي - صلى الله عليه وسلم - وصفاً كافياً لنكون منه على حذر، ولننجو من فتنته. عن أبي سعيد الخدري قال: حدثنا النبي - صلى الله عليه وسلم - حديثاً طويلاً عن الدجال فكان فيما حدثنا قال: «يأتي الدجال وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس، أو من خير الناس، فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن، فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه»[1].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبي قومه؟ إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثل الجنة والنار، فالتي يقول: إنها الجنة هي النار، وإني أنذركم به كما أنذر به نوح قومه»[2].

ومن حديث النواس بن سمعان قال: قلنا يا رسول الله وما لبثه (أي مكثه) في الأرض؟ قال أربعون يوماً - يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم - قلنا يا رسول الله: فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، اقدروا له قدره...»[3].

٤ - **نزول عيسى - عليه السلام - وقتله الدجال:** نزول عيسى - عليه السلام - حكماً وعدلاً قرب قيام الساعة، فيقتل الدجال ويحكم بشريعة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم -، ويمكث في الأرض ما شاء الله أن يمكث ثم يموت ويصلي عليه المسلمون.

قال الله - تعالى -: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ۝ وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ۝ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ۝ وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾[4].

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً وعدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها»[5] «ثم يقول أبو هريرة: واقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾[6].

---

(١) رواه أحمد والشيخان واللفظ لمسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، حديث ٥٢٢٩.

(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث ٥٢٢٧.

(٣) الحديث رواه أحمد ومسلم وابن ماجة وقال الترمذي غريب حسن صحيح واللفظ لمسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث ٥٢٢٨.

(٤) سورة الزخرف الآيات من ٥٧-٦١.

(٥) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء حديث ٣١٩٣.

(٦) سورة النساء الآية ١٥٩.

والأحاديث في هذا كثيرة وصحيحة ومشهورة، قال القاضي عياض: نزول عيسى - عليه السلام - وقتله الدجال حق وصحيح عند أهل السنة للأحاديث الصحيحة في ذلك، وليس في العقل ولا في الشرع ما يبطله فوجب إثباته.

٥ - **يأجوج ومأجوج:** من العلامات الكبرى لليوم الآخر انكسار سد يأجوج ومأجوج، وخروج هذه الأمة المفسدة المدمرة لتعيث في الأرض فساداً، وتروع الناس أيما ترويع، قال الله - تعالى -:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟...﴾[1].

قال ابن كثير في تفسيره: إنهم من سلالة آدم عليه السلام، بل هم من نسل نوح أيضاً من أولاد يافث... تُركوا وراء السد الذي بناه ذو القرنين، وقد ذكر خروجهم في أحاديث متعددة من السنة النبوية.

روى حذيفة بن أسيد الغفاري - رضي الله عنه - قال: «اطلع النبي - صلى الله عليه وسلم - علينا ونحن نتذاكر، فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدخان والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى بن مريم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[2].

من مشتملات اليوم الآخر:

يشتمل اليوم الآخر على أمورٍ كثيرة نذكر منها:

١ - **العرض والحساب:** والحساب هو توقيف الله - سبحانه وتعالى - عباده قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم: أقوالاً، وأفعالاً، واعتقاداً، تفصيلاً بعد أخذ كتبهم.

فالحساب هو منتهى الأعمال، حيث تعرض جميعها للمناقشة والجزاء عليها، في ساحة واحدة تدعى عرصات القيامة، وذلك لفصل القضاء، والحساب، والميزان والصراط، وقراءة صحائف الأعمال، والحوض المورود، وشهادة الأعضاء.. كل هذا حق يجب الإيمان به، قال - تعالى -:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾[3].

وقال - تعالى -:

﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[4].

---

(١) سورة الأنبياء الآيتان ٩٦-٩٧.
(٢) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة حديث ٥١٦٢.
(٣) سورة الانشقاق الآيات من ٦-١٥.
(٤) سورة الأنبياء الآية ٤٧.

ب - **الصراط:** بعد وزن الأعمال والفراغ منها، وبيان السعيد من الشقي يضطر الناس إلى المرور على الصراط، وهو جسر دقيق منصوب على ظهر جهنم، وهو عقبة كؤود في طريق الذاهبين إلى دار السلام، وممر خطير للغاية، ويشهد لخطورته ما جاء في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقول: «ونبيكم قائم على الصراط، يقول: ربِّ سلِّم، سلِّم، حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفاً، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار»[1].

ويكون مرور الناس بحسب أعمالهم في الدنيا، فمنهم من يمر بسرعة مدهشة، حتى لكأنه البرق الخاطف، ومنهم من يمر دون ذلك إلى أن ينجو من ينجو ولو حَبْواً على يديه وركبتيه، ويهلك من يهلك بسقوطه في جهنم دار الشقاء، والهوان، والبوار، والخسران.

جـ - **الحوض:** يجب الإيمان بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - له حوض يَرِدهُ يوم القيامة الطائعون الأخيار، وهم الذين آمنوا به، وأخذوا بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، ويطرد عنه الكفار والمبتدعة في العقيدة، وكل من تعامل بالربا، أو جار في الأحكام، أو أعان ظالماً، أو جاوز حداً من حدود الله، وطوله مسيرة شهر، له ميزابان يصبان فيه ماء الكوثر، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، كيزانه أكثر من نجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ بعدها أبداً.

وهو ثابت بأحاديث مشهورة تفيد التواتر المعنوي، منها حديث عبدالله بن عمرو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «حوضي مسيرة شهر، وماؤه أبيض من الورق، وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فلا يظمأ بعده أبداً»[2].

وعن أنس - رضي الله عنه - قال: «بينا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه مبتسماً، فقلنا ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أنزلت عليَّ آنفاً سورة، فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر) ثم قال: أتدرون ما الكوثر؟ فقلنا الله ورسوله أعلم، قال: فإنه نهر وعدنيه ربي عزَّ وجلَّ، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم، فيُختلج العبد منه، فأقول: ربي إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك»[3].

د - **الشفاعة:** هي لغة: الوسيلة، وعرفاً: سؤال الخير للغير.

والنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - أول من يفتح باب الشفاعة حين يشفع في فصل القضاء، وهي الشفاعة العظمى المختصة به، والتي يغبطه عليها الأولون والآخرون، وهي المقام المحمود، المذكور في قوله تعالى: ﴿...عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[4].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث رقم ٢٨٨.

(٢) رواه الشيخان والرواية لمسلم في كتاب الفضائل حديث رقم ٦١١١. وفي رواية مسلم: حوضي مسيرة شهر ورواياه سواء.

(٣) رواه مسلم في كتاب الصلاة حديث رقم ٩٢١.

(٤) سورة الإسراء من الآية ٧٩.

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سئل النبي – صلى الله عليه وسلم – عن المقام المحمود في الآية فقال: «هو المقام الذي اشفع فيه لأمتي»[1].

وعن ابن عمر أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم، ثم بموسى، ثم بمحمد – صلى الله عليه وسلم – فيشفع ليقضى بين الخلق، ويمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم»[2].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «أنا سيد ولد آدم، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع»[3].

المسلم يعتقد أن:

- أهل القبور في البرزخ لهم حياة يدركون بها أثر النعيم أو العذاب.
- اليوم الآخر يبدأ من موت الإنسان.
- الإيمان باليوم الآخر أحد أركان ستة تنبني عليها عقيدة المؤمن.
- الإيمان باليوم الآخر ورد ذكره في عشرات السور القرآنية.
- من ثمرات الإيمان باليوم الآخر الانسجام مع مبادئ العدالة الإلهية.
- لليوم الآخر علامات صغرى كثيرة منها: رفع العلم، وفشو الزنى، وكثرة شرب الخمر، وكثرة الزلازل، وظهور الفتن، وتضييع الأمانة، وقتل المسلمين لليهود حتى لو اختبأوا وراء الشجر والحجر.
- لليوم الآخر علامات كبرى، أهمها: طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدابة التي تكلم الناس، وخروج المسيح الدجال، ونزول عيسى – عليه السلام – وقتله الدجال، وخروج يأجوج ومأجوج.
- من مشتملات اليوم الآخر: العرض والحساب، والصراط، والحوض، والشفاعة.
- الشفاعة ليست وسيلة يبرر بها الخطاؤون إصرارهم على المعاصي.

---

(١) رواه أحمد والترمذي والبيهقي في الدلائل والرواية لأحمد في باقي مسند المكثرين حديث ١٠٤١٩.

(٢) رواه البخاري في كتاب الزكاة حديث ١٣٨١.

(٣) رواه مسلم وأبو داود والرواية لمسلم في كتاب الفضائل حديث ٤٢٢٣.

التقويم

أولاً – أجب عما يأتي:

س١ – لماذا يجب على المؤمن أن يوزع اهتمامه على العمل للدارين؟

س٢ – «من مات فقد قامت قيامته» ناقش هذه العبارة.

س٣ – كيف يكون لأهل القبور حياة في البرزخ يدركون بها العذاب أو النعيم؟

س٤ – ما الذي يقتضيه الإيمان باليوم الآخر؟

س٥ – بيّن ثمرات الإيمان باليوم الآخر.

س٦ – اذكر ثلاثاً من العلامات الصغرى ليوم القيامة.

س٧ – من العلامات الكبرى لليوم الآخر خروج الدابة.. كيف يكون ذلك؟

س٨ – وضّح أحوال الناس في أثناء مرورهم على الصراط.

س٩ – كيف ترد على من يرتكبون الخطايا اعتماداً على شفاعة الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأمته؟

ثانياً – وضّح المقصود من المفاهيم الآتية:

أ – الحياة البرزخية.

ب – اليوم الآخر.

جـ – مشتملات اليوم الآخر.

د – يأجوج ومأجوج.

هـ – العرض للحساب.

و – الشفاعة.

ثالثاً – ضع هذه العلامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة فقط فيما يأتي:

١ – لا يكاد المرء يترك الدنيا حتى يبدأ حسابه ويظهر ثوابه أو عقابه. ( )

٢ – لم يوضح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – شيئاً عن الحياة البرزخية. ( )

٣ – لفظ اليوم الآخر يطلق على آخر يوم من أيام الدنيا. ( )

٤ – الإيمان باليوم الآخر أحد أركان ستة تنبني عليها عقيدة المسلم. ( )

٥ – لو كان الناس ينتهون بموتهم وانقضاء آجالهم لكان ذلك منافياً للعدالة الإلهية. ( )

٦ – من أشراط الساعة تقارب الزمان وظهور الفتن. ( )

٧ – طلوع الشمس من المشرق من علامات الساعة. ( )

٨ – يأجوج ومأجوج ليسوا من نسل نوح – عليه السلام –. ( )

* * *

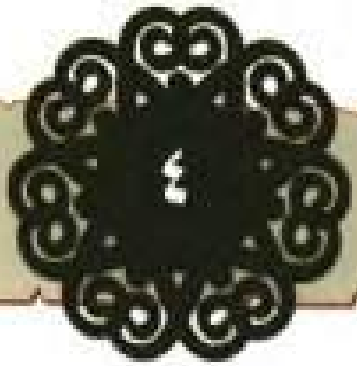

الجنة والنار وأوصافهما

التمهيد:

اللهم إننا آمنا بأن وراء هذه الحياة الدنيا حياة أخرى هي خاتمة المطاف، ويومها هو اليوم الآخر، وفي هذا اليوم مشاهد متعددة - كما قدمنا - وهو يوم مثوبة على العمل الصالح، وعقوبة على العمل السيئ، ودار العقوبة هي النار، ودار المثوبة هي الجنة.

والجنة لغة: البستان، والمراد بها هنا دار الثواب والنعيم المقيم التي أعدها الله عزّ وجلّ للمؤمنين، فيها الحور العين، والوِلْدان المخلدون، ولحم طير مما يشتهون، وأنهار من الماء العذب والعسل المصفى، واللبن الذي لم يتغير طعمه، والخمر التي فيها لذة للشاربين، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، أهلها إخوان على سرر متقابلين، نزع الله ما في قلوبهم من غل، فصاروا أحبة منعمين، تحيتهم فيها سلام، ونعيمهم مقيم دائم في دار السلام.

الجنة في القرآن الكريم:

لقد ورد ذكر الجنة في القرآن الكريم في أكثر من مائة موضع، غير أننا نراها تذكر مرة مفردة.

قال الله - تعالى -:

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ۝ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[1]

كما نراها مرة بلفظ الجمع في قوله - تعالى -:

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[2]

يقول ابن عباس - رضي الله عنه -: «إنما قال جنات بلفظ الجمع لكون الجنات سبعاً: جنة الفردوس، وعدن، وجنة النعيم، ودار الخلد، وجنة المأوى، ودار السلام، وعلّيين، وهذه السبع مأخوذة من القرآن الكريم»[3].

---

(١) سورة الزمر الآيتان ٧٣، ٧٤.

(٢) سورة إبراهيم الآية ٢٣.

(٣) في سورة المؤمنون ١١ - «الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون»، وفي سورة الكهف ٣١ - «أولئك لهم جنات عدن...»، وفي سورة الشعراء ٨٥ - «واجعلني من ورثة جنة النعيم»، وفي سورة الفرقان ١٥ - «قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون...»، وفي سورة النجم ١٥ - «عندها جنة المأوى»، وفي سورة الأنعام ١٢٧ - «لهم دار السلام عند ربهم...»، وفي سورة المطففين ١٨ - «كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين».

وهي أسماء لشيء واحد، وقد تكون درجات كل واحدة أعلى من الأخرى حسب ما يفهم من قول الله - تعالى -:

﴿...لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾[1].

والآية (٢٠) من سورة الزمر صريحة في أنها طبقات بعضها فوق بعض، قال - تعالى -:

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾[2].

وحديث البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم... قال: «بلى - والذي نفسي بيده - رجال آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين»[3].

وأعلاها جنة الفردوس، ولكننا نجد سيدنا إبراهيم - عليه السلام - يدعو ربه - عزّ وجلّ بقوله: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾[4] وإبراهيم لا يطلب لنفسه إلا أعلى الجنان!!

نعود بعدها إلى آيات الجنة في القرآن الكريم فنسمع قول الله - تعالى -:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾[5].

فهل للإنسان أكثر من جنة؟!

يقول بعض المفسرين: جنة للطاعات، وأخرى لترك المنكرات.

الإيمان بالجنة ونعيمها:

إن أقل الناس في الجنة له من النعيم ما يعدل الدنيا وسبعة أمثالها معاً، لا يلقى أهلها موتاً، ولا يقربهم فناء، وهي موجودة الآن في مكان يعلمه الله وحده، يدل على ذلك كله الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

قال الله - تعالى -:

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[6].

وقال - تعالى -:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾[7].

وقال - تعالى -:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾[8]

---

(١) سورة الأنفال من الآية ٤.
(٢) سورة الزمر الآية ٢٠.
(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق حديث ٣٠١٦.
(٤) سورة الشعراء الآية ٨٥.
(٥) سورة الرحمن الآية ٤٦.
(٦) سورة آل عمران الآية ١٣٣.
(٧) سورة الكهف الآيتان ١٠٧، ١٠٨.
(٨) سورة البينة الآيتان ٧، ٨.

وقال - تعالى -:

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾[1].

ثمرات الإيمان بالجنة:

إن هذه الدار الفانية فيها شرور وآثام، وفيها مظلومون مهضومون، وليس من العدل أن يخرج هؤلاء من هذه الدنيا بما وقع عليهم دون أن يقتص لهم رب العالمين، ويجزيهم على صبرهم، وهذا هو عدل الله أحكم الحاكمين.

وهل يصح أن يكون مصير الإنسان الذي عمّر الأرض مصير أية حشرة أو زاحفة، ثم ينتهي كل شيء إلى الأبد دون أن يكون له من خالقه جزاء على ما قدمت يداه ابتغاء مرضاته؟!!

والإنسان مهما طال عمره فهو محدود موقوت، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۝٣٨﴾[2] ثم يفارق الدنيا وكله لوعة وحسرة وأسى على ما خلّف وراءه من زوجة وأولاد، فهل رحمة الله التي وسعت كل شيء ستحرمه منهم أبداً ولا يرى منهم أحداً؟!!

كلا.. فرب السماء والأرض يقول:

﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۝٢٤﴾[3].

ومن منا لا يحب أن يرى أحبابه بعد موته؟!!

بعض أوصاف الجنة:

إن عقل المسلم أسير النقل عن كتاب الله - تعالى - في وصف الجنة، فهو يصفها، ويصف طعام أهلها وشرابهم، ولباسهم، ومتاعهم.. إلى آخر ما فيها ومن فيها، بما يسحر الأفئدة، ويحير العقول.

قال الله - تعالى -:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۝٩ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ۝١١ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۝١٢ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ۝١٣ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۝١٤ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[4].

وقال - تعالى -:

﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ۝١٢ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ۝١٣ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ۝١٤ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ۝١٥ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ۝١٦ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨ ۞ وَيَطُوفُ

---

(١) سورة القمر الآيتان ٥٤، ٥٥.
(٢) سورة الرعد من الآية ٣٨.
(٣) سورة الرعد الآيتان ٢٣، ٢٤.
(٤) سورة الغاشية الآيات من ٨-١٦.

عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[1].

وقال – تعالى –:

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ ۖ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ ۖ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ۖ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ...﴾[2].

كما جاء في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما يصف الجنة وأهلها ونعيمهم الذي أعده الله لهم.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «قال الله – تبارك وتعالى –: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[3].

قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ...﴾[4].

وعنه أيضاً قال: قلت يا رسول الله: الجنة ما بناؤها؟ قال: «لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه»[5].

وعنه.. أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دُرِّيٍّ في السماء إضاءة، لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»[6].

الجنة خالدة:

يجب أن نؤمن بأن الجنة خالدة، قال الله – تعالى –:

﴿۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾[7].

وهذا الخلود لا يورث الملل والسأم، وإنما هو النعيم المقيم كما قال – تعالى –: ﴿...لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾[8] ولا تقاس أحوال الجنة الباقية بأحوال هذه الدنيا الفانية، والقرآن الكريم قرّبها

---

(١) سورة الإنسان الآيات من ١٢-٢١.
(٢) سورة محمد من الآية ١٥.
(٣) رواه السبعة إلا أبا داود واللفظ للبخاري في كتاب تفسير القرآن حديث ٤٤٠٦.
(٤) سورة السجدة من الآية ١٧.
(٥) رواه أحمد والدارمي والبزار وابن حبان والترمذي، مسند أحمد بقي مسند المكثرين حديث ٧٧٠٠.
(٦) رواه أحمد والشيخان وابن ماجة، واللفظ لأحمد في بقي مسند المكثرين حديث ٦٨٦٨.
(٧) سورة الرعد الآية ٣٥.
(٨) سورة فاطر من الآية ٣٥.

بأوصاف لأذهاننا مما هو معروف لدينا، قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: «ما نعرف من الجنة إلا الأسماء». اللهم اجعلنا من أهل الجنة ونعيمها.

النار دار البوار والعذاب والعقاب لمن لم يطع الله تعالى:

دار البوار هي نار جهنم أعدها الله للكافرين والعصاة، وهي من مسائل الغيب التي ثبتت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، وعلينا أن نؤمن بها كما جاءت في كتاب الله المنزل على رسوله (صلى الله عليه وسلم).

والنار تقال للهب الذي يبدو للحاسة، يقول الله – تعالى –: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾[1]، وتقال للحرارة المجردة التي لا نراها بالحاسة ولكن نشعر بها، وتقال كذلك لنار جهنم، يقول الله – تعالى –: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾[2].

فجهنم اسم لهذه النار، نار الله الموقدة التي أعدها للكافرين والعصاة، وقيل إن اسمها فارسي معرب.

النار في القرآن الكريم:

لقد ورد ذكر النار في القرآن الكريم في كثير من المواضع، وتصورها بعض الآيات وقد برزت للناس في عرصات القيامة، ويفاجأ أهل الموقف في الحشر بظاهرة غريبة حيث يجاء بالنار تجر بالأزمة كما تجر القاطرة، ولها تغيُّظ وزفير، قال الله – تعالى –:

﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾[3].

وقال – تعالى –:

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾[4].

ويساق الكافرون إليها، ويدفعون دفعاً، وقد حقَّت عليهم كلمة العذاب، قال الله – تعالى –:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[5].

ويصفها القرآن الكريم بأن لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم، والعذاب فيها مختلف الأنواع والأقسام. قال الله – تعالى –:

﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ ۖ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾[6].

---

(١) سورة الواقعة الآية ٧١.
(٢) سورة غافر الآية ٤٩.
(٣) سورة الفجر الآيات من ٢٣-٢٦.
(٤) سورة الشعراء الآيات من ٩١-٩٥.
(٥) سورة الزمر الآية ٧١.
(٦) سورة الحجر الآيتان ٤٣، ٤٤.

ويرى ابن عباس – رضي الله عنهما – أن أبواب النار أطباقها وأدراكها، فإن الجنة درجات والنار دركات، ورتب أطباقها على هذا النحو من الأسفل إلى الأعلى: جهنم، لظى، الحطمة، سقر، السعير، الجحيم، الهاوية.

وجاءت هذه السبعة في القرآن الكريم[1] بمسمياتها التي ذكرناها، لتعبر عن أطباقها، أو أدراكها، أو أسمائها، أو أبوابها كما وردت، ولكل نار وقود.

وقود النار:

وقودها الناس والحجارة قال الله – تعالى –:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[2].

والكافرون وقود للنار، يقول الله – تعالى –:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾[3].

ويقول – تعالى –:

﴿...فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[4].

وهؤلاء ليسوا على درجة واحدة من العذاب، وحديث البخاري ومسلم يدل على أنهم على درجات في هذا العذاب.

عن النعمان بن بشير – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «إنَّ أهون أهل النار عذاباً رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل بالقمقم»[5].

وعن سمرة بن جندب – رضي الله عنه – قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم – في صفة أهل النار: «منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى عنقه»[6].

---

(١) عرفنا ما جاء في جهنم، أما عن لظى فقال تعالى في سورة المعارج الآية ١٥: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ﴾ وفي سورة الليل الآية ١٤: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ﴾ والعرب تقول النار تلظت أي اصبح لهيبها خالصاً، ويقول عن الحطمة في سورة الهمزة الآيات ٤-٦: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾ واصل الحطم الكسر المتنافي الشدة، ويقول عن سقر في سورة المدثر الآيات من ٢٦-٣٠: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ۝ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ۝ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ﴾، وفي سورة القمر من الآية ٤٨: ﴿...ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ﴾، والعرب تقول سقرته الشمس أي لوحته ولابته فجعل سقر اسم علم لجهنم، ويقول عن السعير في سورة النساء من الآية ١٠: ﴿...يَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ وفي السورة نفسها الآية ٥٥: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرٗا﴾ وفي سورة التكوير الآية ١٢: ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾ إلى آخر ما جاء عن كلمة السعير، وهي أكثر الكلمات ورودا، والعرب تفهم من كلمة السعير النار ولهيبها، ويقول – تعالى – عن الجحيم في سورة الصافات الآية ٤٧: ﴿ٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ واخذت العرب الجحيم من الجحمة، وهي شدة تأجج النار، ويقول عن الهاوية في سورة القارعة الآيات ٨-١١: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ۝ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝ نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾.

(٢) سورة التحريم الآية ٦.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٠.

(٤) سورة البقرة من الآية ٢٤.

(٥) متفق عليه واللفظ للبخاري في كتاب الرقاق حديث ٦٠٧٧.

(٦) رواه مسلم ٨/ ١٥٠ كتاب الجنة ونعيمها حديث ٥٠٧٩.

طعام أهل النار وشرابهم:

من أهل النار من طعامه شجرة الزقوم، وشجرة الزقوم يصفها القرآن الكريم فيقول:

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ۝ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ۝ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾[1].

وقول الله – تعالى –: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾[2].

ويقول – تعالى –: ﴿لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ ۝ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ﴾[3].

ومنهم من طعامه الضريع، يقول الله – تعالى –: ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ۝ لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾[4].

ويقولون عن الضريع: إنه أمرُّ من الصبر، وأنتن من الجيفة، وأشد حراً من النار، وهو شوك يابس الحجاز يقال له الشبرق، وأكله نوع من العذاب.

ومنهم من طعامه الغسلين، يقول – تبارك وتعالى –:

﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۝ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾[5].

وأما شرابهم: فمنهم من شرابه الحميم، وهو الماء البالغ غاية الحرارة، يقول – تبارك وتعالى –:

﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ۝ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ۝ جَزَاءً وِفَاقًا ۝ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾[6].

وقال – تعالى –:

﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ۝ وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾[7].

ومنهم من شرابه الصديد، وهو ماء كدر، يتركب من الصديد، ويغصُّ به شاربه حتى لا يكاد يسيغه، ويعاني منه آلاماً لا يعلم مداها إلا الله – تعالى –، يقول سبحانه:

﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ۝ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[8].

ومنهم من شرابه المُهْل، وهو ماء شخين حار لكأنه النحاس المذاب، بحيث إذا أدناه أحدهم من فمه ليشربه، شوت حرارته جلدة وجهه، قال الله – تعالى –:

---

(١) سورة الصافات الآيات من ٦٤-٦٨.
(٢) سورة الدخان الآيات من ٤٣-٤٦.
(٣) سورة الواقعة الآيتان ٥٢، ٥٣.
(٤) سورة الغاشية الآيتان ٦، ٧.
(٥) سورة الحاقة الآيات من ٣٥-٣٧.
(٦) سورة النبأ الآيات من ٢٤-٢٨.
(٧) سورة الحج الآيات من ١٩-٢٢.
(٨) سورة إبراهيم الآيات من ١٥-١٧.

﴿...وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[1].

ويصاحب أكلهم وشرابهم عويل وبكاء، وهما من لوازم المخاوف والآلام، ومقاساة الشدائد والأهوال، وعذابهم هذا لا ينقطع، فهم يتضاغَوْن ويصطرخون ويدعون الويل والثبور.

قال الله - تعالى -: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾[2].

جملة من الجرائم والمعاصي التي تُدْخِلُ النار:

سُئِلَ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - ما عَمَلُ أهل النار؟!.. فأجاب: «عمل أهل النار: الإشراك بالله تعالى، والتكذيب للرسل، والكفر، والحسد، والكذب، والخيانة، والظلم، والفواحش، والغدر، وقطيعة الرحم، والجبن عند الجهاد، والبخل، واختلاف السر والعلانية، واليأس من رحمة الله، والأمن من مكر الله، والجزع عند المصائب، والفخر والبطر عند النعم، وترك فرائض الله، وتعدي حدوده، وانتهاك حرماته، والخوف من المخلوق دون الخالق، والعمل رياءً وسمعة، ومخالفة الكتاب والسنة، أي اعتقاداً وعملاً، وطاعة المخلوق في معصية الخالق، والتعصب للباطل، والاستهزاء بآيات الله، وجحد الحق، والكتمان لما يجب إظهاره من علم أو شهادة، والسِّحر، وعقوق الوالدَيْن، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[3].

وهناك جرائم أخرى تُدْخِلُ أصحابها النار، ومنها: الركون إلى الظالمين أعداء الله وموالاتهم. قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ...﴾[4].

والذين يضاهون بخلق الله، والكاسيات العاريات، والذين يعذبون الحيوان، وعدم الإخلاص في طلب العلم، والذين يشربون في آنية الذهب والفضة، والانتحار، إلى غير ذلك من الجرائم، وهي معروفة وغير مجهولة للناس، والله - تعالى - نهانا عن أشياء كثيرة، والرسول - صلى الله عليه وسلم - أرشدنا إلى ترك المعاصي حتى لا نكون من أهل النار أعاذنا الله منها.

المسلم يعتقد أن:

- هناك مثوبة على العمل الصالح، وعقوبة على العمل السيئ.
- الجنة جاء ذكرها في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة.
- الإيمان بالجنة ووجودها وعدم فنائها أصلها جزء من عقيدة المسلم.
- الله - تعالى - أعد لأهل الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.
- الجنة دائمة خالدة وأكلُها دائم، وهذا الخلود والدوام ليس سبباً في أي ملل أو سأم.
- النار دار البوار والعذاب أعدها الله للكافرين والعصاة.
- وقود النار الناس والحجارة وعذاب أهلها لا ينقطع.
- المسلم يجب أن يبتعد عن الجرائم والمعاصي التي تدخله النار.

---

(١) سورة الكهف من الآية ٢٩.
(٢) سورة فاطر الآية ٣٧.
(٣) يقظة أولي الاعتبار ص٢٢٢.
(٤) سورة هود من الآية ١١٣.

التقويم

أ – أجب عن الأسئلة الآتية:

س١ – ما مفهوم الجنة في اللغة؟

س٢ – كيف ورد ذكر الجنة في القرآن الكريم؟ أيِّد إجاباتك بالآيات الكريمة.

س٣ – للإيمان بالجنة ثمرات.. ناقش هذه العبارة ووضِّح رأيك فيها.

س٤ – كيف وصف الله الجنة ونعيمها؟

س٥ – سأل أحد الصحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن الجنة وبنائها، فبم أجابه؟

س٦ – وصف الرسول – صلى الله عليه وسلم – أهل الجنة حين دخولهم إليها وبعده.
فماذا قال – صلى الله عليه وسلم –؟

س٧ – قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: «ما تعرف من الجنة إلا الأسماء». وضِّح هذه العبارة.

س٨ – ما المقصود بلفظ النار معنىً ومفهوماً؟

س٩ – كيف ورد ذكر النار في القرآن الكريم؟

س١٠ – ما وقود النار في الآخرة؟ أيِّد إجاباتك مستشهداً بالآيات والأحاديث.

س١١ – صف لنا طعام أهل النار وشرابهم، وما أثر ذلك على نفسك؟

س١٢ – عدِّد بعض الجرائم أو المعاصي التي تُدْخِلُ مرتكبيها النار. ووجِّه النصيحة للآخرين من خلالها.

ب – علل ما يأتي:

١ – ورود ذكر الجنة في القرآن الكريم بصيغة المفرد والمثنى والجمع.

٢ – أقل أهل الجنة نعيماً له ما يعدل الدنيا وسبعة أمثالها.

٣ – عقل المسلم أسير النقل عن كتاب الله – تعالى – في وصف الجنة.

٤ – الخلود في الجنة لا يورث السأم والملل.

٥ – تفاوت أهل النار في العذاب.

٦ – أهل النار يصطرخون فيها ويدعون بالويل والثبور.

جـ – أكمل العبارات الآتية بما يتم المعنى في ضوء دراستك.

١ – الجنة دار .....

٢ – النار دار .....

٣ – في الجنة ما لا عين رأت .....

٤ – من شراب أهل النار .....

٥ – من عدل الله – تعالى – المثوبة على العمل الصالح .....

* * *

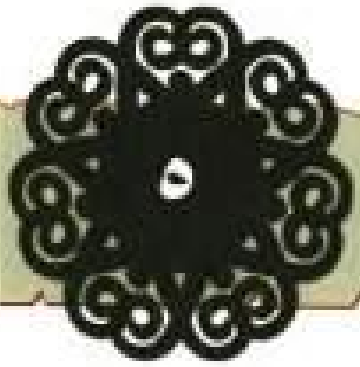

الدرس الخامس

الإيمان بالقدر خيره وشره

التمهيد:

لقد أحاط الله - جل وعلا - بكل شيء علماً، وعلمه أزلي لا محدود ولا ينقص، فخلق الخلائق، وقدر لها مقاديرها، وقضى أمرها وفق ما خلق من سنن كونية تضبط حركة هذا الكون العظيم بما فيه من خلائق وكائنات.

معنى القدر:

القدر: هو القضاء الذي يقضي به الله على عباده، وجمعه أقدار، واشتق منه القدير: ذو القدرة، والقادر، والمقتدر من أسماء الله الحسنى، وتقول: قدّر الله الأمر بمعنى دبّره، وقدر الله الأمر على فلان، جعله له، وحكم به عليه، وأقدره الله على الأمر قوّاه عليه.

وأصله من التقدير والتدبير، وجعل الشيء يجري على نظام وحكمة. قال - تعالى -:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ۝ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ۝ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾[1].

وقال - تعالى -:

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[2]، ﴿...ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ﴾[3]، ﴿...وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾[4]، ﴿...وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ۝﴾[5]، ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾[6].

الفرق بين القضاء والقدر:

لقد اختلفت عبارات العلماء في مفهومي القضاء والقدر، وتعددت عباراتهم في تعريفهما، فمنهم من جعلهما شيئاً واحداً، ومنهم من عرّف القضاء تعريفاً مغايراً للقدر، فقال:

القدر: علم الله تعالى بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل.

والقضاء: إيجاد الله - تعالى - الأشياء حسب علمه وإرادته[7].

وقد عكس بعضهم المعنيين السابقين، فجعل تعريف القدر للقضاء، وتعريف القضاء للقدر، وهو أمر محتمل[8].

---

(١) سورة الحجر الآيات من ١٩-٢١.
(٢) سورة القمر الآية ٤٩.
(٣) سورة طه من الآية ٤٠.
(٤) سورة الفرقان من الآية ٢.
(٥) سورة الأحزاب من الآية ٣٨.
(٦) سورة الأعلى الآيات من ١-٣.
(٧) تبسيط العقائد الإسلامية - حسن أيوب ص٧٧.
(٨) اليقينيات الكونية ص١٤٧.

أما من عرّفهما تعريفاً واحداً فقد قال: (هو النظام المحكم الذي وضعه الله لهذا الوجود، والقوانين العامة والسنن، التي ربط بها الأسباب بمسبباتها)[1].

وهذا المعنى هو ما وردت به الآيات التي ذكرناها من تعريف القدر، فإن الله - تعالى - ربط الوجود كله بقانون السنن الذي يحكم كل أجزاء الكون عُلْوِيّة وسُفْلِيّة على حد سواء، وأوجد هذا العالم بمقادير متقنة مضبوطة محكومة بسنن لا تقبل التغيير ولا التبديل، وفق علمه الواسع، وإرادته الشاملة، وقدرته الكاملة، ومشيئته النافذة، وعلى هذه الصفات الإلهية قامت عقيدة القضاء والقدر، فكان الإيمان بها جزءاً متمماً للإيمان بالله.

ونستطيع أن نقول بعد الذي قدمناه: إن القضاء والقدر: علْم الله - تعالى - الأزلي بكل ما أراد إيجاده من العوالم، والخلائق، والأحداث، والأشياء، وتقدير ذلك الخلق، وكتابته في اللوح المحفوظ كما هو، حين يقضي بوجوده: كميته، وكيفيته، وصفته، وزمانه، ومكانه، وأسبابه، ومقدماته، ونتائجه، بحيث لا يتأخر شيء من ذلك عن وقته وزمانه، ولا يتقدم في هيئة ولا صفة بحال من الأحوال، وذلك لسعة علم الله - تعالى - بكل ما كان، وما يكون، ولعظيم قدرته - عزّ وجلّ - التي لا يحدها شيء، ولا يعجزه أي مخلوق، ولمشيئته النافذة التي لا يستطيع أن يردها راد، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن[2]، قال الله - تعالى -: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[3]، وصدق الله - العظيم - إذ يقول: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[4].

وجوب الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقضاء والقدر عقيدة من العقائد التي أسسها الإسلام على الإيمان بالله - عزّ وجلّ - وبناها على المعرفة الصحيحة لذاته العليا، وأسمائه الحسنى، وصفاته العظمى، فقد أوجب الإسلام لله - تعالى - نعوت الكمال، وصفات الجلال والكمال، ودواعي التمجيد والتقديس.

ومن هنا.. يجب على كل مسلم أنْ يؤمن بالقدر، خيره وشره، حلوه ومره، ويقصد بالإيمان على هذا النحو الإيمان بعلم الله القديم، والإيمان بقدرة الله القادر، والإيمان بمشيئة الله النافذة، والإيمان بأن الله هو الخالق وكل ما سواه مخلوق، والإيمان بأن ما أراده الله، وقدّره، وقضاه مكتوب في اللوح المحفوظ.

فالإيمان بالقدر: هو التصديق الجازم بأن كل ما يقع في هذا الوجود يجري وفق علم الله وتقديره منذ الأزل، وفي حديث جبريل (المشهور)، حين جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - في صورة أعرابي لا

---

(١) العقائد الإسلامية سيد سابق.
(٢) عقيدة المؤمن - أبو بكر الجزائري (بتصرف).
(٣) سورة الشورى الآيتان ٤٩-٥٠.
(٤) سورة النحل الآية ٤٠.

يُرى عليه أثر السفر... وسأله عن الإسلام، ثم عن الإيمان، ثم عن الإحسان، قال - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان: «أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره»[1].

فالإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان، وأصل من أصول الدين يكفر جاحده ومنكره، فقد رُوِيَ أن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - قال لابنه: يا بني، إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة». ثم قال عبادة: «يا بني، سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «من مات على غير هذا فليس مني»[2].

وكذلك قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس - رضي الله عنهما -: «واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفت الصحف»[3].

وكما يجب الإيمان بالقضاء والقدر يجب الرضا والتسليم لله - تعالى -، فما من شيء يحدث في الكون- إلا ولله - تعالى - فيه حكمة عالية وتدبير محكم، ومن هنا.. كان قبيحاً بالمرء أن يتبرَّم مما قُدِّر له، ويُجْعَلُ به أن يقابله بكامل الرضا، ومطلق التسليم.

مراتب الإيمان بالقدر:

إن تقدير الله - تعالى - لشيء ما.. يتضمن حقائق أربعاً:

١ - **العلم:** فالله - سبحانه وتعالى - يعلم الأشياء قبل وقوعها، كعلمه بها بعد وقوعها فهو - سبحانه - يعلم ما كان، وما سيكون، وما هو كائن، لا يغيب عنه شيء مهما صغر أو كبر، فعلم الله صفة كاشفة غير مؤثرة، وهو - تعالى - يحيط بكل شيء علماً لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

قال الله - تعالى -:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[4] كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[5].

وقال - تعالى -:

﴿...وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[6].

٢ - **الكتابة في اللوح المحفوظ:** وفي صفحات الكتاب المبين الذي ورد في الآية السابقة خُطَّت

---

(١) رواه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه - صحيح مسلم بشرح النووي ج١، ص٩٦، ٩٧ وأخرج البخاري نحوه عن أبي هريرة - فتح الباري ج١، ص٩٦، ٩٧.

(٢) رواه أبو داود في كتاب السنة حديث رقم ٤٠٧٨.

(٣) رواه الترمذي في كتاب القيامة حديث رقم ٢٤٤٠ وأحمد ١/٢٩٣.

(٤) سورة غافر الآية ١٩.

(٥) سورة المجادلة الآية ٧.

(٦) سورة يونس من الآية ٦١.

سطور القضاء والقدر، وسُجِّلت المقادير المشتملة على جميع الأعمال والأقوال، وجميع الشؤون والأحوال وعُرِفَتْ مسارات الأمور ومصائرها، ووضحت بداياتها ونهاياتها.. من: شقاوة وسعادة، وحُسن وقبح، وعلم وجهل، وقوة وضعف، ومرض وصحة، وغِنًى وفقر، وتقوى وفجور، وغير ذلك مما يصيب الناس، كله في اللوح المحفوظ.

قال - تعالى -:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾(١).

ويقول - تعالى -:

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(٢).

والحديث السابق الذي رواه عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - وجاء فيه: (اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة).

٣ - **المشيئة:** إن كل ما في الكون إنما هو بمشيئة الله وإرادته، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال الله - تعالى -:

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾(٣).

وفي هذا السياق فإننا نجد أن إطلاق المشيئة في آية، تقيده آية أخرى يذكر فيها الاختيار الإنساني صريحاً، أي أن إضلال الله لشخص ما معناه: أن هذا الشخص آثر الغي على الرشاد، فأقره الله على مراده، وتمم له ما يبغي لنفسه، قال الله - تعالى -:

﴿...فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٤).

ولنظر كذلك إلى قيمة الإرادة الإنسانية في قول الحق وهو يتكلم عن إرادته:

﴿...قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾(٥).

إن الله قادر لو شاء على أن يخلق بني آدم ابتداء بطبيعة لا تعرف إلا الهدى، ولو شاء لقهرهم على الهدى، ولو شاء لقذف الهدى في قلوبهم فيهتدوا بلا قهر، ولكنه سبحانه شاء غير هذا!! شاء أن يبتلي بني آدم بالقدرة على الاتجاه إلى الهدى أو الضلال، ليعين من يتجه إلى الهدى.. على الهدى.. وليمد من يتجه منهم إلى الضلال في غيه وفي عمايته وجرت سنته بما شاء في عباده، قال الله - تعالى -:

---

(١) سورة الحديد الآية ٢٢.
(٢) سورة التوبة الآية ٥١.
(٣) سورة الإنسان الآيتان ٣٠-٣١.
(٤) سورة الصف الآية ٥.
(٥) سورة الرعد الآيتان ٢٧-٢٨.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1].

والإنسان في سعيه في إطار المشيئة العليا مثل ما للفلاح في زرعه، فازرع عمرك - إن شئت - خيراً، فإن يد القدرة سوف تنميه لك وريا يانعاً، أو ازرعه - إن شئت - شراً فإن يد القدرة تنميه شوكاً مؤذياً[2] قال - تعالى -: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[3]، ومع هذه الحقيقة فإن الناس هم الذين يفعلون ما يجعلهم يستحقون عذاب الله، أو يستحقون رحمته، كما يقول جلّ جلاله:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[4].

٤ - الخلق: إن كل ما في الكون هو بخلق الله - تعالى - وأثر قدرته، ليس له شريك في الخلق، قال الله - تعالى -:

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾[5].

وقال سبحانه:

﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[6].

فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه ولا خالق غيره، ولا رب سواه، وإنه سبحانه على كل شيء قدير، وقدرته تعالى تهيمن على الكون كله إيجاداً وعدماً، وآثارها ناطقة في كل حركة وسكون، وكل تحول من ظلام إلى نور ومن حر إلى برد، ومن حياة إلى موت، ومن عزّ إلى ذلّ، فلنستمع إلى قوله - تعالى -:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۚ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[7].

وفي هذا السياق، يجدر بنا أن نوضح حقيقة، وهي أن الإنسان مخلوق لله - تعالى - مربوب له كسائر الخلق، وسائر ما خلق الله في الأرض والسماء، كالشمس، والقمر، والجبال، والنبات، والحيوان، وكلها تقوم بفعلها كما أناط الله بها، ولكن الفرق بين الإنسان وسائر المخلوقات، أن الإنسان أعطي إرادة

---

(١) سورة النساء الآية ١١٥.
(٢) عقيدة المؤمن - محمد الغزالي.
(٣) سورة التوبة الآية ١٠٥.
(٤) سورة يونس الآية ٤٤.
(٥) سورة الرعد من الآية ١٦.
(٦) سورة الفرقان من الآية ٢.
(٧) سورة النور الآيات من ٤٣-٤٥.

واختياراً لعلة التكليف، الذي يترتب عليه الجزاء العادل، فإن بقية المخلوقات مقهورة مسخرة بما تقوم به، يستوي في ذلك كل أجناس الكون ما عدا الإنس والجان. فإذا قرأنا قول الله - تعالى -:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[1].

فمن هذه الآية نعرف أن السماوات والأرض والجبال وغيرها من المخلوقات عُرضت عليها الأمانة أو حرية الاختيار، فاختارت أن تكون مقهورة مسخرة، ورفضت حمل الأمانة التي حملها الإنسان، ورضي أن يكون مختاراً، قادراً على الطاعة، وقادراً على المعصية، والإنسان لم يعط لنفسه حرية الاختيار، ولكن الله - سبحانه وتعالى - شاءت قدرته أن يعطي الإنسان الاختيار فخلقه مختاراً. أليس الإنسان يذهب ويجيء، ويأخذ ويعطي، والله هو الذي أقدره على ذلك؟ أليس الإنسان يحب ويكره، ويريد ويختار، والله - تعالى - هو الذي هيأه لذلك؟ فالله - تعالى - هو خالق الإنسان، وخالق أفعاله، والإنسان مريد لأفعاله مختار لها، والله هو الذي جعله كذلك لعلة الابتلاء والجزاء.

ومن هنا.. لو أن العبد أُكْرِهَ على عمل، أو أُجْبِرَ عليه لم يتحمل وزر ذلك، بثواب أو عقاب لأنه فاقد الإرادة الحرة، والاختيار التام، وذلك كالمجنون، والصبي، والنائم، والمكره، والناسي فكل هؤلاء لا مؤاخذة عليهم في أفعالهم.

وكذلك ما يخلقه الله - تعالى - من أمور تحدث وتتم بمحض القدرة العليا وعلى وفق المشيئة الإلهية وحدها، وهي تنفذ في الناس طوعاً أو كرهاً، سواء شعر بها الناس أو لم يشعروا، فخلق الله العقول ومقدار ما يودع فيها من ذكاء أو غباء، والأمزجة وما يلابسها من هدوء أو عنف، والأجسام وما تكون عليه من طول أو قصر، وجمال أو قبح، والشخصيات وما تطبع عليه من امتداد أو انكماش، والزمان الذي يولد فيه الإنسان والمكان الذي يحيا فيه، والبيئة التي ينشأ في ظلها، والوالدان اللذان ينحدر منهما، وما تتركه الوراثة في الدم من غرائز وميول، والحياة والموت، والصحة والمرض والسعة والضيق.. ذلك كله ومثله لا يد للإنسان فيه، لأن أصابع القدر وحدها هي التي تتحرك ظاهرة وباطنة لتوجه الحياة كما يريدها رب الحياة، وغني عن البيان.. أن شيئاً من هذا ليس محل مؤاخذة، ولا موضع حساب، كالجنسية التي ننتمي إليها، واللغة التي ننطق بها، هذه خصائص لا قبل لنا بها، ولا سبيل لنا إليها[2]، وفي مثلها يساق قول القرآن الكريم:

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٧٢.

(٢) عقيدة المسلم - محمد الغزالي.

(٣) سورة القصص الآيات من ٦٨-٧٠.

وعلى هذا يتحصل لنا مما سبق- أن الإيمان بالقدر يشتمل على أربع مراتب هي:

- **الأولى:** الإيمان بعلم الله القديم، وأن الله علم أعمال العباد قبل أن يعملوها.
- **الثانية:** كتابة ذلك في اللوح المحفوظ.
- **الثالثة:** مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة.
- **الرابعة:** إيجاد الله لكل المخلوقات، وأنه الخالق وكل ما سواه مخلوق.

مذاهب السلف في مفهوم القضاء والقدر:

إن الذي قدمناه عن القضاء والقدر هو ما يحتاج إليه المؤمن، فيكفيه أن يعلم معناه، ومراتبه، وأن يؤمن به، ويعلم أن الله بكل شيء عليم، وأنه خالق كل شيء، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه عادل لا يظلم أحداً، وأنه حكيم منزّه عن العبث. وقد أحسن سلفنا الصالح في الإيمان بهذه العقيدة، وأن هذه أمور مفروغ منها، مسلم بها، علمها الحق تبارك وتعالى، وأرادها، ونفذها استقلالاً، وسجلها على عباده منذ الأزل، وعلى ذلك أجمع الصحابة، والتابعون، وجميع أهل السنة والحديث أن كل ما هو كائن إلى يوم القيامة، فهو مكتوب مقدّر في أم الكتاب.

إن الخوض في غير ذلك نهى عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم -، وكذلك التعمق في القدر وتناوله على غير هذه الصورة، فقد أخرج الإمام أحمد بإسناده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: «خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم والناس يتكلمون في القدر قال: وكأنما تفقأ في وجهه حب الرمان من الغضب، قال فقال لهم: ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم»[1].

وعن ابن الديلمي قال: أتيتُ أُبيَّ بن كعب، فقلت له: وقع في نفسي شيء من القدر، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي، قال: لو أن الله عذّب أهل سماواته وأهل أرضه، عذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم، كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً في سبيل الله ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار. قال ثم أتيت عبدالله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال: ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل ذلك»[2].

وتقدم في ذلك - أيضاً - حديث عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -، وما قاله لابنه عند موته، وما قاله الرسول - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس - رضي الله عنهما -.

وهذه العقيدة سكبت في قلوبهم السكينة، وأفاضت على نفوسهم الطمأنينة، وربتهم على العزة، فإن الإنسان الذي ينعم بعقيدة القدر، ويعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن الأمة لو اجتمعت على أن تضره لن تضره بشيء قد كتبه الله عليه، وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، ومن هنا- رضيت نفوسهم بكل ما يأتي به قدر الله وذلك لشعورهم الباطن الواثق بأن قدر الله هو الذي يصرف كل شيء وكل أحد، وكل حادث، وكل حالة، فاستقبلوا قَدَر الله فيهم بالمعرفة المدركة المريحة، الواثقة المطمئنة.

---

(١) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث رقم ٦٦٨١.

(٢) رواه أبو داوود في كتاب السنة حديث ٤٠٧٧، وابن ماجة وأحمد والطبراني وابن حبان - جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد ج٢ ص٣١٨.

المذاهب الأخرى في مفهوم القضاء والقدر:

لم يحدث خلاف أو جدال في القضاء والقدر العام الذي يشمل الكون كله، ونظامه وما يجري فيه من أحداث لا يد للإنسان فيها، ولا قدرة له على دفعها أو تغييرها، إذ هي جارية على نظام ثابت وسنن محكمة يقول الله – تعالى – فيها: ﴿...فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[1].

لقد كان الجدل والخلاف في القضاء والقدر الخاص بأفعال العباد: حسنها وسيئها، صالحها وفاسدها، وكانت دعوى هؤلاء أن الأمور المتعلقة بأفعال العباد لم تُقْضَ أزلاً، ولم تُكْتب في كتاب المقادير (اللوح المحفوظ) ولم يعلمها الله – تعالى – قبل وجودها، وزعموا أن العبد يخلق أفعاله بنفسه، وأن الله – تعالى – لا دخل له في ذلك ولا عمل، وقالوا: كيف يعمل الله الضرّ وهو ينهى عنه ويحرمه. وهذا هو أساس شبهتهم التي بنوا عليها مذهبهم، وأضافوا إلى ذلك شبهة أخرى، وهي قولهم: كيف يخلق الله أفعال العباد ثم يعاقبهم عليها؟! وأصبحوا بهذا يعرفون بالقدرية، أي نُفاة القدر[2].

ويلزم على مذهبهم أن العبد ما دام يستقل بخلق أفعاله، فقد أصبح رباً يخلق ما أراد من الأفعال، ويبطل على ذلك توحيد الله الذي هو أصل الدين الإسلامي وأساسه، ومن هنا سُمُّوا مجوس الأمة، لتعدد الخالقين بحسب مذهبهم في أن الإنسان خالق أفعاله بمقتضى قدرته وعلمه، لا بمقتضى قدرة الله وعلمه. وكلامهم هذا.. رد صريح لقوله الله – تعالى –:

﴿...أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[4].

وقوله:

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[5].

فكانوا بذلك مجوساً لإثباتهم خالقين مع الله – تعالى – في الكون، وقد روى أحمد وأبو داود بسند حسن أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[6].

وعلى العكس من نفاة القدر كانت طائفة الجبرية[7] من المعتزلة، وحقيقة مذهبهم أن الإنسان لا يخلق

---

(١) سورة فاطر من الآية ٤٣.

(٢) ظهر ذلك في حدود المائة الأولى من الهجرة، قال به وأظهره ودعا إليه غيلان الدمشقي حتى قتله هشام بن عبدالملك، وقد قيل أول من تكلم بذلك رجل نصراني أسلم وأخذ عنه معبدالجهني وغيلان الدمشقي، وقد اليرى لهم الحسن البصري بالرد عليهم نافياً كون القدر نافياً للاختيار.

(٣) سورة الأعراف من الآية ٥٤.

(٤) سورة الصافات الآية ٩٦.

(٥) سورة الأنعام الآية ١٠٢.

(٦) رواه أبو داوود في كتاب السنة ج٤٠٧١.

(٧) وأول من ظهر منهم الجعد بن درهم، وكان قد تلقى مذهب الجبر من يهودي من يهود الشام، وتلقاه عنه الجهم بن صفوان رئيس الطائفة الجهمية نفاة الصفات، المعطلين لها حتى لا يشبه الله الناس، وقولهم بخلق القرآن، وأن الإنسان مجبور كالريشة في مهب الريح، وتدعو إلى التعطيل وترك العمل والركون إلى القدر، لأن الإنسان لا عمل له ولا قدرة (حسن أيوب. مع رسل الله وكتبه واليوم الآخر)، (أبو بكر الجزائري عقيدة المؤمن). وقد نابت القدرية والجبرية في غيرها من المذاهب، وظهر على أثرها مذهب المعتزلة.

أفعاله، ولا ينبغي أن تسند إليه إلا على سبيل المجاز فهي نسبة فعل لا نسبة إرادة واختيار، إذ هي أفعال الله – تعالى – أجراها على يد العبد دون إرادة من العبد ولا اختيار.

ويلزم على هذا المذهب أن العبد غير مؤاخذ على أفعاله، وأنه لا يعاب منه فعل، ولا يلام عليه، ولو كان بغاية القبح والفساد، ولذا- كان مذهبهم أشد فساداً وأشد شراً من نفاة القدر، فإن عقيدة الجبر هذه تلغي التبعية عن العبد فيما يرتكب من معاص وفيما يقارف من ذنوب، وتجعله معذوراً أمام نفسه، وكم قعد هذا المعتقد الخاطئ الفاسد بكثير من المسلمين عن العمل الجاد النافع، وهانوا، وأصيبوا بكل قاصمة للظهر، حتى أصبحوا المثل في العجز والكسل والتخلف في ميادين العمل والإنتاج، وأفسدوا على الناس دينهم ودنياهم، ولك أن تتصور المصير المظلم للمسلمين لو أخذوا بهذا المذهب المعطل الفاسد.. ماذا كان يحدث للحياة!!

وهناك مذهب ثالث لفرقة تردد أتباعها بين إثبات القدر ونفيه، والقول بالجبر وعدمه، وأصبحوا بمذهبهم هذا أشر من إبليس لأنهم يعترضون على الله – تعالى – وينسبون الظلم إليه وهو المنزه عن الظلم، البعيد عن كل نقص سبحانه جلّ وعلا. وسميت هذه الفرقة بالإبليسية لأنها أشر من إبليس[1].

ولكن الله – تعالى – هدى أهل الإيمان والتقوى إلى الحق الذي اختلفت فيه تلك الفرق، فضلّت عنه وجانبته، وعاشت بعيدة عنه، وهي ما بين مجوسية نافية للقدر، وجبرية معطلة للشرع، منكرة للعقل، وبين إبليسية معترضة على الله – تعالى – في قدره، نافية لمشيئته وحكمته وحسن تدبيره.

ثمرات الإيمان بالقضاء والقدر:

إن للإيمان بالقضاء والقدر ثمرات عظيمة، وفوائد جمة، ومحاسن عديدة، يعتبر أثرها في سلوك المؤمن رائعاً، ويكون قلبه باليقين عامراً، ونفسه بقدر الله مطمئنة[2]، وأهم هذه الثمرات:

١ – **الصبر والرضا:** فالإيمان بالقضاء والقدر يحمل المؤمن على الصبر والرضا والتسليم لله – تعالى – قال – سبحانه –:

﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝١٥٥ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝١٥٦ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[3].

وكان عمر بن عبدالعزيز يقول: ما تركتني هذه الدعوات ولي سرور في غير مواقع القضاء والقدر: «اللهم رضّني بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت»[4].

٢ – **طمأنينة النفس:** الإيمان بالقضاء والقدر يورث المؤمن طمأنينة النفس، وراحة البال، ويقضي على القلق واليأس، لأن المؤمن يعتقد بسعة علم الله – تعالى –، وأن الخير فيما اختاره كله بيده سبحانه. قال – تعالى –:

﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[5].

---

(١) عقيدة المؤمن – أبو بكر الجزائري.
(٢) البيان في أركان الإيمان – مجد مكي.
(٣) سورة البقرة الآيات من ١٥٥-١٥٧.
(٤) ابن رجب الحنبلي.
(٥) سورة البقرة من الآية ٢١٦.

فالعبد جاهل بعواقب الأمور، عاجز عن تحصيل كل مصالحه، ودفع مضاره بنفسه ولهذا شرعت صلاة الاستخارة في الأمور الدنيوية كلها.

٣ - **دعوة المؤمن إلى العمل والسعي:** الإيمان بالقضاء والقدر يدفع المؤمن إلى العمل والسعي، فهو يفكر دائماً في المستقبل فلا يأسى ولا يحزن على ما فات، وهو على ثقة بأن ما حدث لا يمكن تغييره، ولا يشغل نفسه بالماضي كثيراً إلا بمقدار ما يكتسب منه العبرة.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل (لو) أني فعلت كنا كان كذا وكذا، ولكن قل: قدّر الله وما شاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»[١].

٤ - **الشجاعة والإقدام:** الإيمان بالقضاء والقدر يبعث في المؤمن الشجاعة، والإقدام لأنه يعلم أن أجله مكتوب... لا ينقصه الإقدام، ولا يزيده الإحجام، فتقوى عزيمته، ثقة بأن كل شيء بقدر، وكل صغير وكبير مسطّر، وأن الله - تعالى - فرغ من تقدير الأرزاق والآجال، فيقوى على استقبال الشدائد، ويقدم على أداء الواجب على الوجه الأكمل، وفي أذنيه دوي التوجيه الإلهي، قال - تعالى -: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٢].

وبذلك يتحرر المؤمن من الحزن، ولا يذل إلا لله، لأن الله وحده هو الذي يملك رزقه وأجله وأمره كله.

٥ - **ثبات المؤمن أمام الابتلاء بالخير والشر:** فالإنسان إذا أصابه الخير بطر واغتر، وإذا أصابه الشر ونزل به البلاء جزع وحزن، ولا يعصم الإنسان من البطر والطغيان إذا أصابه الخير، والجزع والهلع إذا أصابه الشر، إلا الإيمان بالقضاء والقدر، قال الله - تعالى -:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٣].

ومن هنا.. نجد الإنسان المؤمن بالقدر.. ثابت الأخلاق لا تبطره النعمة، ولا تضعضعه المصيبة.

٦ - **الكرامة وعزة النفس:** فالإيمان بالقضاء والقدر يربي المسلم على الشعور بالكرامة وعزة النفس، فلا يرضى لنفسه الذل والهوان، ولا يصبر على الهزيمة والعدوان.

ومن أدعية النبي - صلى الله عليه وسلم - التي علمها لأصحابه: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدَّيْن وقهر الرجال»[٤].

---

(١) رواه مسلم في كتاب القدر حديث رقم ٤٨١٦.
(٢) سورة التوبة الآية ٥١.
(٣) سورة الحديد الآيتان ٢٢-٢٣.
(٤) رواه أبو داود في كتاب الصلاة حديث رقم ١٣٣٠.

المسلم يعتقد أن:

- الإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان.
- كل ما يقع في هذا الوجود يجري وفق علم الله وتقديره منذ الأزل.
- ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه.
- الإيمان بالقضاء والقدر يلزمه الإيمان بعلم الله الشامل، ومشيئته النافذة وقدرته القادرة، وإرادته الخالقة، وأن كل ما يجري مكتوب في اللوح المحفوظ.
- المخلوقات كلُّها قبلت أن تكون مقهورة، ورضي الإنسان والجان أن يكونا قادرين على الطاعة والمعصية.
- للإيمان بالقضاء والقدر ثمرات عظيمة، وفوائد جمة، ومحاسن عديدة.

التقويم

أ – أجب عن الأسئلة الآتية:

س١ – وضّح مفهوم القدر، أيد إجابتك بالاستشهاد من القرآن الكريم.

س٢ – للعلماء تعريفات لتوضيح الفرق بين القضاء والقدر، ناقش هذه العبارة في ضوء دراستك للموضوع، مع استيعاب كل ما ورد في ذلك.

س٣ – على أي الصفات الإلهية قامت عقيدة القضاء والقدر؟

س٤ – كيف أوجب الإسلام الإيمان بالقضاء والقدر؟ وما المقصود بهذا الإيمان؟ وما حقيقته؟

س٥ – عدّد مراتب الإيمان بالقدر، ثم ناقش واحدة منها في ضوء دراستك للموضوع.

س٦ – ما الفرق بين الإنسان وبقية المخلوقات من حيث القهر والاختيار؟

س٧ – وضّح مذهب السلف في القضاء والقدر، وما أثر ذلك في نفوسهم؟

س٨ – حدث جدل في القضاء والقدر الخاص بأفعال العباد، ومن جرّاء ذلك تكونت فرق ضالة، علق على هذه العبارة.

س٩ – للإيمان بالقضاء والقدر ثمرات عظيمة، اذكر أربعاً منها.

ب – علل ما يأتي:

١ – علاقة علم الله وإرادته بالقدر.

٢ – الإيمان بالقدر وحث الإسلام على العمل.

٣ – الإيمان بالقضاء والقدر يبث الطمأنينة في قلوب المؤمنين.

٤ – من ينكر القضاء والقدر يعتبر كافراً.

٥ – وجوب الرضا والتسليم لله سبحانه وتعالى.

٦ – مشيئة الله – تعالى – ابتلاء بني آدم بالهداية أو الضلال.

٧ – الإنسان مخير غير مقهور.

٨ – تسمية بعض الفرق الضالة بمجوس الأمة.

ج – صل بين عبارات المجموعة (أ) وما يناسبها من عبارات المجموعة (ب) فيما يأتي:

(أ)	(ب)
– الله تعالى ربط الوجود كله بقانون السنن	صفات الجلال والكمال والتحميد.
– يجب الإيمان بأن ما أراده الله – تعالى –	لو شاء الله – تعالى – لقذف الهدى في قلوب عباده.
– لو اجتمعت الأمة على أن يضروك لم	يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك.
– أوجب الإسلام لله – تعالى –	وقدره مكتوب في اللوح المحفوظ.
	الذي يحكم كل أجزاء الكون على حد سواء.
	أن هذا الشخص أثر الغي على الرشاد.

د – ارجع إلى كتاب (عقيدة المسلم) للشيخ محمد الغزالي، أو (عقيدة المؤمن) للشيخ أبي بكر الجزائري، أو (تبسيط العقائد) للشيخ حسن أيوب، ثم أجب عما يأتي:

س١ – كيف توفق بين قول الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا..﴾[1]، وقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»؟

س٢ – ما مدى خطأ هذه العبارة: «ما دام كل شيء قد جرى به القلم، وسبق به الكتاب، ولا تبديل لكلمات الله.. فلا جدوى إذن من السعي والعمل، ما دام وقوع القدر كائناً لا محالة».

س٣ – ما مدى صحة هذه العبارة: «الإنسان يدفع قَدَر الجوع بِقَدَرِ الأكل، وقَدَر الفقر بِقَدَر العمل، وقَدَر الفشل بِقَدَر النجاح، وقَدَر المرض بِقَدَر تناول الأدوية».

* * *

(١) سورة التوبة من الآية ٥١.

أسس قيام المجتمع المسلم

ونتناوله من خلال الدروس الآتية:

الدرس السادس: المجتمع المسلم تحكمه عقيدة واحدة.
الدرس السابع: قيام المجتمع المسلم على أسس من النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.
الدرس الثامن: الإسلام يكفل لأتباعه الحرية والعمل والحماية.
الدرس التاسع: التكافل الاجتماعي نظام إسلامي.

المجتمع المسلم تحكمه عقيدة واحدة

التمهيد:

سلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منهجاً فريداً في بناء الفرد المسلم والجماعة المسلمة، وصولاً إلى تكوين مجتمع عزيز قوي، وأمة فاضلة خيرة، فجعل أسباب القوة في عقيدة التوحيد، والتي تدين بالعبودية والربوبية لله رب العالمين وقد حاول الرسول – صلى الله عليه وسلم – جاهداً أن يصل الناس بربهم على تلك العقيدة، وأن يتواصل الناس فيما بينهم على مكارم الأخلاق، فأمر الناس أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به شيئاً، وتعني عبادته أن يطيعوه فإليه مرجعهم، وأن يشكروه فهو وليُّ نعمهم، وأن يحبوه فهو راحمهم، وأن يهابوه فهو معاقبهم، وينبغي أن ينفرد الله وحده بهذا مصداقاً لقوله تعالى:

﴿وَمَا أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ...﴾[1].

أسس بناء المجتمع المسلم:

لقد قام المجتمع المسلم على أسس ثابتة وحّدت القلوب ونظّمت العلاقة بين الإنسان وخالقه، وبين الإنسان والكون، وبين الإنسان والمجتمع، وفي مقدمة هذه الأسس الإيمان بالله تعالى.

فالله واحد لا شريك له، وكل المسلمين يؤمنون به سبحانه وتعالى، فهو خالق الكون ومبدعه، وخالق الإنسان ومصوره ﴿...وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ...﴾[2] وهو سبحانه الذي يعطي ويمنع ويضر وينفع... قال تعالى:

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[3].

وهذه العقيدة هي التي تنبثق عن الحقيقة الكبرى «الإيمان بالله تعالى» وهي:

- **أن الله وحده خالق الكون وما فيه...**

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ...﴾[4].

- **وأنه وحده المستحق للعبادة... قال تعالى:**

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾[5].

---

(١) سورة البينة من الآية ٥.
(٢) سورة غافر الآية ٦٤.
(٣) سورة الأنعام الآية ١٧.
(٤) سورة فاطر من الآية ١.
(٥) سورة الزمر الآية ٦٤.

- وأن المؤمنين بهذا الدين وهذه العقيدة إخوة:

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ...﴾[1].

وعلى أساس هذه العقيدة كان التفاني في الطاعة والصلاح، وبذل الخير، وإيثار الغير والتراحم، والتكافل، مُمَكِّنٌ للمحبة والوحدة وحسن التآخي بين المسلمين، وكان سبباً داعياً لإقبال غير المسلمين على الدخول في دين الله.

إن العقيدة إذا تمكنت من القلب وألقت على النفس الإنسانية ظلالها، لم ير المسلم في كل خطوة يخطوها أو عمل يعمله إلا هدى الله فيترسمه، ورضوانه فيسعى إليه وخشيته وحده تملك عليه كل جوارحه، ويتولد في داخله حينئذ رقيب يصده عن الانحرافات والهوى، ويرده إلى حظيرة الحق في ظل طاعة الله ومحبته، وهكذا يتربى المسلم في كَنَف الإسلام يعرف حقه وواجباته وواجبات الآخرين وحقوقهم، ولا يفرط في شرع الله، ولا يجاوز حدوده، ولا يغافل الناس، فيخص نفسه بما ليس له، أو يمنع عنهم شيئاً هو لهم.

فعن سفيان بن عبدالله الثقفي قال: قلت يا رسول الله: قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك، قال: «قل آمنت بالله ثم استقم»[2].

وما أعظم المكافأة عندئذ... قال - تعالى -:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾[3].

علاقة الفرد مع ربه عزّ وجلّ:

الأساس الذي تقوم عليه علاقة العبد مع خالقه - سبحانه وتعالى - هو كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» ومعناها لا معبود يستحق العبادة غير الله - عزّ وجلّ -، ومن مظاهر عبودية الفرد لربه أن يتوجه إليه في كل شؤونه وأحواله بالتوكل عليه، والثقة به، والخوف منه، والإنابة إليه وتنفيذ شرعه وإقامة دينه، وهذه العبادات تنظم علاقة الفرد بربه، وتظهر عبوديته لله - تعالى -.

فالعبادات تزكي النفس وتهذبها، ومراقبة الله - عزّ وجلّ - في السرّ والعلن تجعله ينزجر عن المعاصي ويسارع إلى أعمال البر، وفي ذلك مدعاة لاستقرار المجتمع، بل تعمل العبادة على زيادة الصلة بين الفرد والمجتمع وتؤدي إلى تعارف أفراد المجتمع وتحسس مشكلاتهم، وبذلك يظهر في المجتمع العدل، والأمانة، والوفاء، والصدق، والكرم، والتعارف، والإيثار، وغيرها من الأخلاق الحميدة.

فمتى انتظمت العلاقة بين الفرد وربه - عزّ وجلّ -، انفتح باب عظيم للعلاقة بين الفرد والمجتمع، وأساس هذه الرابطة عبادة الله - عزّ وجلّ - وتوحيده.

---

(١) سورة الحجرات من الآية ١٠.

(٢) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٥٥.

(٣) سورة فصلت الآيات من ٣٠-٣٢.

التقويم

أ – أجب عن الأسئلة الآتية:

س١ – لماذا سلك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – منهجاً فريداً في بناء الفرد المسلم والجماعة المسلمة؟

س٢ – ما المنهج الذي جعله رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أساساً ليصل الناس بربهم؟

س٣ – لماذا كان الإيمان بالله – تعالى – من الأسس الثابتة في قيام المجتمع المسلم؟

س٤ – وضِّح أثر العقيدة حين تتمكن من القلب.

س٥ – من الأسس الثابتة في قيام المجتمع المسلم علاقة الفرد مع ربه – عزَّ وجلَّ –، فما مفهوم هذه العلاقة؟ وعلى أي شيء تقوم؟

س٦ – ما أثر العبادات في تزكية النفس وتهذيبها؟

ب – ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة فيما يأتي:

١ – إن عبادة الناس لله تعني أن يطيعوه ويشكروه ويحبوه ويهابوه. ( )

٢ – في مؤخرة أسس قيام المجتمع المسلم الإيمان بالله – تعالى –. ( )

٣ – الله – تعالى – خالق الكون وهو المستحق وحده للعبادة. ( )

٤ – التفاني في الطاعة وبذل الخير والإيثار من ثمرات الإيمان بالله تعالى. ( )

٥ – حين يتربى المسلم في كنف الإسلام لا يعرف حقوقه وواجباته. ( )

جـ – وضِّح المفاهيم الآتية باستكمال العبارات بجمل مناسبة:

- لا إله إلا الله، معناها: .....
- من مظاهر عبودية الفرد لربه أن .....
- الأسس الثابتة التي قام عليها المجتمع المسلم وهدت .....

.....

.....

* * *

الدرس السابع

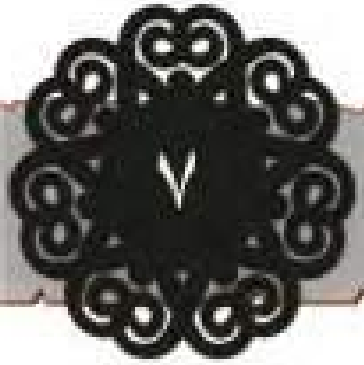

قيام المجتمع المسلم على أسس من النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

التمهيد:

يقوم المجتمع المسلم على أسس من النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

أولاً – الأساس الاجتماعي:

تحول المجتمع الإنساني بفضل الإسلام تحولاً تاماً، وتغير فيه كل شيء، وأصبح له بعد الإسلام صورة أخرى مغايرة تماماً في كل شيء لمجتمع ما قبل الإسلام.

ولقد عرف الإنسان قبل الإسلام كثيراً من الحضارات لم تخل بعضها من هداية السماء في بعض الجوانب، ومما يناسب أهل عصر من العصور، أو طائفة من البلاد في جوانبها الأخرى.

وكانت كل طائفة من الناس تحيا في بقعة من الأرض حياة تختلف في كثير أو قليل عن طائفة ثانية تعيش في بقعة أخرى، لا توجد بين الناس نظم واحدة، ولا تحكمهم أهداف متحدة أو متقاربة، ولا تربط بينهم علاقة تدنيهم (تقربهم)، أو عواطف تجمعهم، أو مصالح مشتركة يعملون يداً واحدة لتحقيقها، حتى تبدّى نور الإسلام وأشرقت على الإنسان حضارته، معلنة ذلك في وضوح بيّن. قال الله – تعالى –:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1].

إن الأساس الاجتماعي الذي قام عليه المجتمع المسلم تمثّل أولاً في الحرية التي كفلها الإسلام لمن يؤمن بعقيدته، ويعمل بشريعته، بحيث يعيش في رحاب الأمة الإسلامية عزيزاً كريماً، ولهذا فقد صان الإسلام له الحقوق التي تحفظ له وجوده، وتصون كرامته، ولا يستطيع مجتمع أن يؤدي رسالته في الحياة إلا إذا تمتع أبناؤه بحرياتهم، فانطلقوا يعمرون الكون، ويبنون الحضارة.

بعض الجوانب الاجتماعية:

لقد ربى الإسلام أتباعه على الفضائل ومكارم الأخلاق، ودعاهم إلى التمسك والتحلي بها، إذ في ظل هذه التربية، وفي نطاق الشريعة السمحة وأحكامها وضوابطها نرى المسلم يعيش في ظلها ويتعامل مع الآخرين في ضوئها، فلا غش ولا كذب ولا احتيال، ولا غبْن، ولا إيثار للنفس بشيء دون الناس، ولا اغتصاب ولا عدوان.

بل أكثر من ذلك عرف المسلم أن عليه أن يبذل، وأن يعطي، وأن يؤثر، ويطبّق آيات الله في حياته فجرت في دمه، وتفجرت جوانب الخير على يديه حتى غمرت كل من حوله. قال الله – تعالى –:

---

(١) سورة الأعراف من الآية ١٥٨.

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰ﴾[1].

وقال تعالى:

﴿...وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[2].

وكما عُني الإسلام ببناء الفرد بناء متماسكاً قوياً في الجوانب والنواحي كافة، عُني كذلك بالأسرة ووضع لها نظاماً دقيقاً محكماً يكفل لها السلام والاستقرار، وشرّع من الأحكام ما يكفل لكل فرد من افرادها حقه كاملاً غير منقوص في حياة عزيزة كريمة، وبيّن كيفية تكوين الأسرة، فشرع أحكام الزواج، وبيّن حقوق كل من الزوجين وواجباته قبل الآخر، ثم بيّن حقوق الأبناء من رعاية وتربية وإنفاق.

والمرأة داخل المجتمع الإسلامي تمتعت - لأول مرة على مدار الحياة - بكل ما يليق بها كإنسانة مساوية للرجل في الحقوق والواجبات الشرعية كافة التي تتناسب مع تكوينها وكرامتها.

وحدد الإسلام عدد الزوجات، وكان من قبل بلا تحديد، وجعل للمرأة حق فراق زوجها إن ساءت عشرته لها، واستحال قيام الزوجية بينهما على الأساس الذي شرعه الله، قال - تعالى -:

﴿...وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً...﴾[3].

وإذا كان الإسلام قد عُني بالمسلم فرداً وأسرة وجماعة وبيّن الحقوق والواجبات، وكشف للناس مناهج الحق، ومسارب الباطل، وأقر الإنسان على حريته وكفلها له، ووقف في وجه الرق يسد منافذه، ويفتح أمام من كان مسترقاً مسالك الحرية... إذا كان الإسلام قد شرع ذلك فما ترك غير المسلمين في مجتمع الإسلام إلا وقد نشر عليهم راية أمنه، وحماهم بين أبنائه، وكفل لهم حرية العبادة والحياة والعمل، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وأسقط عنهم أعباء مالية يقدمها أهلوه ديناً وتعبُّداً، وأخذ منهم الجزية مقابل حمايتهم واستمتاعهم بالمرافق العامة للمسلمين وعلى الأسس التي مر بك ذِكْرُها قام المجتمع الإسلامي وشمخت حضارته عدلاً ومساواةً، وعلماً، ونهوضاً، وإنسانيةً.

ثانياً - الأساس الاقتصادي:

ما قام في الإسلام جانب من الجوانب يرسم للمسلم حياة سعيدة آمنة مستقرة إلا وكانت العقيدة أساسه، والتناسب مع فطرة الإنسان قصده ومنهاجه. وليس الجانب الاقتصادي بدعاً يشذ عن هذا السبيل القويم، وإنما هو في أساسه وأصوله، ومبادئه، وخصائصه، يلتزم بذلك ويؤكّده.

ولقد بُني هذا الأساس على حقائق ثابتة استقرت في وجدان المسلمين وعقولهم، وأصبحت مصدر حركتهم في الحياة، وهذه الحقائق هي:

---

(١) سورة الليل الآيات من ٥-١١.
(٢) سورة الحشر من الآية ٩.
(٣) سورة الروم من الآية ٢١.

١ – المال أحد المصادر الرئيسة التي تحقق مطالب الإنسان:

أ – إن المال أحد المصادر الرئيسة التي تحقق مطالب الإنسان ويتم به إشباع حاجاته وإسعاد ذريته. قال تعالى:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا...﴾[١].

ب – إن المال من عند الله والإنسان مستخلَف فيه. قال تعالى:

﴿...وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ...﴾[٢].

جـ – المسلم لا يطلب المال إلا من خالقه سبحانه وتعالى؛ لأنه هو الغني وعبيده فقراء إليه. قال تعالى:

﴿...فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣].

وقد طمأن الله عباده المؤمنين، فهم في رحابه لا يخشون فقراً ولا يخافون حاجة، قال تعالى:

﴿...وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٤].

ولهذا كان الإنفاق من هذا المال إتفاقاً من مال الله. قال تعالى:

﴿...وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ...﴾[٥].

٢ – العمل هو وسيلة الحصول على المال:

– إن الله أمر الإنسان بالعمل كوسيلة للحصول على المال. قال تعالى:

﴿...فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[٦].

– كما أمر الإسلام بالاستثمار الحلال، فدعا إلى إحياء الأرض الميتة، قال – صلى الله عليه وسلم –: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له»[٧].

– كما صان الإسلام للعاملين حقهم فأمر أصحاب العمل بالوفاء بالأجور حتى تظل العلاقة بين الناس ثابتة قوية تبعث على الاستقرار والأمن. قال – صلى الله عليه وسلم –: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه»[٨].

٣ – حق الجماعة المسلمة في المال:

وهي التي بُني عليها الاقتصاد الإسلامي، ويتجلى ذلك في أمور هي:

أ – الزكاة، حيث يؤدي المسلم زكاة ماله إلى أصحاب الحق فيها، استجابة لقول الله تعالى:

﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا...﴾[٩].

ب – صدقة التطوع، وهي التي يجود بها الفرد بماله تقرباً إلى الله – تعالى – وطاعة له. قال – تعالى –: ﴿...وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[١٠].

---

(١) سورة الكهف من الآية ٤٦.
(٢) سورة الحديد من الآية ٧.
(٣) سورة العنكبوت من الآية ١٧.
(٤) سورة التوبة من الآية ٢٨.
(٥) سورة النور من الآية ٣٣.
(٦) سورة الملك من الآية ١٥.
(٧) رواه الإمام أحمد في باقي مسند المكثرين حديث رقم ١٤١٠٩.
(٨) رواه ابن ماجة في كتاب الاحكام حديث ٢٤٣٤.
(٩) سورة التوبة من الآية ١٠٣.
(١٠) سورة سبأ من الآية ٣٩.

وتزداد دعوة الإسلام إلى هذه الصدقة عندما تزداد الحاجة إليها ويشعر المسلمون بحاجة إخوانهم الفقراء، أو المساعدة في تكاليف الجهاد وغيره.

جـ - الإيثار. والذي يراه الله وحده، ويجود به المؤمن الذي يراقب ربه ويخشاه، موقناً بأن ما عند الله خير وأبقى، وذلك كما فعل أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - عندما قدم ماله في سبيل الله، فيقول له رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «وما أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟» فيقول: «أبقيت لهم الله ورسوله»(١).

د - تحريم كنز المال. جعل الله المال وسيلة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية كما جعل له وظيفة في تقدم المجتمع ونمائه، من أجل هذا حرّم الإسلام اكتنازه لما في ذلك من تعطيل لحركة الحياة. قال - تعالى -:

﴿...وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾(٢).

ووردت أحاديث شريفة تهدد البخلاء وتتوعدهم بأسوأ مصير. قال - عليه الصلاة والسلام -: «من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مُثّل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه - يعني بشدقيه - ثم يقول: أنا مالك، أنا كنزك». ثم تلا قوله تعالى:

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(٣).

ولم يترك الإسلام جانباً من جوانب الحياة المالية دون أن يضع حوله أسواراً تحميه من الحيرة عن طريق الحق وسبيل الله الذي شُرّع فللعامل حقه الذي لا ينتقص ولا يضيع، والمعاملات بين الناس تحكمها السماحة ويظللها التعاون وتحوطها الأمانة، وينتفي عنها خبث الغش، والاحتكار، والاستغلال والربا والمقاييس والمكاييل والموازين غير المنضبطة.

قال تعالى: ﴿...وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ...﴾(٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾(٥).

وقال تعالى: ﴿...وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا...﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ...﴾(٧).

---

(١) رواه الترمذي في كتاب المناقب حديث ٣٦٠٨.
(٢) سورة التوبة الآيتان ٣٤-٣٥.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٨٠ والحديث رواه البخاري في كتاب الزكاة حديث ١٣١٥.
(٤) سورة الأعراف من الآية ٨٥، وسورة هود من الآية ٨٥.
(٥) سورة النساء من الآية ٥٨.
(٦) سورة البقرة من الآية ٢٧٥.
(٧) سورة الإسراء من الآية ٣٥.

وإذا كان للمسلم أن ينفق المال بحرية كاملة في نطاق ما أباح الله وشرع، فإن واجبه أيضاً أن يلتزم الحدود الواضحة، والضوابط البينة، وإذا كان الإسراف في المباح مرفوضاً، فإن الإنفاق في المفاسد والحرام مرفوض من باب أولى، وإذا حرّم الله على المسلم اكتساب المال من غير حله، أو استثماره في غير مباح، فإن أبواباً للإنفاق مغلقة دون المسلم ليس له أن يقربها، بل ليس له أن يسمح بوجودها في مجتمعه.

ثالثاً – الأساس السياسي:

لقد قام المجتمع الإسلامي على أساس الإيمان بالله الخالق وانبثقت أول حكومة إسلامية بالمدينة، ونفذ المسلمون بينهم وبين غيرهم منهج الله – سبحانه وتعالى –، واحتكموا في قضاياهم إلى كتاب الله وسنة رسوله لقوله – صلى الله عليه وسلم –: «تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه»[1].

إن الإسلام فوق كل شيء، وقبل كل شيء، دين وضحت قواعده، واستبانت أحكامه، يقوم أول ما يقوم على عقيدة راسخة في أعماق المسلم وتفكيره، يرد إليها كل فعل، ويستلهم هداها مع كل خاطر، ولا يبرم أمراً من أموره الخاصة أو العامة إلا وكانت كلمتها هي الوسيلة والغاية معاً.

في هذا الإطار، قامت الحكومة الإسلامية، على قواعد واضحة ضابطة، تقوم على أساسين مكينين لسياسة الأمة المسلمة، شورى وعدل، وأحكام لا تفرق بين ضعيف وقوي، فقير وغني، عربي وغير عربي.

ولم يحدد الإسلام أسلوباً معيناً للحكم وبحسب الحاكم أياً كانت الصورة التي تجيء به إلى الحكم، بحسبه أن يكون موضع اتفاق الأمة ورضاها ومحل بيعتها، لتكون طاعة الجميع له واجبة.

وللحكم في الإسلام مقاصده الواضحة، وأهدافه البينة.

مهام الحاكم في المجتمع الإسلامي:

١ – على الحاكم أن يحرس الدين ويحفظه، ويقيم أحكامه، ويسوس أمور الحياة على هديه، ويقيم العدل بين الناس، من غير تفريق بين أحد من رعيته، ويشيع الاستقرار والأمن في ربوع الأرض، ويهيئ للناس ما يحتاجون إليه في مختلف الشؤون، ويستثمر خيرات البلاد في ظل هدي الله – تعالى –.

٢ – وعلى ولي الأمر تقع تبعة الأمة كلها، في تقدير مصالحها وضروراتها، وتقدير ما يترتب على هذه المصالح والضرورات.

٣ – وتتمثل مهمة الحاكم في أنه وكيل الأمة في إقامة حدود الله، فحقه مرادف لحق الأمة ما قام بهذه الأمانة، ويتولى الإمامة، ويملك الأمر، وتجب له الطاعة فيما تدعو إليه مصلحة الأمة، وطاعته مقرونة بطاعة الله ورسوله، قال – تعالى –:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾[2].

٤ – والحاكم في المجتمع المسلم لا تميزه عن المحكوم حماية إلهية، ولا سلطة مقدسة، وإنما ترجع القداسة للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وهما الوحي الذي يحكم به.

---

(١) رواه الإمام مالك في كتاب الجامع حديث ١٢٩٥.

(٢) سورة النساء من الآية ٥٩.

والحاكم مطالب بالرحمة وحسن المودة، قال - تعالى -:

﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وعليه أن يرجع في تدبير أمور الأمة إلى أهل الخبرة.

أهمية الشورى في الإسلام:

وبالشورى تتجلى عظمة الإسلام وسموه في تقرير حق الإنسان في إبداء الرأي ما لم يمس أصلاً من أصول العقيدة والدين. ولم يحصر الإسلام الشورى في كيفية معينة، وذلك من مرونة تشريعه لاستيعاب كل جديد في عالم السياسة في دنيا البشر، قال - تعالى -: ﴿...وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ...﴾[2].

وقوله - تعالى -: ﴿...وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ...﴾[3].

والشورى كأساس للحكم الصالح، قضت على عدو الإنسانية، ومفسدها، وهو حكم الفرد. وحسبنا أن نجيل أبصارنا في عالمنا الحديث الذي يعاني ممن يحكم أموره أفراد، ويتحكم في شؤونه حكام، ولنرى بعد ذلك ما كان من شأن الشورى في حياة المسلمين.

العدالة في المجتمع الإسلامي:

والعدل شرعه الله في الناس منذ بدء الحياة على هذه الأرض، وكذلك كان العدل أساس كل حكم قرره الإسلام. وجرى عليه حال المسلمين؛ وذلك لأن أهم دعائم السعادة التي يسعى إليها البشر في أن يطمئن الناس على حقوقهم، ويأمنوا على أنفسهم وأموالهم.

والحاكم المسلم هو ظل كلمة الله العادلة، ووسيلة الحق - تبارك وتعالى - في إقامة حياة الناس على استقامة العدل، وتحت درع حمايته قال - تعالى -:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ...﴾[4].

وقال - تعالى -:

﴿...وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِٱلْعَدْلِ...﴾[5].

كما جعل الإسلام الإمام العادل ممن يستظلون بظل الله يوم القيامة كما أخبر بذلك الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حديثه الشريف: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...» منهم «الإمام العادل... إلخ»[6].

ولم يخص الإسلام بالعدل جماعة دون جماعة، ولا طائفة دون طائفة، لأن العدل نظام الله وشرعه، والناس كلهم خلقه وعباده.

ولقد أخذ غير المسلمين - في دولة الإسلام - مكانهم، وحصلوا على حريتهم، وكانت لهم كل الحقوق في ظل الإسلام وتحت رايته.

---

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٥.
(٢) سورة آل عمران من الآية ١٥٩.
(٣) سورة الشورى من الآية ٣٨.
(٤) سورة النحل من الآية ٩٠.
(٥) سورة النساء من الآية ٥٨.
(٦) رواه البخاري في كتاب الأذان حديث رقم ٦٢٠.

التقويم

أ – أجب عما يأتي في ضوء ما درسته:

س١ – صف حال المجتمع الإنساني قبل الإسلام.

س٢ – ما الأساس الاجتماعي الأول الذي قام عليه المجتمع المسلم؟

س٣ – وضح مفهوم الحرية الشخصية، واستدل على مشروعيتها في الإسلام.

س٤ – كيف ربى الإسلام أتباعه؟

س٥ – وضع الإسلام نظاماً دقيقاً محكماً يكفل للأسرة السلام والاستقرار؛ ناقش هذه العبارة في ضوء دراستك.

س٦ – لماذا كفل الإسلام لغير المسلمين حرية العبادة والعمل؟

س٧ – لقد بنى الإسلام الأساس الاقتصادي للمجتمع المسلم على حقائق ثابتة، اذكر هذه الحقائق، ووضح أثر كل واحدة منها في رخاء المجتمع المسلم.

س٨ – من عناصر الأساس السياسي للمجتمع المسلم.. الحاكم، فما المهام التي خصه الإسلام بها؟

س٩ – الشورى والعدل يعتبران من أسس قيام المجتمع المسلم، وضّح أثر كل منهما في حياة المجتمع.

ب – ما علاقة النصوص الآتية بموضوع أسس قيام المجتمع المسلم؟

١ – قال الله – تعالى –:

﴿... كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور: ٢١).

٢ – قال الله – تعالى –:

﴿... وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ...﴾ (الحشر: ٩).

٣ – قال الله – تعالى –:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ...﴾ (الكهف: ٤٦).

٤ – قال – صلى الله عليه وسلم –: «من أحيا أرضاً ميتة فهي له» رواه الإمام أحمد.

٥ – قال – صلى الله عليه وسلم –: «أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه» (رواه ابن ماجه).

جـ – وضّح معنى المفاهيم الآتية:

١ – الأساس الاجتماعي للمجتمع المسلم: .....

٢ – الشورى في الإسلام: .....

٣ – العدالة في المجتمع الإسلامي: .....

د – صل بين عبارات المجموعة (أ) وما يناسبها من عبارات المجموعة (ب) فيما يأتي:

(أ)	(ب)
- لا يستطيع مجتمع أن يؤدي رسالته في الحياة	نعمه، وماله، وعرضه.
- حرّم الإسلام كنز المال	من خالقه – سبحانه وتعالى –.
- المسلم لا يطلب المال إلا	الحاكم وكيل الأمة في إقامة حدود الله.
- كل المسلم على المسلم حرام	إلا إذا تمتع أبناؤه بحريتهم.
	لأنه وسيلة للتنمية الاقتصادية.

* * *

الدرس الثامن

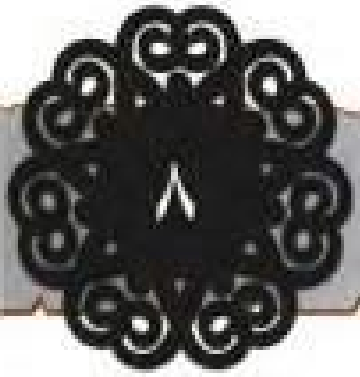

الإسلام يكفل لأتباعه الحرية والعمل والحماية

التمهيد:

لا شك في أن الإسلام منهج متكامل وشامل، يكفل لمن يأخذ به حياة كريمة، ويضمن له في الآخرة الجنة ورضوان الله.. وعلى المسلمين أن يستهدوا بهذا النهج في كل أمور حياتهم، مجتهدين ما وسعهم الاجتهاد في وضع الأنظمة التي تستنير بهديه، وتسير على هداه، على ألا يكون هذا الاجتهاد خاضعاً لأهواء مريضة، أو آفاق ضيقة، وإنما يكون الأخذ والاقتباس من نوره على بصيرة من الإيمان والعلم معاً.

ومما يكفله الإسلام - وسيلة إلى تحقيق إنسانية المسلم وخلافته في الأرض - الحرية، والعمل، والحماية.. وسنتناول كلاً من هذه الأمور بشيء من التفصيل، وذلك على النحو الآتي:

أولاً - حق الحرية:

كفل الإسلام لمن يؤمن بعقيدته، ويعمل بشريعته، أن يعيش في رحاب الأمة الإسلامية عزيزاً كريماً، ولهذا فقد صان له الحقوق التي تحفظ له وجوده، وتصون كرامته، ولا يستطيع مجتمع أن يؤدي رسالته في الحياة إلا إذا تمتع أبناؤه بحرياتهم، فانطلقوا يعمرون الكون ويقيمون الحضارة.

وتتجلى هذه الحرية في جوانب متعددة منها:

أ - الحرية الشخصية:

وهي أن يتمكن الإنسان من تسخير قدراته وإمكاناته فيما يحقق له المطالب الشخصية والاجتماعية دون عدوان على الآخرين، فيتمكن من عبادة الله وتعمير الكون وهما الغايتان اللتان من أجلهما خُلق الإنسان.

وفي تأكيد هذا الحق، وتنفيذه قال الرسول - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع: «أيها الناس ألا إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى»[1] كما ألغى الإسلام الرق، وحرَّم العدوان على النفس والعرض والمال.

قال - صلى الله عليه وسلم -: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله وعرضه»[2].

---

(١) رواه أحمد في باقي مسند الأنصار حديث ٢٢٣٩١.

(٢) رواه الإمام مالك، في كتاب البر والصلة والآداب حديث رقم ١٦٥٠.

ب - حرية العقيدة:

كرّم الله الإنسان بالعقل، وجعله أساس التكليف، قال - تعالى -:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾[1].

فحينما دعا الإسلام إلى الإيمان برسالته لم يكره الناس على اعتناقها، بل دعا إلى التأمل والنظر في الكون سبيلاً إلى الإيمان وطريقاً إلى معرفة الله خالق الكون.

قال - تعالى -:

﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

وأعلن في وضوح وجلاء حرية الإنسان في الإيمان.

قال - تعالى -: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾[3].

وأكد على حرية الاعتقاد...

قال - تعالى -: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾[4].

جـ - حرية التعبير:

قرر الإسلام للإنسان حرية التعبير، وحثه على أن يدلي برأيه لما فيه مصلحة المسلمين، بل جعل كلمة الحق من أفضل الجهاد عند الله، قال - صلى الله عليه وسلم -: «إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[5].

وأمر المسلم بإسداء النصيحة لما فيه مصلحة المسلمين.

قال - صلى الله عليه وسلم -: «الدين النصيحة. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[6].

وقد طبق الخلفاء الراشدون هذا فأعلنوا في وضوح امتثالهم لمبادئ الإسلام، وربّوا المسلمين على حرية التعبير، والنقد السليم، فعن أبي بكر - رضي الله عنه - قال حين وُلّي الخلافة: (إني قد وُليت عليكم ولست بخيركم، إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم).

كما أكد الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - هذه الحقيقة، فقال: (من رأى فيّ اعوجاجاً فليقومه، فأجاب أحد الناس والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا، فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - من يقوّم اعوجاج عمر بالسيف).

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٠.
(٢) سورة يونس الآية ١٠١.
(٣) سورة الكهف من الآية ٢٩.
(٤) سورة البقرة من الآية ٢٥٦.
(٥) رواه الترمذي في كتاب الفتن حديث ٢١٠٠.
(٦) رواه مسلم، في كتاب الإيمان حديث ٨٢.

ثانياً - حق العمل:

يقول الله - تعالى -:

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[1].

ويقول أيضاً:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾[2].

وهكذا دعا الإسلام إلى العمل، كوسيلة إلى الإنتاج والكفاية، وجعل العمل سبيلاً إلى خيري الدنيا والآخرة، والإسلام يجمع بينهما في نسيج متماسك فلا دين لمن لا دنيا له.

والإسلام يدعو إلى الانتفاع بما في الأرض من ثروة، والاستفادة بما فيها من خير، فقد ذللها الله سبحانه للناس، ويسّر السعي فيها، وفي الآية الكريمة التي تقدمت ربط قوي بين هذا العمل الدائب في سبيل الإنتاج والاستثمار، وبين الإشارة إلى البعث والحساب لأن الإنسان إذا علم أنه سيحشر يوم القيامة ليسأله ربه عن سعيه وعمله، إذا علم الإنسان ذلك أحسن عبادة ربه.

وقد رأينا أن للإسلام موقفاً واضحاً من مسألة الفقر، يخالف مواقف أخرى لأصحاب الديانات السابقة، فقد أزال عنه تلك القداسة التي كانت له، ومسح هذه القداسة من أصولها، حيث أنكر تعذيب النفس، وحرمانها من الطيبات. قال - تعالى -:

﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ...﴾[3].

ومن هذا المنطلق في الدعوة إلى العمل، والسعي في مناكب الأرض التي ذللها الله سبحانه، ويسّرها لعباده، وفي محاربته للفقر المذل لكرامة الإنسان، والمهدر لوجوده الكريم، يحب الإسلام للمسلم أن يعمل ويكسب ليأكل الطيب الحلال، ويكره له أن يكسل ويتكل على غيره.

قال - تعالى -:

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ...﴾[4].

ومن هنا فلا عُذر في المجتمع الإسلامي للقاعد عن العمل والكسب، وهو قادر عليه كما يقول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مِرَّة سوي»[5].

مفهوم الزهادة في الإسلام:

إن المجتمع الإسلامي يعمل على تأكيد السعي، ويلوم ابناءه على تحريم الحلال، والزهد في طيبات الدنيا، بل يؤاخذ الإسلام الإنسان إذا مد يده بالسؤال، ويحثه على طلب الرزق ولا يعتبره من الزاهدين.

---

(١) سورة الجمعة من الآية ١٠.
(٢) سورة الملك الآية ١٥.
(٣) سورة الأعراف من الآية ٣٢.
(٤) سورة التوبة من الآية ١٠٥.
(٥) رواه أحمد في باقي مسند الأنصار حديث ٢٢٠٩٩.

فعن سهل بن سعد الساعدي - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله دلّني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس، فقال رسول الله: «ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس»[1].

وليست فريضة الزكاة وحدها، حلاً لمشكلة الفقر، وإنما تُحل مشكلة الفقر بالعمل والسعي في طلب الرزق أخذاً بالأسباب، ويتعاون على تدبير وسائله ولاة الأمر، وطلاب الأعمال.

فالواقع أن العمل والإنتاج من مقومات المجتمع، وليس من مصلحة أي مجتمع أن يتقاعس أبناؤه عن العمل، لأن العمل أساس من أسس بناء المجتمع، وأي فرد يترك العمل، ويعتمد على كفالة غيره له، ويتفرغ للعبادة لا يحيذ الإسلام هذا منه، فقد رأى الرسول - صلى الله عليه وسلم - رجلاً متفرغاً للعبادة فسأل عمن يعوله، ولما علم أن أخاه ينفق عليه، قرر أن أخاه أعبد منه. فحرص الإسلام على عمل الأفراد، حرصاً منه على بناء المجتمع القوي المتماسك وجهد الحاكم ومسؤوليته في إيجاد مجالات العمل للأفراد من المسلمين، إنما هو جزء من مسؤوليته أمام الله وأمام الناس. فعليه أن ينشئ المصانع والمزارع وأن يدعو إليها لإيجاد مجالات العمل لأفراد المجتمع المسلم.

ثالثاً - حق الحماية:

وكذلك يكفل الإسلام، لكل من يحيا في ظله حق الحماية بالحفاظ على الأموال، والأعراض، والأنفس، والعقول، والدين، وذلك بإيجاد الوازع الديني والنفسي لدى الجماعة المسلمة بقدسية هذه الكليات الخمس، والتخويف الشديد من عذاب الآخرة الذي ينتظر من ينتهك شيئاً من حرماتها، وكذلك يحمي الإسلام أفراد المجتمع من التعدي عليها بعقوبات رادعة، وبذلك يجتمع وازع من الدين بتربية الضمير، تربية تقدس هذه الحرمات، ووازع من السلطة لردع الغواة الذين ينحدرون بإنسانيتهم إلى التعدي على هذه المقدسات.

أ - حماية الأموال:

يحرص الإسلام على أمن كل امرئ على ماله وما يمتلكه، ومن ثم جعل عقوبة الاعتداء على أموال الناس بالسرقة قطع هذه اليد الآثمة التي امتدت إلى أموال وممتلكات الآخرين التي جُمعت بالجهد والعرق وإنفاق العمر.

قال - تعالى -:

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2].

وعقوبة قطع اليد متلائمة تماماً مع ترويع الآخرين في أموالهم واغتصابها زوراً وبهتاناً والاعتداء عليها سلباً أو نهباً مما تشد شعور الإنسان بالأسى إذا شعر أنه في مجتمع لا يوفر له الأمن ولا يرعاه بالأمان.

كما شدد القرآن كذلك، في جريمة العدوان على أمن المجتمع واستقراره بالإفساد والمحاربة.

---

(١) رواه ابن ماجه وصححه الألباني.

(٢) سورة المائدة الآية ٣٨.

إذ يقول – سبحانه –:

﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[1].

ب – حماية الأعراض من الاعتداء عليها:

وللعِرْض في الإسلام قداسة فريدة، وقد نبه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى ذلك بقوله: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[2] وذلك لارتباط العرض بكرامة الإنسان وشرفه، وارتباطه بحفظ الأنساب والقرابة، وارتباطه كذلك بإنسانية الإنسان رجلاً أو امرأة. فمن اعتدى على الأعراض بالزنا – وهو إثم – وما يشبهه ويقاربه، أو اتهم العفيفات المحصنات بغير دليل أو بينة، فالعقوبة بالنسبة لجريمة الزنا إن كان محصناً الرجم حتى الموت، وإن كان غير محصن فالجلد مئة جلدة، وفيما يتعلق بقذف المحصنات الغافلات فعقوبته ثمانون جلدة. وما ذلك إلى لأن أعراض المؤمنات العفيفات – عن هذه التهم الظالمة – واجبة الصون تحميها الدولة في الإسلام وتكفل لها كل حماية.

حماية الأعراض بالعقوبة والتربية:

لا يخفى أن الإسلام لا يكتفي بهذه العقوبات الرادعة، ليمنع ارتكاب هذه الجرائم في حق الفرد والمجتمع حمايةً للأعراض، وحفاظاً على الأموال، وإنما يجعل العقوبة رادعاً لذوي النفوس الشريرة، بعد أن يربي في الناس وازعاً يردعهم بتقوى الله – تعالى –.

ومن آداب الإسلام، في صيانة الأعراض، توجيه القرآن بغض البصر من الرجل والمرأة وعدم قربان الزنا بإثارة دواعيه، وسائر التوجيهات بستر مواضع الفتنة من المرأة ومنع الخلوة بالمرأة الأجنبية، وذلك في قوله – صلى الله عليه وسلم –: «لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»[3].

ولا تتوافر الحماية لأعراض الناس وسمعتهم في أي مجتمع، بمثل ما تتوافر في المجتمع الإسلامي.

جـ – صيانة وحماية النفوس من الاعتداء عليها:

من المعلوم أن قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق إثم عظيم، ومن أكبر الكبائر بعد الشرك بالله – تعالى –. ومن أجل حماية المجتمع من القتل، وصيانة الجماعة من التدهور والانحلال، وردع النفوس الباغية، شرع الإسلام القصاص. قال – تعالى –:

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4].

---

(١) سورة المائدة الآية ٣٣.
(٢) رواه الشيخان، سبق تخريجه.
(٣) رواه أحمد والترمذي والرواية للترمذي في كتاب الرضاع حديث ١٠٩١.
(٤) سورة البقرة الآية ١٧٩.

وقد أقر الإسلام القصاص عقوبة للقتل، وأباح دم الجاني، وبهذا يحمي المجتمع ويتيح له الأمن والسلام.

على أن الإسلام، وقد أقر القصاص عقوبة لجريمة القتل، لم ير بأساً من العفو، إن سمحت به نفس ولي الدم بقبول الدية أو الصلح. يقول الله – تعالى –:

﴿...فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ...﴾(١).

د – حماية العقول من الاعتداء عليها:

العقل مركز التفكير، وهو كذلك مناط التكليف، فالمجنون ومن سُلِبَ عقله لا مسؤولية عليه. ومن هنا حرّم الإسلام الخمر وما إليها من المخدرات المفسدة لطهارة النفس، وقد جعل الإسلام من شارب الخمر معتدياً على مناط التكليف – ومن ثم جعل له عقوبة رادعة.

قال – تعالى –:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٢).

وحماية العقول، من شرور الخمر والمخدرات، سبيل لحماية الدين، وتنظيم للفطرة السوية على مقتضى الشريعة السمحة.

هـ – حماية العقيدة (الاعتداء على الدين):

الاعتداء على الدين، إنما يكون بالارتداد عنه، وذلك بالكفر بعيادته وارتكاب ما يدل على التكذيب بها. وهذا الاعتداء يمثل نقضاً للأساس الذي يقوم عليه نظام المجتمع. ومن المعلوم أن الإسلام لا يُكْرِهُ الناس على اعتناقه.

قال – تعالى –:

﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ...﴾(٣).

ولا شك في أن استقرار المجتمع، وحمايته بحماية نظامه الأساسي، من أوجب الواجبات. وذلك هو الشأن في الاعتداء على قدسية الدين.

---

(١) سورة البقرة من الآية ١٧٨.

(٢) سورة المائدة الآية ٩٠.

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٥٦.

التقويم

أ – أجب عن الأسئلة الآتية في ضوء دراستك:

س١ – ما الذي كفله الإسلام لتحقيق إنسانية المسلم؟

س٢ – كيف كفل الإسلام للمسلم حريته الشخصية؟ استدل على ما تقول.

س٣ – الإسلام لم يكره الناس على اعتناقه.. ناقش هذه الحقيقة.

س٤ – لماذا قرر الإسلام للإنسان حرية التعبير؟ وما المجالات التي تؤكد ذلك؟ استدل على ما تقول بدليل واحد.

س٥ – من حق المسلم أن يعمل، فكيف دعا الإسلام إلى العمل؟

س٦ – ما موقف الإسلام من الزهد والقعود عن العمل؟

س٧ – شرع الإسلام ما هو كفيل بحماية الأموال، وضّح ذلك.

س٨ – للعرض والشرف في الإسلام قداسة تحميه وتذود عنه، فما الذي شرعه الإسلام من أجل حماية الأعراض؟

س٩ – أقر الإسلام القصاص عقوبة لجريمة القتل، فمتى يتم ذلك؟ ولماذا؟

س١٠ – لماذا حرّم الإسلام الخمر؟ وما الهدف من وراء ذلك؟

س١١ – كيف يكون الاعتداء على الدين؟ وما جزاء هذه الجريمة في الإسلام؟

ب – ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة فيما يأتي:

١ – صان الإسلام للمسلم حقوقه التي تحفظ له وجوده. ( )

٢ – الإسلام دعا إلى التأمل والنظر في الكون لمعرفة الله خالق الكون. ( )

٣ – لم يقرر الإسلام حرية التعبير. ( )

٤ – أكد الإسلام حرية الاعتقاد. ( )

٥ – الإسلام دعا إلى الانتفاع بما في الأرض من ثروة. ( )

٦ – أنكر الإسلام تعذيب النفس وحرمانها من الطيبات. ( )

جـ – وضّح معنى المفاهيم الآتية:

١ – الكليات الخمس: .....

٢ – حرية العقيدة: .....

.....

٣ – حرية التعبير: .....

٤ – حق الحماية: .....

.....

٥ – الزهد في الإسلام: .....

.....

.....

د – اذكر العلاقة بين النصوص الآتية وموضوع الدرس:

١ – «أيها الناس إن ربكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى».

٢ – «إني وليت عليكم ولست بخيركم، إن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم».

٣ – «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه».

* * *

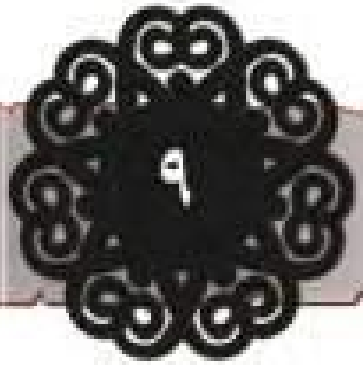

التكافل الاجتماعي نظام إسلامي

تمهيد:

تعتبر الأسرة في نظر الإسلام، وفي إطار فلسفته وأهدافه التربوية مجتمعاً متكافلاً يعاون بعضه بعضاً، ويساعد بعضه بعضاً، وهو في تقريره لذلك ينشد التكافل في المجتمع الإسلامي كله. فالأسرة في نظر الإسلام الوحدة الاجتماعية الأولى في البناء كله. فإذا ما كان التكافل عمادها كان تكافل المجتمع الكبير أمراً سهلاً. فحديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – الذي يقول فيه: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[1]. يعني في وضوح تكافلاً اجتماعياً على أرقى مستوى. فالتكافل رعاية وحماية ومؤازرة ومساندة ومعاضدة بين أفراد المجتمع المسلم.

التكافل الاجتماعي في الإسلام:

ومن هنا قامت فلسفة التكافل الإسلامي على ضرورة إشباع حاجات الإنسان الأساسية، وإسعاده وتمكينه من دوره، ليكون مجتمعاً مترابطاً كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

والتكافل الاجتماعي في الإسلام نظام كامل، أكبر من الإحسان والصدقة والزكاة وما إليها من المساعدات المالية، فتلك نوع واحد من المساعدات التي يحتويها التكافل الإسلامي.

إن كل فرد مكلف ومطالب أن يحسن عمله الخاص، لأن ثمرة عمله تعود على الجماعة. يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه»[2].

ولذا فإن التكافل ليس نظام إحسان أو صدقة في أصل أمره، وإنما هو نظام إعداد وإنتاج تنشأ عنهما الكفاية الذاتية أولاً وقبل كل شيء. وقد جاء رجل إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – يسأل وهو قادر على العمل فلم يعطه مالاً، إنما أعطاه فأساً، وأمره أن يذهب فيحتطب بها، فيبيع ما احتطب فيعيش به، كما أمره أن يعود إليه ليرى عمله، فهو قد هيأ له أداة العمل وهداه إليه.

وبذلك قرر مبدأ حق العمل للقادر، وحقه على الدولة في تيسير وسيلة العمل وأداته، تطبيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي بين الفرد والجماعة. كما فرض الإسلام على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم ويجبرهم السلطان على ذلك.

هذا – وقد أعلن الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن تعهد الدولة للفقراء والضعفاء والعاطلين

---

(١) رواه الشيخان واللفظ للبخاري في كتاب المظالم والغصب حديث ٢٢٦٦.

(٢) صحيح الجامع للألباني حديث رقم ١٨٨٠ – وهو حديث حسن.

والعاجزين، «ومن ترك ديْناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ»[1]. ويقول - صلى الله عليه وسلم -: «من ترك كلاً - أي ذرية ضعافاً - أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه»[2]... وهذا إعلان عن مسؤولية الدولة الإسلامية عن رعاياها كافة مسؤولية شاملة. وبهذا فالدولة مسؤولة عن كل فرد لا يقدر على ممارسة دوره الطبيعي في الحياة.

ومن أعظم مظاهر التكافل الاجتماعي ما قام به الأنصار نحو إخوانهم المهاجرين حيث ارتضى الأنصار أن يقسموا كل ما يملكون بينهم وبين إخوانهم من المهاجرين، ولكن هذا الإيثار البطولي الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً قوبل بعفة ليس لها مثيل. وبذلك كان المجتمع الإسلامي كما صوره حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «مثل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[3].

وهناك ألوان أخرى من التكافل، يرقى بها الإسلام ديناً وتنظيماً، وتشتد به الحياة في المجتمع المسلم تضامناً وتعاوناً.

---

(١) رواه الشيخان والرواية لمسلم في كتاب الجمعة حديث ١٤٣٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب الاستقراض وأداء الديون حديث ٢٣٩٩.

(٣) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب حديث ٦٨٨٤.

التقويم

أ – أجب عن الأسئلة الآتية:

س١ – لماذا اعتبر الإسلام الأسرة مجتمعاً متكافلاً؟

س٢ – ما أثر تكافل الأسرة في المجتمع المسلم؟

س٣ – كيف كان التكافل في الإسلام نظام إعداد وإنتاج؟

س٤ – ما الذي تفهمه من قصة الرجل المحتاج الذي لم يعطه الرسول – صلى الله عليه وسلم – مالاً، بل أعطاه فأساً؟

س٥ – كيف يتم تطبيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين الفرد والمجتمع؟

س٦ – لماذا كانت الدولة مسؤولة عن كل فرد لا يقدر على ممارسة دوره الطبيعي في الحياة؟

س٧ – اضرب أمثلة للتكافل في الإسلام.

ب – صل بين عبارات المجموعة (أ) وما يناسبها من عبارات المجموعة (ب) فيما يأتي:

(أ)	(ب)
– الأسرة في نظر الإسلام	ومساندة بين أفراد المجتمع المسلم.
– التكافل الاجتماعي نظام كامل	أن يقوموا بحاجات فقرائهم.
– فرض الإسلام على الأغنياء	التكافل يقوى به الإسلام ديناً وتنظيماً.
– التكافل رعاية وحماية ومؤازرة	أكبر من الإحسان والصدقة والزكاة.
	الوحدة الاجتماعية الأولى في بناء المجتمع.

جـ – اذكر مناسبة النصوص الآتية:

١ – «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً».

٢ – «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

٣ – «من ترك ديناً أو ضياعاً فإليَّ وعليَّ».

* * *

التناقض والتعارض في بعض القيم وأنماط السلوك من سمات المجتمع المعاصر نتيجة التغير الاجتماعي

ونتناوله من خلال الدروس الآتية:

الدرس العاشر: التغير الاجتماعي أمر طبيعي في كل المجتمعات الإنسانية.

الدرس الحادي عشر: التعارض القائم بين الممارسات الاجتماعية وقيم الإسلام الثابتة ومبادئه.

الدرس الثاني عشر: القيم والسلوكيات المخالفة للسلوك الإسلامي وقيمه.

الدرس الثالث عشر: الإسلام هو الصورة المثلى لما ينبغي أن يكون عليه الفرد والمجتمع من قيم وأنماط سلوك.

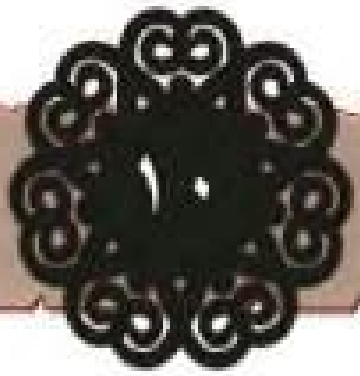

التغيّر الاجتماعي أمر طبيعي في كل المجتمعات الإنسانية

التمهيد:

العلاقات الاجتماعية هي الرابطة التي تقوم بين فردين أو أكثر في المجتمع، وهذه العلاقات والروابط والتفاعلات التي تنشأ بين أفراد المجتمع أمر طبيعي، فالإنسان مفطور على حب الاجتماع مع الآخرين، ولا يستطيع المعيشة إلا في مجتمع من المجتمعات.

والأفراد داخل المجتمع تحدث بينهم صلات وروابط ويتبادلون فيما بينهم الأفكار، ويترتب على هذه الصلات بعض التغيرات الاجتماعية التي تشمل النظم الاجتماعية، وأنماط العلاقات الاجتماعية والقيم والمعايير والعادات والتقاليد وغيرها من الأمور التي تؤثر في سلوك الأفراد وتحدد أدوارهم.

المقصود بالتغيّر الاجتماعي:

يقصد بالتغيّر الاجتماعي الاختلافات التي تطرأ على أي ظاهرة من الظواهر الاجتماعية خلال فترة معينة من الزمن، والتعديلات التي تحدث في أنماط الحياة الاجتماعية في مجتمع معين.

والتغيّر في ذاته ظاهرة طبيعية تخضع لها مظاهر الكون وشؤون الحياة، وهو أكثر وضوحاً في الحياة الاجتماعية؛ لأنها في تغيّر دائم وتفاعل مستمر.

فمنذ أن وُجد الإنسان على هذه الأرض استرعى انتباهه التغيرات الكونية كاختلاف الليل والنهار، واختلاف الفصول، وغيرها من التغيرات التي تحدث وتؤثر على الحياة والأحياء مثل الزلازل والبراكين والفيضانات وشروق الشمس وغروبها وغيرها. قال – تعالى –:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾[1].

وقال – تعالى –: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[2].

الفرق بين التغيّر الاجتماعي والتغيّرات الكونية:

التغيّرات الكونية تخضع لإرادة الله الكونية، والتغيّر الاجتماعي يتضمن طريقة الحياة، والعادات، والقيم، والأحكام، والطرائق المختلفة لتنظيم الحياة العائلية، وطرائق تربية الأطفال، والعلاقات المختلفة بين أفراد المجتمع والمجتمعات الأخرى.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٣٠.

(٢) سورة آل عمران الآية ١٩٠.

ويشمل التغيّر الاجتماعي كذلك التغيّر في الأيديولوجيات. والأيديولوجية هي نظام المعتقدات والتقاليد والفلسفة السائدة في المجتمع.

التغيّر الاجتماعي حقيقة ثابتة على مر العصور:

يقول رِبْعِيّ بن عامر لرستم قائد جيوش الفرس بعد أن سأله هذا عن سبب زحوفهم: «الله جاء بنا لنخرج من شاء من العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد القهار... من ضيق الدنيا إلى سعتها... ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام... فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل منا ذلك قبلناه منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضه يليها دوننا، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى موعود الله».

فالتغيّر الاجتماعي حقيقة ثابتة على مر العصور، وهو أمر طبيعي في كل المجتمعات الإنسانية في جميع النواحي السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية.

أما التغيّر الإسلامي الذي عبّر عنه رِبْعِيّ بن عامر ليس مجرد تغيّر جانب من جوانب الحياة الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو العقائدية، وإنما هو بحكم طبيعته منهج كلي وشامل.

منهج يعتمد على سلامة الغاية وسلامة الوسيلة وضمان مشروعيتها وموافقتها لروح الإسلام ولاحترام حقوق الإنسان.

فعندما فتح المسلمون مكة، أتى أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - بأبيه - وكان لا يزال مشركاً - يقوده إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فلما رآه رسول الله قال لأبي بكر: «هلا تركت هذا الشيخ في بيته حتى نكون أنا الذي آتيه فيه»، فقال أبو بكر: (يا رسول الله، هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي أنت إليه)، فأجلسه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين يديه ثم مسح على صدره وقال له: أسلم. فأسلم.

بهذا يكون التغيّر الإسلامي إنسانياً في خصائصه، أخلاقياً في طبيعته، عقائدياً في وسائله وغاياته.

ألوان من التغيّرات في المجتمعات المعاصرة:

التغيّرات السريعة في المجتمعات الإسلامية المعاصرة أصبحت مسألة مألوفة عادية وليست أمراً استثنائياً.

وإزاء هذه التغيّرات الكثيرة المتلاحقة أصبحت الفكرة عن العالم الحديث أنه عالم متغير.

ويقوم الإنسان بهذا الدور من خلال عقله المدرك في عالم الشهادة، وشعوره وتأمله وطاقاته الكثيرة التي زوده الله - تعالى - بها، لكي يصنع تاريخه على هذه الأرض بمعونة الله - تعالى -، فبحركته من خلال حريته الملتزمة يتحرك التاريخ، ويتطور الزمن، وتتغيّر مظاهر الحياة.

إن الجبرية في التغيّر التي فُرضت على الإنسان المسلم من خلال الفلسفات الغربية ليست من الإسلام في شيء.

فآيات القرآن الكريم صريحة في إعطاء هذا الدور المبدع للإنسان الذي صنع تاريخه وحياته على هذه الأرض من خلال رؤيته الربانية المنبثقة من مذهبيته الإسلامية الشاملة.

قال - تعالى -:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

وقال - تعالى -:

﴿...إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ...﴾(٢).

ومن مظاهر التغيرات الدخيلة على المجتمعات الإسلامية ما يأتي:

- **أولاً:** من جهة العقيدة: حيث دخل التغيّر في مفهوم العقيدة الصحيحة، كالشرك، وعبادة غير الله، ودعائه، والاستعانة به واللجوء إليه.
- **ثانياً:** من جهة العبادة: حيث دخل التغيّر في كيفية أداء العبادات أو الزيادة عليها والنقص منها.
- **ثالثاً:** من جهة الحلال والحرام: حيث حُلّل الحرام، واحتيل على تحريم الحلال.
- **رابعاً:** من جهة العادات والتقاليد: حيث تسربت إلى المجتمعات الإسلامية عادات وتقاليد دخيلة.
- **خامساً:** من جهة النظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والذي كان للعوامل الخارجية أثر كبير في حدوث هذا التغيّر فيه، وخصوصاً عن طريق طلبة البعثات والدارسين في جامعات أوروبا ومعاهدها، وكذلك عن طريق نظم التعليم التي شكلت على النمط الغربي في جميع الدول العربية والإسلامية، وعن طريق وسائل الإعلام المختلفة.

نرى هذه الحقيقة واضحة في التغيّر الهائل في أساليب الحكم ونظم التجارة والصناعة.

ألوان من التغيّر في المجتمع الكويتي:

كانت الثروة النفطية التي تفجرت قبل منتصف هذا القرن سبباً في انفتاح دولة الكويت على العالم الخارجي، وأدى هذا الانفتاح إلى تغيّر في السلوك والعادات والتقاليد، كما أدى إلى تكوين عادات وتقاليد جديدة، كما أحدث في الحياة اتجاهات جديدة سلوكية وفكرية ونفسية.

ومن الملاحظ أن التغيّر الاجتماعي الذي شهدته دولة الكويت قد اتخذ الأبعاد التالية:

١ - البعد المادي: وذلك باستخدام الآلات والأجهزة الإلكترونية والسيارات والأجهزة الكهربائية وجميع الأسباب التي تسهم في تشكيل الحياة المادية الرغدة.

٢ - البعد الفكري والثقافي: وقد نشأ نتيجة للتيارات الثقافية والأفكار والقيم والاتجاهات المختلفة التي كانت سائدة في الدول العربية والدول الصديقة، وقد تسربت تلك الآراء نتيجة لعمليات الالتقاء الثقافي بين دولة الكويت وتلك الدول.

---

(١) سورة الأنفال الآية ٥٣.

(٢) سورة الرعد من الآية ١١.

ونستطيع إبراز أهم ألوان التغيّر داخل المجتمع الكويتي فيما يأتي:

١ – الانتقال من وحدة إنتاجية إلى وحدة استهلاكية.

٢ – الانتقال من علاقات السيطرة الأبوية إلى علاقة المشاركة والديمقراطية في اتخاذ القرارات التي تمس نواحي الأسرة المختلفة. بل إننا نشهد في بعض الأحيان زوال أو تقلص سلطة الوالدين، وطغيان آراء الأبناء والبنات.

٣ – نزول المرأة للعمل ومواقع الإنتاج في المجتمع، مما أدى لفقدان الأبناء الرعاية من أمهاتهم، وازدياد اعتماد الوالدين على المدرسة والخدم.

٤ – ظهور العادات والتقاليد الدخيلة على عاداتنا وتقاليدنا الإسلامية.

٥ – خروج الكثير من الكويتيين للسياحة في هجرة جماعية كل عام.

٦ – تعدد المدارس الخاصة ذات المنهج الأجنبي مما أدى إلى تعدد الثقافات.

التقويم

س١ – اذكر مفهوم العلاقات الاجتماعية موضحاً النتائج المترتبة على الصلات الاجتماعية التي تحدث بين الأفراد داخل المجتمع.

س٢ – الإنسان مفطور على حب الاجتماع مع الآخرين، وضح ذلك مع الاستدلال لما تذكر.

س٣ – ما المقصود بالتغيّر الاجتماعي؟ وضح الفرق بينه وبين التغيّرات الكونية.

س٤ – التغيّر في ذاته ظاهرة طبيعية تخضع لها مظاهر الكون وشؤون الحياة.
اشرح هذه العبارة مع الاستدلال على ما تقول.

س٥ – تعرّض المجتمع المسلم للعديد من المتغيّرات. اذكر بعضها من واقع رؤيتك لحال المجتمع المسلم المعاصر.

س٦ – وضّح كيفية استفادتك من دراستك لإجابة ربْعِيّ بن عامر عن سؤال رستم قائد جيوش الفرس.

س٧ – بسبب الثورة النفطية انفتحت دولة الكويت على العالم الخارجي وأدى هذا الانفتاح إلى تغيّر في السلوك والعادات والتقاليد.
اشرح هذه العبارة موضحاً ألوان التغيّر التي طرأت على المجتمع الكويتي والأبعاد الناتجة عن هذا التغير.

س٨ – اكتب ثلاثة من أبرز ألوان التغيّر داخل المجتمع الكويتي.

١ – .....

٢ – .....

٣ – .....

س٩ – أكمل ما يأتي: من مظاهر التغيّرات الدخيلة على المجتمعات الإسلامية:

– من جهة العقيدة: .....

– من جهة العبادة: .....

– من جهة الحلال والحرام: .....

* * *

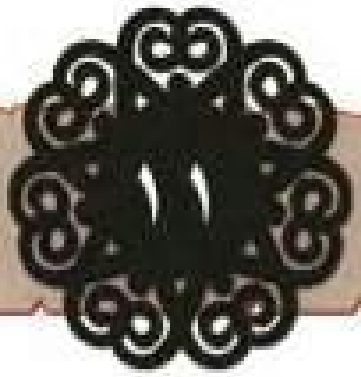

التعارض القائم بين الممارسات الاجتماعية وقيم الإسلام الثابتة ومبادئه

التمهيد:

التناقض والتعارض القائم بين القيم المتصلة بالحياة والموجهة للسلوك المستمدة من قيم الإسلام الثابتة ومبادئه الحقة، وبين الممارسات الحقيقية في المجتمع يمثل مشكلة تؤدي إلى زعزعة الثقة في التعاليم الدينية والقيم الحياتية، وهذا التناقض والتعارض هو الذي يقول عنه الشيخ العلامة أبو الحسن الندوي: «من أعظم أسباب الحيرة التي يعانيها الشباب المسلم اليوم هو التناقض في المجتمع الذي يعيش فيه، تناقض بين ما ورثوه وبين ما يعيشونه»[1].

وللأسف الشديد فإن هذا التناقض والتعارض يعم مجالات الحياة كلها ونجدها أكثر في مجال السياسة والعلاقات العامة، ويغلف المظاهر الاجتماعية والممارسات الرسمية والشعبية.

وقد نشأ هذا التعارض والتناقض نتيجة لانسياق الكثير من المسلمين في عصرنا الحاضر وراء التقاليد والعادات الدخيلة على المجتمعات الإسلامية بلا روية ولا تفكير، بل وقد امتدت هذه التقاليد والعادات الوافدة إلينا إلى كل ما لا يتفق مع نفسيتنا وعقليتنا وطبيعة بلادنا نأخذ منها ما يُحمد وما يُعاب، حتى وقر في نفوس بعضنا أن كل ما يفعله الأوروبي حسن، وأن كل ما ورثناه من عادات وتقاليد إنما هو من بقايا الجاهلية والهمجية.

تغيرات تتعارض مع الإسلام:

١ - محاكاة غير المسلمين في اختلاط الرجال بالنساء، ورقص الفتيان مع الفتيات، وتناول الطعام باليد الشمال، وإطالة بعض الأظافر، والمحاكاة التي توقع في محرم عن أمر الله والتي توقع في مكروه يخسر بها صاحبها قسطاً من ثواب الله - تعالى -.

٢ - الافتتان بكل شأن من شؤون أولي الشوكة والسلطان كتقليد الأوروبيين في زيهم وأثاث بيوتهم وفي المصنوعات القومية ما يغني عنها، ففي الإقبال على المصنوعات القومية فتح باب عظيم من أبواب الثروة العامة، وارتقاء الشعوب إنما يكون على قدر يسارها.

٣ - الإهمال والكسل والتهرب من أداء الواجبات الوظيفية، وعدم دفع الضرائب المستحقة، والإهمال

---

(١) أبو الحسن الندوي - البعث الإسلامي: المجلد ٢٨ رمضان ١٤٠٣هـ نقلاً عن كتاب الأمة ص٣٠ - مشكلات الشباب الحلول المطروحة - والحل الإسلامي ص٣٠ بتصرف.

وإتلاف الملكيات العامة، وتخريب الاقتصاد الوطني، وتبديد الثروات في الكماليات مما يؤدي إلى تعطيل التنمية وتقدم الأوطان.

٤ - الخلافات الفكرية أو الفقهية بين الجماعات المختلفة التي تنتسب إلى الإسلام وتخرج بخلافاتها من إطار الحوار بالحجة والحكمة والموعظة الحسنة إلى أجواء الخصومة والاتهام والعصبية الممقوتة إلى آخر ما يدل على ضيق الأفق والضلال...

تغيّرات متفقة مع الإسلام:

وذلك فيما يشتمل على مصلحة دنيوية ولا يخالف حكماً شرعياً أو آداباً دينية. فالإسلام لم يحرّم أي تقدم علمي يستطيع المسلم من خلاله توفير الوقت والجهد، كالتقدم العلمي الذي أدى إلى اختراع السيارة أو الطائرة أو الصاروخ أو الثلاجة أو الغسالة أو غيرها من الوسائل الإنتاجية أو العلمية والإعلامية المعاصرة.

فهذه كلها وغيرها أمور دنيوية تسمح بها الشريعة، لما فيها من إعمال العقل فيما ينفع، وليس من المعقول أن تحرّم الشريعة عملاً فيه خير لمجرد أن قوماً من غير المسلمين سبقوا إليه، ويدخل في هذا مجاراتهم في العلوم والصنائع ووسائل الدفاع والمرافق التي تُيسّر جانباً عظيماً من عناء هذه الحياة.

ومن شواهد هذا ما فعله النبي - صلى الله عليه وسلم - من حفر الخندق حول المدينة المنورة، وقد أشار به سلمان الفارسي.

وفي الغرب نظم إدارية تقوم على قاعدة رعاية المصالح، فنرى إجراءها في بلادنا من قبيل إصلاح الإدارة.

وإذا نظرنا إلى التاريخ الإسلامي فإننا نجد في عهد الخليفة العظيم عمر بن عبدالعزيز أن كتاباً في الطب قد ترجم إلى العربية، وفي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور ترجمت كتب الطبيعة والكيمياء والطب والفلك ولم يلق ذلك كله إلا ترحيباً من المسلمين.

باختصار شديد فالتغيّرات المتفقة مع الإسلام هي التغيرات التي تعود على الأمة بالنفع والخير والبركة، كالتسابق في الميدان العلمي ومختلف العلوم الحديثة من رياضة وطب وكيمياء وطبيعة وفلك، والعلوم العسكرية وعلوم الذرة وغير ذلك مما يطلقون عليه في العصر الحديث التكنولوجيا.

فهذه التغيّرات ليست ضارة في ذاتها، وإنما الذي يضر هو الخروج عن القواعد الخلقية ومقررات العقيدة والإيمان بالله - تعالى -.

ومن خلال ما عرضناه يتضح لنا أن التغيّر كما قد يكون في النافع يكون في الضار، فإذا كان في النافع فالمسلم مأمور أن يطلب الحكمة لأنها ضالته المنشودة فأنى وجدها فهو أحق الناس بها، وإن كان في الباطل فالمسلم مطالب بأن يمقت الباطل ويدفعه، كما هو مطالب بأن يزدري أهله ويتجنب الارتباط بهم أيا كانت الروابط والعلاقات ومن العبث أن ننساق وراء غيرنا بلا رويّة ولا تفكير ولا بحث ولا تمحيص حتى لا نفقد ديننا وأوطاننا لا لشيء سوى المظاهر الكاذبة.

ويا ليتنا تغيّرنا فيما ينفع ويفيد، ولكن تغيّرنا فيما يضر ولا ينفع، فقلدناهم في الربا ولعب القمار وتناول المسكرات والمخدرات والتبرج والتهتك واللهو والخلاعة تحت مسميات عصرية لا تتفق وتشريعات الإسلام.

يقول رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم –: «من تشبه بقوم فهو منهم»[1].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «يا عائشة... الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً.. مَنْ هُمْ؟ – قالت: الله ورسوله أعلم. قال: هم أصحاب الأهواء وأصحاب البدع وأصحاب الضلالة من هذه الأمة»[2].

ويقول – صلى الله عليه وسلم –: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[3].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب اللباس حديث ٤٠٣١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً﴾ سورة الأنعام الآية رقم ١٥٩.

(٣) رواه البخاري في كتاب الصلح حديث ٢٤٩٩.

التقويم

س١ – وضّح الأسباب المؤدية للتعارض القائم بين الممارسات الاجتماعية وقيم الإسلام الثابتة.

س٢ – التناقض القائم بين الممارسات الاجتماعية وقيم الإسلام الثابتة يؤدي إلى زعزعة الثقة في التعاليم الدينية والقيم الحياتية.
اشرح هذه العبارة في ضوء فهمك لمقولة الإمام أبو الحسن الندوي موضحاً النتائج المؤدية لهذا التناقض.

س٣ – ما الذي تفهمه من دراستك لمفهوم التغيّرات التي تتعارض مع الإسلام؟ موضحاً بعض صورها.

س٤ – ما الذي تفهمه من دراستك لمفهوم التغيّرات المتفقة مع الإسلام؟ موضحاً بعض صورها.

س٥ – التغيّر صفة إيجابية وسلبية وكما يكون في النافع يكون في الضار.
اشرح هذه العبارة في ضوء دراستك للصراع القائم بين الحضارات موضحاً الوسائل التي يستعين بها أعداء الإسلام لتعميق المتغيّرات داخل المجتمع المسلم.

س٦ – املأ الفراغات الآتية بكلمات مناسبة:

– من التغيرات التي تتعارض مع الإسلام:

أ – اختلاط الرجال بـ _____ وتقليد الغرب في _____

ب – التغيرات المتفقة مع الإسلام تعود على الأمة بـ _____ و _____

* * *

بل يؤمن المسلم بحق الوالدين عليه وواجب برّهما وطاعتهما والإحسان إليهما لان الله عزّ وجلّ هو الذي أوجب طاعتهما، وكتب على الولد برّهما والإحسان إليهما، قال – تعالى –:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[1].

وقد جاءت السنة النبوية الشريفة مؤكدة ما للوالدين من فضل وما يتوجب على الأبناء من البر بهما والإحسان إليهما.

فالرسول – صلى الله عليه وسلم – أجاب الرجل الذي سأله: «من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أمك، قال: ثم من؟ قال: ثم أبوك»[2].

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله حرم عليكم عقوق الامهات، ووأد البنات، ومنّع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال»[3].

وعن عبدالرحمن بن أبي بكرة عن أبيه – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قالوا بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس، وقال: ألا وقول الزور، وشهادة الزور، ألا وقول الزور، وشهادة الزور، فما زال يقولها حتى قلت: لا يسكت»[4].

ويستحب البر بالوالدين بعد موتهما أيضاً وذلك بالدعاء والاستغفار لهما والتصدق عنهما.

﴿...وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[5].

وذلك أن الصدقة، والدعاء، والصلاة، وقراءة القرآن، والصيام، تنفع الوالدين بعد الموت.

ومن البر بالوالدين بعد الوفاة إكرام صديقهما، وصلة قرابتهما.

مما سبق عرضه يتضح لنا أن البر كلمة جامعة لكل خير وأن العقوق كلمة جامعة لكل شر.

فلتحذر يا بني من عقوق الوالدين فلا ترفع صوتك عليهما، ولا تنظر إليهما باستهزاء، ولا يريا منك مخالفة في ظاهر أو باطن، وكن عوناً لهما، وإياك أن تجعل والديك أو أحدهما يضطر بأن يعمل بعمل لا يليق بالسن والمكانة من أجل توفير القوت.

ثالثاً – الكِبْر:

الكِبْر هو خُلُقٌ في الإنسان تعبر عنه الأعمال الصادرة من الجوارح، وهذه الأعمال الظاهرة هي ثمرات لما في الباطن، فالمتكبر يرى نفسه فوق من يتكبر عليه، بحيث يصير كالعقيدة عنده، فيفرح به ويركن إليه، ويعتز في نفسه بسببه.

---

(١) سورة الإسراء الآيتان ٢٣-٢٤.
(٢) رواه البخاري ومسلم والرواية لمسلم في كتاب البر والصلة والآداب حديث ٤٦٢١.
(٣) رواه البخاري في كتاب الاستقراض وأداء الديون حديث ٢٢٢١.
(٤) رواه البخاري في كتاب الأدب حديث رقم ٥٥١٩.
(٥) سورة الإسراء من الآية ٢٤.

وعلى هذا فالكِبْر يستدعي أموراً ثلاثة:

١ - إنساناً متكبراً.

٢ - موجوداً يتكبر الإنسان عليه.

٣ - سبباً لهذا التكبر.

فعندما يرى الإنسان لغيره منزلة، ويرى لنفسه منزلة، ويرى أن منزلته فوق منزلة غيره، فبهذه الثلاثة يحصل الكِبْر والتعالي والغرور؛ حتى قال عمر بن الخطاب لرجل استأذنه في وعظ الناس بعد صلاة الفجر «أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ الثريا».

والمتأمل في آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الصحيحة التي تحدثت عن الكِبْر يجد أن الكِبْر يذكر أحياناً بمعنى الحالة النفسية كما في قوله - تعالى -: ﴿إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَالِغِيهِ﴾[١]، وأحياناً بمعنى الآثار المترتبة على ما في النفس كما في قوله - تعالى -: ﴿وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِي تَسْتَكْبِرُونَ﴾[٢]، وأحياناً يذكر الأمران معاً كما في قوله - صلى الله عليه وسلم -: «من تعظَّم في نفسه، أو اختال في مشيته، لقي الله وهو عليه غضبان»[٣].

والكِبْر حين يستشري في النفس، ويتمكن من قلب الإنسان، ويملك عليه حسّه وفكره، يكون أسوأ ما يصيب الإنسان من أمراض القلب، فما من خلق من الأخلاق المذمومة إلا وتجد صاحب الكِبْر متصفاً به.

والكِبْر بالنسبة للمتكبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

١ - التكبر على الله عزّ وجلّ. وهو أفظع أنواع الكبر وأخبثها مثل قول فرعون: ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾[٤].

٢ - التكبر على رسل الله عليهم الصلاة والسلام وهو شنيع لكنه أقل من الأول مثل قول كفار العرب: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[٥].

٣ - التكبر على الناس من غير المرسلين كطغيان قارون وتكبره وإعراضه عن المؤمنين تطاولاً وتجبراً، قال - تعالى -: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾[٦].

والكبر لا يليق بالمسلم والتخلص منه لا يكون إلا بالتواضع، فالمسلم يتواضع في غير مذلة ولا مهانة، والتواضع من أخلاق المسلم المثالية وصفاته العالية، كيف لا؟ والله سبحانه وتعالى أمر رسوله بهذا الخلق النبيل: ﴿...وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[٧].

وقال - سبحانه وتعالى -:

---

(١) سورة غافر من الآية ٥٦.

(٢) سورة الأنعام من الآية ٩٣.

(٣) رواه أحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث رقم ٥٧٢٣.

(٤) سورة النازعات الآية ٢٤.

(٥) سورة الزخرف الآية ٣١.

(٦) سورة القصص الآية ٨١.

(٧) سورة الحجر من الآية ٨٨.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا...﴾[1].

وقال - تعالى - في الثناء على أوليائه بوصف التواضع فيهم:

﴿...يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ...﴾[2].

وقال - تعالى - في وصف جزاء المتواضعين:

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3].

وقال - صلى الله عليه وسلم - في الترغيب في التواضع: «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم، فقال له أصحابه: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[4].

والتاريخ الإسلامي مليء بالحكم والأمثلة العالية في التواضع لصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والتابعين وأتباع التابعين رضي الله عنهم أجمعين، منها:

١ - رُئِيَ عمر بن الخطاب مرة حاملاً لحماً بيده اليسرى، وفي يده اليمنى الدِّرَّة وهو أمير المسلمين وخليفتهم يومئذ.

٢ - روي أن علياً - رضي الله عنه - اشترى لحماً فجعله في ملحفته فقيل له: يُحمل عنك يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا، أبو العيال أحق أن يحمل.

٣ - قال أبو سلمة: قلت لأبي سعيد الخدري: ما ترى فيما أحدث الناس من الملبس والمشرب والمركب والمطعم؟ فقال: يا ابن أخي، كل لله، واشرب لله، والبس لله. وكلُّ شيء نخله من ذلك زهو أو مباهاة أو سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان يعالج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بيته، كان يعلف الناضح، ويعقل البعير، ويقمُّ البيت، ويحلب الشاة، ويخصف النعل، ويرقع الثوب، ويأكل مع خادمه ويطحن عنه إذا أعيا، ويشتري الشيء من السوق، ولا يمنعه الحياء أن يعلقه بيده أو يجعله في طرف ثوبه، وينقلب إلى أهله، يصافح الغني والفقير، والكبير والصغير.

رابعاً - أكل حقوق الناس:

المال كسائر الممتلكات ملك الله - تعالى -، فالمال مال الله، والإنسان مستخلف في هذا المال قال - تعالى -: ﴿...وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ...﴾[5].

وقد حدد الإسلام الطرائق المشروعة لكسب هذا المال، وفي الوقت نفسه جعل للغير حقوقاً في هذا المال كالزكاة، والإنفاق في سبيل الله، وعلى ذوي الحاجات، وغيرها من وجوه الإنفاق التي تسهم في رفع

---

(١) سورة الإسراء من الآية ٣٧، سورة لقمان من الآية ١٨.
(٢) سورة المائدة من الآية ٥٤.
(٣) سورة القصص الآية ٨٣.
(٤) رواه البخاري في كتاب الإجارة حديث ٢١٠٢.
(٥) سورة المائدة من الآية ١٧.

الأعباء الاقتصادية والاجتماعية، وإذا كان الإنسان من حقه أن يمتلك من المال ما يشاء بالطرق الحلال، من ثم كان عليه أن يعمل في إطار ما أحله الله له في المجالات التي تعود بالنفع على الفرد والمجتمع.

وقد كان المسلمون الأوائل ينظمون معاملاتهم على أساس من الفقه الإسلامي المستمد من الكتاب والسنة.

وفي عصرنا الحاضر طرأت على المجتمع الإسلامي بعض التعاملات التي أوقعت كثيراً من المسلمين في المهلكات.

فالإنسان عندما يتعامل بالربا إنما يعمد لسرقة تعب الآخرين وثمرة أعمالهم ظلماً وعدواناً مما يؤدي إلى خراب البيوت، وضياع للزراعة والصناعة والتجارة.

قال - تعالى -:

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[1].

فالمرابي يستعبده المال، ويسعى للحصول عليه بكل الوسائل، وفي سبيل تحقيق المرابي هدفه لا يبالي بضياع القيم وتجاوز الحدود، بل يعتدي على الحرمات ويطغى على كل حائل يحول بينه وبين تحصيل المادة، مما يؤدي إلى تقطيع أواصر الأخوّة والمحبة والعطف والشفقة والحنان والإحسان، وتنتشر العداوة والبغضاء بين الناس كما يؤدي إلى تعطيل الطاقات البشرية المنتجة والرغبة في الكسل وإهمال العمل.

والإنسان عندما يحبس الأموال من أجل استغلال الناس كما يفعل التجار الذين يشترون ما يحتاج إليه الناس ثم يقومون بحبسه لإعادة بيعه بأسعار مضاعفة وهو ما يعرف بالاحتكار وهو صورة من صور أكل حقوق الناس بالباطل.

قال - صلى الله عليه وسلم -: «لا يحتكر إلا خاطئ»[2].

ومن الصور غير المشروعة لأكل حقوق الناس بالباطل: السرقة والغصب والاختلاس. فهؤلاء لا يعملون بل يتمتعون بثمرة جهود الآخرين ومثل هؤلاء: الموظف الذي يأخذ رشوة أو هدية لأنه في العادة يأخذها في مقابل التساهل بحقوق الأمة.

ومثل هؤلاء أيضاً الذين لا يعطون العمال حقوقهم أو ينقصونها عما اتفقوا عليه، فعدم إعطاء الأجير أجره في وقته وبعد انتهاء عمله إثم كبير وذنب عظيم، قال - تعالى -:

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[3]

وقال - صلى الله عليه وسلم -: «ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حراً فأكل ثمنه، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره»[4].

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٧٥.

(٢) رواه مسلم في كتاب المساقاة حديث ٣٠١٢.

(٣) سورة البقرة من الآية ١٨٨.

(٤) رواه البخاري في كتاب الإجارة حديث ٢١٠٩.

التقويم

س١ – ما المراد بالرحم؟ وما الذي تفهمه من قطعها؟

س٢ – تحدث عن أنواع الصلة مبيناً فضلها وثوابها.

س٣ – اقرأ هذه العبارة جيداً ثم أجب عما يأتي بعدها:

«عقوق الوالدين من السلوكيات المخالفة للسلوك الإسلامي وقيمه».

أ – ما المراد بعقوق الوالدين؟

ب – ما حكم طاعتهما؟ مع الاستدلال على ما تقول.

جـ – عدّد ألوان البر بالوالدين.

س٤ – اذكر حقوق الآباء على الأبناء.

س٥ – عرّف الكبر موضحاً مظاهره وأسبابه والآثار المترتبة عليه مع الاستدلال لما تذكر.

س٦ – اذكر أقسام الكبر بالنسبة للمتكبر مبيناً كيفية التخلص منه مع الاستدلال.

س٧ – اذكر بعض الأمثلة العالية في التواضع لصحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – والتابعين وأتباع التابعين رضي الله عنهم أجمعين.

س٨ – المال مال الله والإنسان مستخلف في هذا المال...

اشرح هذه العبارة موضحاً بعض الأوجه المشروعة لكسب المال وإنفاقه.

س٩ – تحدث عن بعض التعاملات التي طرأت على المجتمع الإسلامي والتي أوقعت كثيراً من المسلمين في المهلكات. مع الاستدلال.

س١٠ – أكمل الفراغات الآتية:

الكبر بالنسبة للمتكبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ – كبر على .....

ب – كبر على .....

جـ – كبر على .....

* * *

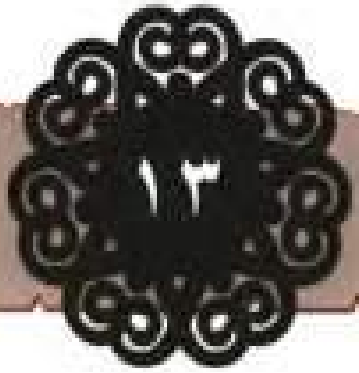

الإسلام هو الصورة المثلى لما ينبغي أن يكون عليه الفرد والمجتمع من قيم وأنماط سلوك

التمهيد:

إن سر قوة العالم الإسلامي في عصوره الزاهرة، وسر مقاومته للفناء في عصور الانحطاط، إنما هو في بقاء المجتمع المسلم الذي ظل معتصماً بتعاليم الإسلام فظلت سليمة من عوامل التغير المخالفة للإسلام وعوامل التحلل والفساد.

ولقد عرفت الأرض أنماطاً من المجتمعات متفاوتة في الأنظمة والقوانين والثقافات ويمكن القول بصدق: إن النظام الاجتماعي في الإسلام هو أمثل وأسعد نظام عرفته البشرية حتى اليوم. فقد جاء ليقود الحياة ويمسك بزمامها، وليضع أمام الإنسانية منهاج حياة تستطيع السير على منواله لأنه مبني على حياة متوازنة ومستقرة.

فأقام الإسلام الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم على نظام محكم عادل، وازن بين الحق والواجب، أساسه الفضيلة والتقوى، ولحاطهم بكل حماية ووقاية ضد العواطف والأهواء فكانت الدعوة إلى الأخلاق الصالحة التي أكدها - صلى الله عليه وسلم - بقوله: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

١ - التمسك بثوابت الإسلام وقيمه:

مما لا شك فيه أننا نرى كثيراً من المسلمين في عصرنا الحاضر ينساق وراء التغيرات المخالفة للإسلام والوافدة إلينا من الخارج بلا روية ولا تفكير مما يؤثر تأثيراً سلبياً على شخصية الفرد والمجتمع في جميع مجالات الحياة باعتبار أن الفرد هو محور التغير.

فالمفاهيم تتغير تبعاً لتغير العقل الإنساني، كما أن التربية مثلاً ترتقي مع ارتقاء البشر وتنتكس مع انتكاس البشر وقد حدث هذا في الحضارات المتعاقبة.

وفي عصرنا الحاضر عمد أعداء الإسلام بعد فشل الحملات الصليبية لإخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله تحت شعارات (التغريب - التمدن - التغير الاجتماعي).

فلم يعد أعداء الإسلام في حاجة إلى أن يقوموا بهذا الدور في أي مكان في العالم الإسلامي، فقد تولى المهمة غيرهم من أبناء المسلمين (أعوان التغريب) الذين يطالبون بالتغير ويشيدون بالقيم غير الإسلامية وهذا ما نراه واضحاً فيما ينشر من مقالات في نقد العقائد والمقدسات تحت شعار حرية الفكر والرأي.

وما نراه واضحاً في الكتب التي تطعن في الإسلام ونبي الإسلام بالتصريح تارة والتلميح تارة

---

(١) موطأ الإمام مالك، كتاب الجامع، باب حسن الخلق (٨).

أخرى. وهذه أمور خطيرة لا يجهل أحد نتائجها خصوصاً على النشء المسلم مما يؤدي إلى زيادة اختلال التوازن الطبيعي في حياة الفرد وبالتالي في حياة المجتمع.

يقول الأستاذ محمد قطب[1]: الذي نريد أن نلفت النظر إليه أن هذا التغيّر الدائم - أيّاً كانت مساحته وأيّاً كانت أدواته وأيّاً كانت مجالاته - لا يغير الحقيقة الجوهرية للإنسان ولا يغير دوافعه ولا أهدافه ولا غاية وجوده الأصلية وهذا الذي تأبى الجاهلية المعاصرة أن تصدقه، وعدم تصديقها إياه هو الذي يورثها الخبال».

٢ - أثر اختلال الثوابت على الإنسان:

وحين تختل الثوابت... حين توضع على الخط المتغيّر كما تضعها الجاهلية المعاصرة تحدث كل الاختلالات الحادة التي تنتاب الإنسان المعاصر، وتقلب حياته إلى الضنك الذي أنذره الله به، رغم كل ما هو مفتّح له من الأبواب، ورغم وصوله بالأمس إلى القمر وغداً إلى عوالم أخرى.

إن الثوابت هي «القيم التي تحكم حياة الإنسان»، فحين يعيش الإنسان بغير قيم فما يسود حياته إلا قانون الغاب الذي يحكم السياسة والاقتصاد اليوم، ويجعل المستضعفين من البشر فريسة لمن يسمون أنفسهم «الدول العظمى» والشتى الأخلاقي والروحي الذي يشمل الصغار والكبار من الدول والشعوب والأفراد ويرسخ في الأرض عبادة الشيطان.

٣ - باب الرقي الحقيقي:

إنما يحدث الرقي الحقيقي حين تحكم الثوابتُ المتغيّرات، فيزداد الإنسان رقياً كلما زاد علماً بالمنهج الرباني.

أما حين تحكم المتغيّرات الثوابت فتزيحها من الطريق فالله - عزّ وجلّ - يقول:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

والخلاصة: ينبغي أن يكون الدِّين هو الحاكم والمسيطر على المتغيّرات، فما كان منها لا يخل بشيء من أحكامه، ولا يترتب عليه ضرر بإباء فإن الدين يقره ويسمح به، وما كان منها يخل بشيء من أحكامه أو يسبب ضرراً أو فساداً بإباء الدين فإن الدين ينكره ويحاربه ويحذر من الانسياق وراءه بلا رويّة ولا تفكير.

٤ - الحرية الفردية في الإسلام ومداها:

الإنسان في التصور الإسلامي مخلوق محرر، والحرية حق طبيعي للإنسان من حقه أن يتمتع بها لمجرد كونه إنساناً، ولأنها ضرورة للحياة الإنسانية، وبها يتميز الإنسان على سائر الكائنات الحية الأخرى.

---

(١) محمد قطب، التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية ١٠٨-١٠٩ بتصرف.
(٢) سورة الأعراف الآيتان ١٧٥-١٧٦.

فالإنسان ذو إرادة وقصد، لا تتحقق إرادته إلا في جو الحرية الكاملة الواعية التي لا تخل بمبادئ المجتمع العامة. كما لا تعتدي على حريات الآخرين. وقد جاء الإسلام ليضمن الحرية للإنسان ويحميها من العبث والإكراه سواء في ذلك الحرية الدينية أو السياسية أو الفكرية. لأن الحرية دعامة لجميع ما سنَّه الإسلام من عقائد ولأنها إحدى مقومات الشخصية الرئيسة، وأساس أي مجتمع إنساني سليم.

٥ - مرتكز مفهوم الحرية في الإسلام:

يرتكز مفهوم الحرية للإنسان في الإسلام على تحرير عقله من الارتكاس في العبودية للكون أو البشر، وتحرير النفس الإنسانية من النوازع الغريزية التي تستبد به وتدفعه إلى ما يشقيه من خلال ما تزينه له عند انعدام الضوابط وفقدان الكوابح من استغراق في المتع والشهوات، وانقلاب في موازين الحق والعدل وتمرد على قيم الأخلاق.

فالحرية الفردية في الإسلام مقدسة كحياته سواء بسواء وهي الصفة الطبيعية الأولى التي يولد بها الإنسان «فما من مولود إلا ويولد على الفطرة»، وهي مستصحبة له ومستمرة معه فليس لأحد أن يعتدي عليها مهما كان ولو كان حاكماً أو ابن حاكم ولذلك فإن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قد ضرب مثلاً عملياً في بيان أن حرية الإنسان لا بد وأن تحترم ولا يجوز الاعتداء عليها من أي شخص فعندما جاءه القبطي شاكياً من عمرو بن العاص وابنه عندما ضُرب القبطي بالسوط، استضافه الخليفة وأجلّه وأرسل إلى عمرو وابنه، وقال للقبطي: (دونك الدِّرّة فاضرب ابن الأكرمين، اضرب ابن الأكرمين، اضرب ابن الأكرمين) فضربه حتى أثخنه ثم قال له: (اجعلها على صلعة عمرو فوالله ما ضربك إلا بفضل سلطانه) فقال: يا أمير المؤمنين قد ضربت من ضربني، ثم قال: (يا عمرو متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً).

كذلك حرّم الإسلام استرقاق الإنسان وأمر بحماية حرية الأفراد وعدم تقييدها أو الحد منها إلا بسلطان الشريعة وبالإجراءات التي تقرها.

كذلك كفل الإسلام حرية الاعتقاد فلا يجب إكراه أحد على اعتناق العقيدة، قال - تعالى -:

﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ...﴾(١).

كما كفل الإسلام حرية التفكير والتعبير دون تدخل أو مصادرة من أحد ما دام الفرد يلتزم الحدود العامة التي أقرتها الشريعة ولا يجوز استحلال الباطل ولا نشر ما فيه ترويج للفاحشة أو تخذيل للأمة.

قال - تعالى -: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِي ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ۝ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾(٢).

٦ - أثر الالتزام بقيم وأنماط السلوك الإسلامي على الفرد والمجتمع:

المتأمل في النظريات الاجتماعية والنفسية والتربوية المعاصرة لهذا الموضوع يدرك مدى التفاوت في نظرتها للفرد والمجتمع.

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٥٦.
(٢) سورة الأحزاب الآيتان ٦٠، ٦١.

فبعضها نظرت إلى الإنسان نظرة مادية بحتة فأعلت جانب المادة على جانب الروح ومن ثم كان إشباع الجانب المادي هو غاية همها ومبلغ علمها، فأغرقت الفرد ومن ثَمَّ المجتمع في الفجور والفساد والعلاقات الشاذة وغيرها من المظاهر التي تتنافى مع قيمة الإنسان والمهمة التي من أجلها خلقه الله.

وبعضها نظرت إلى الإنسان نظرة روحانية بحتة فأعلت جانب الروح على جانب المادة، فأغرقت الإنسان في الروحانية والرهبانية وغيرها من المظاهر التي تصطدم مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

والمتأمل في القيم والأخلاق في الإسلام يدرك مدى التكريم الذي كرَّم الله به الإنسان، والموازنة بين طاقاته المختلفة.

ومن هنا رسم الإسلام للإنسان خطوط حياته بما لا يصطدم مع الجانبين المادي والروحي، فاتسم الإسلام بالعمق والشمول والتكامل، وتناول حياة الإنسان من جميع الجوانب الإيجابية للتربية الأخلاقية المتكاملة الأكثر شمولاً وعمقاً.

ونستطيع أن نتعرف كل هذه المعاني من خلال بيان أثر الالتزام بقيم وأنماط السلوك الإسلامي على الفرد والمجتمع فيما يلي:

أولاً - بالنسبة للفرد:

١ - الالتزام بطريق الخير وتجنب طريق الشر، قال - تعالى -:
﴿...وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾[1].

٢ - تحقيق روح الأخوة الإسلامية، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2].

٣ - تفجير الطاقات داخل الإنسان كطاقة العلم والعمل، قال - تعالى -:
﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[3].

٤ - الاستعداد لتلقي الأمانة، قال - تعالى -:
﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[4].

٥ - الخضوع للنظام الأخلاقي والاجتماعي ما لم يكن فيه معصية لله، قال - صلى الله عليه وسلم -: «الدين النصيحة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم»[5].

---

(١) سورة الحجرات الآية ٧.
(٢) رواه النسائي في كتاب الإيمان وشرائعه حديث ٤٩٢٠.
(٣) سورة الجمعة الآية ٢.
(٤) سورة الأحزاب الآية ٧٢.
(٥) رواه مسلم في كتاب الإيمان حديث ٨٢.

٦ - تكوين شخصية قوية معتزة بإيمانها ومجتمعها، قال - صلى الله عليه وسلم -: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»[١].

ثانياً - بالنسبة للمجتمع:

١ - تسود المودة والرحمة والعدالة بين أفراد المجتمع، قال - صلى الله عليه وسلم -: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[٢].

٢ - الوعي الكامل بالمصالح المادية والمعنوية والاجتماعية والإنسانية بحيث يسعى الجميع لخير الجميع، قال - تعالى -:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

٣ - إقامة المجتمع الذي تسود بين أفراده معاني الطاعة لله والرسول والتزكية القلبية والجسدية قولاً وفعلاً، وتعلُّم القرآن والسنة، قال - تعالى -:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[٤].

حقاً هذه هي آثار الالتزام بالمنهج القائم على التكامل والشمول والبناء والاعتدال والتوازن والأخوة الصادقة لله تعالى.

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب حديث ٤٦٨٤.
(٢) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب حديث ٤٦٨٥.
(٣) سورة آل عمران الآية ١٠٤.
(٤) سورة الصف الآيتان ٢-٣.

التقويم

س١ – سر قوة العالم الإسلامي في عصوره الزاهرة تمثل في بقاء المجتمع المسلم معتصماً بتعاليم الإسلام من عوامل التغير المخالف للإسلام.

اشرح هذه العبارة في ضوء دراستك لبعض مظاهر النظام الاجتماعي في الإسلام لمواجهة المتغيّرات الهادفة لتقويض نظام المجتمع المسلم.

س٢ – اذكر الفرق بين الثابت والمتغير، موضحاً أساليب أعوان التغريب في مواجهة الثوابت الأصيلة، والدافع وراء محاولاتهم، والنتائج المترتبة عليها.

س٣ – الحرية حق طبيعي للإنسان، وقد جاء الإسلام ليضمن الحرية للإنسان ويحميها من العبث والإكراه.

اشرح هذه العبارة في ضوء دراستك لمفهوم الحرية في الإسلام.

س٤ – وضّح أثر الالتزام بقيم وأنماط السلوك الإسلامي على الفرد والمجتمع.

س٥ – للتقليد مظاهر سلبية وإيجابية، متى يكون ذلك؟ مع ذكر أمثلة لكل حالة.

س٦ – املأ الفراغات الآتية:

ثوابت الإسلام هي _____ وحين تحكم الثوابت الإسلامية المتغيرات يزداد الإنسان _____، أما حين تحكم المتغيرات الثوابت الإسلامية يسبب ذلك _____.

* * *

الإسلام يضع التشريعات ليعد الفرد للحياة الزوجية الناجحة وينظم حياة المجتمع بتشريعاته للأسرة

ونتناوله من خلال الدروس الآتية:

الدرس الرابع عشر: الزواج فطرة إنسانية.

الدرس الخامس عشر: عوامل تحقق الاستقرار في الحياة الزوجية.

الدرس السادس عشر: الزواج وأحكامه.

الدرس السابع عشر: حقوق كل من الزوجين على الآخر.

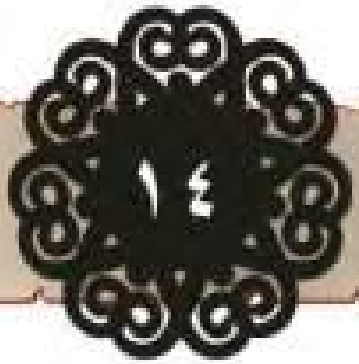

الزواج فطرة إنسانية

التمهيد:

لقد شاءت إرادة الله - سبحانه وتعالى - أن يخلق من كل شيء زوجين، أي الشيء ومقابله، من مثل: الليل والنهار، والأمن والخوف، والسالب والموجب، والذكر والأنثى، ولعلنا بذلك ندرك قدرة الله - تعالى - ونوقن عظمته، فقد خلق الأزواج كلها مما نعلم ومما لا نعلم، وهو الواحد الأحد الفرد الصمد، حيث يقول - سبحانه وتعالى -:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

وعلى ذلك فالزواج سنة من سنن الله عزّ وجلّ لتعمير الكون واستمرار الحياة.

قال - تعالى -:

﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٢).

ولذلك... فقد أمد الله - سبحانه وتعالى - الإنسان بالقوانين التي تنظم العلاقات البشرية، والتي تضمن لنوعه البقاء على الوجه الأكمل إلى الأجل الذي أراده له، فأودع الله سبحانه وتعالى في الإنسان غرائز فطرية، وجعل لها ضوابط حسية وعقلية، تسير في نظام يلائم سيادته على ما في الكون، فشاءت قدرة الله وكرمه على الإنسان أن يشرع له ما ينظم هذه الغرائز الإنسانية ويتلاءم مع الفطرة، وأهمها (الغريزة الجنسية)، وبذلك صان كرامة المرأة، وضمن لها عفتها وطهارتها وحماية نسلها من الضياع، وهيأ لها عشاً يحميها في ظلال الأسرة، تُسعدها عاطفة الأمومة، وترعاها عناية الزوج، فتنبت نباتاً حسناً وتثمر ثمارها اليانعة، لأن الأسرة نواة المجتمع وبصلاحها يصلح المجتمع كله.

قال تعالى:

﴿...هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ...﴾(٣).

---

(١) سورة يس الآية ٣٦.
(٢) سورة الشورى الآية ١١.
(٣) سورة البقرة من الآية ١٨٧.

الزواج ضرورة لكل من الرجل والمرأة:

الزواج ضرورة اجتماعية وإنسانية لتحقيق المصالح الآتية:

١ - إنه أقوم طريق لإشباع الغرائز الإنسانية، فهو يحفظ للفرج والأعراض حرمتها، ويصونها عن الابتذال والانحلال، قال - سبحانه وتعالى -:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾[١].

٢ - الزواج يحمي الإنسان من القلق والاضطراب، ويجعل الأسرة تتمتع بهدوء نفسي، وسكون عاطفي، فتشيع فيها معاني المودة والرحمة بين الزوجين.

٣ - الزواج أفضل وسيلة للتناسل وبقاء النوع الإنساني، وتنشئة الأولاد تنشئة صالحة، كما نهجها الأنبياء والرسل من قبل، قال - سبحانه وتعالى -:

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ...﴾[٢].

٤ - كما أننا نجد في الحياة الزوجية الشعور المشترك الذي يدفع الزوجين إلى العمل والنشاط، وبذل الوُسْع لتقوية الملكات والمواهب والطاقات، فينطلق الزوج إلى العمل من أجل النهوض بأعباء الأسرة، وتبذل الأم قصارى جهدها في تربية لبنات صالحات وبذلك يعم الرخاء وتقوى الأمة وتزدهر. عن عبدالله بن عمرو، عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: «إنما الدنيا متاع، وليس من متاع الدنيا شيء أفضل من المرأة الصالحة»[٣].

٥ - كما أن الزواج يؤدي إلى ترابط الأسرة، وتقوية أواصر المحبة بين سائر المجتمعات القريب منها والبعيد، وفي هذا خير كثير للأفراد والجماعات. قال - سبحانه وتعالى -:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾[٤].

٦ - كما أن الزواج يحمي الإنسان من الأمراض البدنية والأخلاقية، لذلك سمى الله - تعالى - المتزوج محصناً، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يا معشر الشباب، من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[٥].

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة»[٦].

---

(١) سورة المؤمنون الآيات ٥، ٦، ٧.

(٢) سورة النحل من الآية ٧٢.

(٣) رواه ابن ماجة في كتاب النكاح حديث ١٨٤٥.

(٤) سورة الفرقان الآية ٥٤.

(٥) رواه البخاري في كتاب النكاح باب من لم يستطع الباءة فليصم حديث ٤٦٧٨.

(٦) رواه الإمام أحمد في باقي مسند المكثرين حديث ١٢٠٨٠.

٧ - العلاقات الاجتماعية محور رئيسي لاستمرار الروابط الأسرية، فإن الإنسان بطبيعته كائن اجتماعي بحاجة إلى الخروج من إطار العلاقة الواحدة ضمن حدود البيت إلى تكوين علاقات أوسع في أوقات تمكن الزوجين من أداء أدوار اجتماعية وفاءً بواجب الأبوة والأمومة والبنوة، وهذه العلاقات تؤثر تأثيراً إيجابياً على نفسية الزوجين معاً، لأنها متنفس جيد، ومدخل لتعرف خبرات وأفكار ومشاعر ولحاسيس البشر من حولهما، وأيضاً لتبادل الثقافة وحسن الحوار والجوار مع الآخرين، وبذلك يتجه الجميع إلى العمل والتضحية لإسعاد الأسرة والمجتمع ككل.

الزواج إحساس بالمسؤولية:

لم تكن علاقة الرجل بالمرأة عبر التاريخ محكومة بالعادات السائدة، ولا بالمفهوم الأخلاقي السليم فقط، بل كانت علاقة مختلفة تماماً لدى الأمم السابقة كافة، كل أمة تخضع لعاداتها وتقاليدها وواقعها وحاجاتها، وبعد أن ارتقى الإنسان إلى درجات من التقدم نحو الحضارة، وبتأثير من الأديان التي عرفها في تلك الأزمان، وصل إلى مرحلة متقدمة من الرقي، فمنَّ الله - تعالى - على المسلم بآداب ومسؤوليات الزواج في ثوب إسلامي ناصع البياض، فحرَّم من الأعراف والعادات والتقاليد ما يضر بكلا الزوجين، وجعل الزواج علاقة مثالية لا تقتصر على الناحية الجسدية وحسب، بل تتعداها إلى النواحي الروحية والعاطفية والمالية.

فالزواج في الإسلام عقد بين الرجل والمرأة، غايته حل الاستمتاع وحفظ النوع البشري بنية استدامة العشرة، وقد أوجب الإسلام على الإنسان أن يتحلى بآداب معينة بعيدة كل البعد عن العلاقة بين البهائم والتي تتصرف بالغريزة لا بالإدراك، فيتطلب من الزوجين أن يدركا أن الزواج مسؤولية ضخمة على عاتقهما، ولا شك أنه إذا قام كل منهما بمسؤولياته على أسس سليمة فسوف ينشأ كيان وبناء أسري راسخ قوي.

فمسؤولية الزوجين في المفهوم الإسلامي: هي المشاركة في تربية الأبناء ورعايتهم وإرشادهم إلى الخير والصلاح، ليصبحوا شباباً بررة، عامرة قلوبهم بقيم الدين الصحيح، ممتلئة نفوسهم بالأخلاق الحميدة. وهذه المسؤولية من أفضل العبادات في الإسلام قال - تعالى -:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۝ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۝ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾(١).

---

(١) سورة الفرقان الآيات من ٧٤-٧٧.

التقويم

س١ – أجب عما يأتي:

أ – الزواج فطرة إنسانية. وضّح ذلك.

ب – بيّن الحكمة من التشريع الإسلامي للزواج.

س٢ – علل ما يأتي:

أ – الزواج يحقق السعادة والاستقامة السلوكية.

ب – العلاقات الاجتماعية محور رئيس لاستمرار الروابط الأسرية.

س٣ – عيّن ما تراه صحيحاً فيما يأتي بوضع علامة (✓):

– الزواج مسؤولية ضخمة لأنه:

أ – محكوم بالعادات والتقاليد القديمة. ( )

ب – تحكمه علاقات مثالية تتعدى حدود المتعة. ( )

جـ – متأثر بالأديان الأخرى والحضارة. ( )

س٤ – وضّح ما يأتي في ضوء دراستك:

أ – جعل الإسلام الزواج علاقة مقدسة بعيدة كل البعد عن العلاقة البهيمية.

ب – مسؤولية الزوجين في المفهوم الإسلامي.

س٥ – ارجع إلى تفسير (أيسر التفاسير) لمعرفة معنى الآية الكريمة الآتية:

قال – تعالى –:

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ...﴾[1].

س٦ – ارجع إلى كتاب (آداب الزواج في الإسلام) للدكتور هشام قبلان، وسجل تقريراً بسيطاً عن عادات وتقاليد الأمم السابقة في الزواج.

س٧ – الزواج في الإسلام يحقق مصالح مشتركة بين الزوجين. اكتب خمساً منها.

١ – .....

٢ – .....

٣ – .....

٤ – .....

٥ – .....

* * *

(١) سورة الفرقان الآية ٧٤.

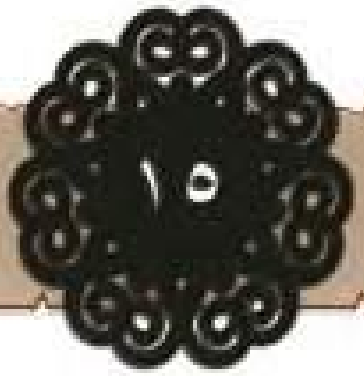

عوامل تحقق الاستقرار في الحياة الزوجية

الأسس التي تقوم عليها الحياة الزوجية الناجحة:

١ - اختيار الزوجة الصالحة:

إن الاقتران بالمسلمة كزوجة هو الأصل الذي ينبغي أن يحرص عليه المسلم، وهو السبيل إلى تحقيق حياة زوجية ناجحة. فالمسلمة لا يجوز لها أن تقترن بغير المسلم مطلقاً، أما المسلم فإنه يجوز له الاختيار من دائرة المسلمات والكتابيات فقط. أما المشركات فلا يحل الزواج بواحدة منهن إلا بعد إسلامها، فهي محرومة من الهداية السماوية الموجهة إلى كل خير، ومجردة من عقيدة الإيمان بالله - تعالى.

قال - تعالى -:

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(١).

وعلى المسلم أن يحسن اختيار شريكة حياته، لأن سعادة الإنسان وتعاسته رهن بهذا الاختيار الذي ينبغي أن يخضع لمنطق العقل لا لحكم الهوى.

إن النساء المسلمات يتفاوتن في التقوى والصلاح ومدى التزامهن بتعاليم الإسلام وآدابه فينبغي علينا أن نعرف أسس اختيار الزوجة الصالحة وهي:

أن تكون من ذوات الدين والخلق، الحافظات لحدود الله - تعالى -.

قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «تُنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(٢).

إن التوجيه النبوي في الحديث السابق يرشد إلى اختيار ذات الدين والخلق التي ترتقي إلى مرتبة الصالحات، وليس بالضرورة أن تكون مجردة من المواصفات الأخرى التي يرغب فيها الرجل. روى النسائي بسند صحيح عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قيل لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أي النساء خير؟ قال: التي تَسُرُّه إذا نظر وتطيعه إذا أمر ولا تخالفه في نفسها ومالها بما يكره»(٣).

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٢١.

(٢) رواه البخاري ومسلم والرواية لمسلم في كتاب الرضاع حديث ٢٦٦١.

(٣) رواه النسائي في كتاب النكاح حديث رقم ٣١٧٩، ورواه أحمد في باقي مسند المكثرين حديث ٧١١٤.

إن الزواج قد يكتب للرجل فيه النجاح، وقد يكتب له الفشل، وقد تكون أسباب الفشل ناشئة من عدم تحقيق المواصفات التي يحب الرجل أن تكون في زوجته، فما يناسب رجلاً قد لا يناسب غيره، ويعتمد هذا على قسمة الله – تعالى – وحكمته في حياة الزوجين، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «خير نسائكم الولود، الودود، المواسية[1]، المواتية[2]، إذا اتقين الله، وشر نسائكم المتبرجات، المتخيلات وهن المنافقات لا يدخل الجنة منهن إلا مثل الغراب الأعصم»[3][4].

٢ – اختيار الزوج الصالح:

أن يختار ولي الزوجة زوجاً صالحاً لكريمته، فلا يزوجها إلا صاحب دين وخلق وشرف، فإن عاشرها عاشرها بمعروف، وإن سرحها سرحها بإحسان، وقال – صلى الله عليه وسلم –: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه، فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنةٌ في الأرض وفساد عريض»[5].

قال الإمام الغزالي «رحمه الله»:

«الاحتياط في حقها أهم، لأنها رقيقة النكاح لا مخلّص لها، والزوج قادر على الطلاق بأي حال، فإن زوّج وليُّ ابنته ظالماً أو فاسقاً أو شارب خمر فقد جنى عليها وتعرض لسخط الله لسوء الاختيار».

٣ – التعارف:

كما أباح الإسلام أن يتعرف الزوج على الفتاة التي يرغب بالزواج منها من خلال لقاءات تتم بينهما يشهدها بعض محارمها، وهي مرحلة ما قبل الزواج أو الاقتران وتسمى (الخطبة)، وقد شُرعت من أجل تقدير مدى ما تتمتع به الفتاة من النضج العقلي، وسلامة التفكير، واستقامة الحديث، وحسن الهيئة.

وقد وجه النبي – صلى الله عليه وسلم – المغيرة بن شعبة حين خطب امرأة، إلى رؤية من خطبها، فقال: «انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما»[6].

٤ – الرضا والتوافق:

أن يتحقق بين الزوجين الرضا الكامل من الولي والأم والمرأة.

فرضا الولي يمنع البنت أن تندفع وراء رغباتها الخاصة، فتتزوج غير الكفء فيصبح زواجها باطلاً، وينبغي أن تستشار الأم لأنها تعرف شؤون ابنتها وتدرك من خلالها ما يتوقع لهذا الزواج من نجاح أو فشل. أما رضا المرأة (الثيب) فإنه ذو أثر فعال في توفير المودة والمحبة، ولهذا أوجب الإسلام على الولي استشارتها.

---

(١) التي تعين زوجها على أمر دينه ودنياه.
(٢) التي تطيع زوجها فيما يأمرها به في غير معصية لله.
(٣) أحمر المنقار والرجلين، وهو كناية عن قلة من يدخل الجنة من هذا النوع من النساء.
(٤) رواه البيهقي، الجامع الصغير جزء ١ ص٥٥٣ حديث رقم ٤٠٩٢.
(٥) رواه الترمذي في كتاب النكاح حديث ١٠٠٤.
(٦) رواه الترمذي في باب النكاح حديث ١٠٠٧.

٥ – الكفاءة:

اشترط الدين الإسلامي الكفاءة في الرجل للمرأة لأنها تُعير به، أما كفاءة المرأة بالنسبة للرجل فليست ضرورية، لأنه يملك حق القوامة والطلاق. فالكفاءة على هذا الأساس حق للزوجة إذا عقد عليها وليّها من غير الكفء، وحق للأولياء إذا عقدت لنفسها على غير الكفء. ومناط الكفاءة هي التدين والخلق الفاضل عند جمهور العلماء.

٦ – المشورة والاستئذان:

أن تستشار الثيب قبل الزواج والبكر تُستأذن:

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا تنكح البكر حتى تستأذن، ولا الثيب حتى تستأمر، فقيل يا رسول، كيف إذنها؟ قال: إذا سكتت»[١]. وعن ابن عباس أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «الثيب أحق بنفسها[٢] من وليّها، والبكر تستأذن في نفسها وإذنُها صماتها»[٣].

من منكرات الزواج في الإسلام:

أ – المغالاة في المهور:

إن ثمرة العلم العمل، وخير الناس من علم ثم عمل بما علم، ومن ثمرات هذا التعليم، نشر الوعي بين طبقات الناس، فيتنور الجاهل بنور العلم، ويتبصر به، فهي الحكمة التي أودعها الله – تبارك وتعالى – في قلوب العارفين، فيقتدي الفاهم العاقل بسلف الأمة، وخيرهم الهادي المصطفى محمد – صلى الله عليه وسلم – في كل أموره، فلنا فيه القدوة الحسنة، وقد كان لا يغالي في مهور النساء، بل أخبر – صلى الله عليه وسلم – أن الخير والبركة في تيسيرها وتسهيلها، فقد قال – صلى الله عليه وسلم –: «خير الصداق أيسره»[٤].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: كان صداق الرسول «اثنتي عشرة أوقية ونشاً»[٥] أي خمسمائة درهم. وقد حذّر عمر بن الخطاب من المغالاة فقال: «لا تغالوا بصداق النساء، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبي – صلى الله عليه وسلم –، ما أصْدَقَ الرسول – صلى الله عليه وسلم – امرأة من نسائه ولا أُصْدِقت امرأة من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية».

عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: إن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى على عبدالرحمن بن عوف – رضي الله عنه – أثر صُفرة. قال: ما هذا؟ قال: يا رسول الله إني تزوجت امرأة على وزن نواة من ذهب قال: «فبارك الله لك، أولم ولو بشاة»[٦]. وقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – لأحد أصحابه: «تزوج ولو بخاتم من حديد»[٧] أي قدمه صداقاً.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحيل باب في النكاح حديث ٦٤٥٣.
(٢) أي أنها أحق بنفسها في أن الولي لا يعقد عليها إلا برضاها لأنها أحق بنفسها دون وليّها.
(٣) أي أن سكوتها إذن.
(٤) رواه أبو داود وصححه الحاكم – انظر سبل السلام جزء ٣ ص ٢١٨.
(٥) النَّشّ: نصف أوقية. صحيح مسلم كتاب النكاح باب الصداق.
(٦) رواه مسلم في كتاب النكاح حديث رقم ٢٥٥٦.
(٧) رواه البخاري في كتاب النكاح حديث ٥١٥٣.

إن غلاء المهور وعدم تيسيرها يؤدي إلى العزوف عن الزواج، وليس في ذلك مصلحة للبنات ولا يزيد من سعادتهن في حياتهن الزوجية، لأن إجهاد الزوج وتكليفه بما يشق عليه، يجعله يستدين بسبب الغلو في المهر وإلى عدم بركة الزواج وزهوقه.

ب – حفلات الزواج:

ما أعظم الفرق بين يسر الإسلام في الزواج والعرس، وبين تقاليد الجاهلية في هذا العصر، والتي جعلت الزواج يسبب للزوج النكبات والديون الباهظة، وإنفاق الأموال الضخمة، وربما تصل إلى أخذ القروض بالربا للرياء والفخر، والاستعلاء، فتكبد الرجل، وتثقل كاهله سنين، وقد تضر بمستقبله ومستقبل أسرته.

قال – تعالى –:

﴿...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1].

كذلك ما يرافق الحفلات أيضاً من محرمات، كاختلاط الرجال بالنساء وهن شبه عاريات، حيث يرقصن على المعازف وأصوات الغناء الفاحش، وكم لهذه الوسائل الشيطانية من أثر خطير، فليحذر المتحفظ لدينه، الراغب في تحصين إسلامه من ذلك، فإن الشيطان له حبائل خبيثة تُنصب لكل إنسان لتستميل نفسه إلى هذه الملذات الدنيوية.

وقد نهى الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – عن الغناء الحرام، لأنه يثير الشهوات والأهواء. قال – صلى الله عليه وسلم –: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الْحِرَ والحرير، والخمر، والمعازف»[2].

ما أجمل البساطة في حفلات الزفاف! وإظهار الفرح بما أحل الله – تعالى – من الطيبات، إن هذا عمل يستحق الإعلان عنه ليعلمه الخاص والعام، والقريب والبعيد، وليكون دعاية لتشجيع الذين يؤثرون العزوبية على الزواج، وهو تعبير عن رفض الإسلام نكاح السر المنهي عنه.

الدعاء للمتزوج بالبركة:

إن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان إذا رفّأ إنسان أي إذا تزوج قال له: «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير»[3].

النهي عن الخطبة على الخطبة:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يخطب الرجل على

---

(١) سورة الأعراف من الآية ٣١.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأشربة باب ما جاء فيمن يستحل الخمر حديث ٥٥٩٠.

(٣) رواه الترمذي كتاب النكاح حديث ١٠٩١.

خطبة أخيه فقال: «لا يخطُب الرجل على خطبة أخيه، حتى يترك الخاطب قبلَهُ، أو يأذن له الخاطب»[1]. وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «لا يبيع الرجل على بيع أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه إلا أن يأذن له»[2].

وقد حرمت هذه الخطبة بعد الإجابة، ويجب أن تكون الإجابة من المرأة المكلفة في الرجل الكفء. أما غير الكفء فلا بد من إذن الولي على القول بأن له المنع، وأما إذا كانت غير صريحة، فالأرجح عدم التحريم، لأن سكوت البكر رضاً وإجابة. وإذا كان الخاطب فاسقاً، يجوز للعفيف الخطبة على الخطبة، لأن الفاسق غير كفء، ولكن إذا صدر عن المرأة علامة القبول على الرجل الفاسق لا يفسخ العقد عند جمهور العلماء.

---

(١) متفق عليه واللفظ للبخاري في كتاب النكاح حديث ٤٧٤٦.

(٢) رواه البخاري في كتاب البيوع حديث رقم ٢٠٩٣، ومسلم في كتاب البيوع حديث رقم ١٤١٢.

التقويم

س١ – ما الحكمة من قوله تعالى؟

﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ﴾[1].

س٢ – قال الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك».

يرشدنا الحديث الشريف إلى بعض أسس الزواج الناجح، بيّن ذلك، ثم اذكر سبب التفضيل في هذا الاختيار.

س٣ – وضّح الحكم الشرعي مما يلي من العبارات التالية بوضع كلمة (يجوز / لا يجوز) مع ذكر السبب.

١ – تزوج رجل امرأة بقصد إرضاء والديه.

الحكم: .....

السبب: .....

٢ – اقترن مسلم بامرأة كتابية.

الحكم: .....

السبب: .....

٣ – زوج الأب ابنته لرجل فاسق ظالم.

الحكم: .....

السبب: .....

٤ – تمكن رجل في الخفاء أن ينظر إلى امرأة دون علمها بقصد الزواج.

الحكم: .....

السبب: .....

٥ – زوج الأب ابنته من رجل غير كفء دون علمها.

الحكم: .....

السبب: .....

س٤ – اذكر الحكمة من اشتراط رضا الأولياء عند عقد الزواج.

س٥ – تتحقق الكفاءة للزوجة أو لوليها في الحالتين:

١ – حق الزوجة: .....

٢ – حق ولي الزوجة: .....

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٢١.

س٦ – اختر المعنى الصحيح للعبارة الآتية مما بعدها:

اشتراط الدين الإسلامي في الزواج الكفاءة في الرجل:

١ – أساس التدين والخلق. ( )

٢ – أثر فعال في فرض السيطرة. ( )

٣ – تجاهل مكانة المرأة. ( )

س٧ – ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة، وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

١ – المغالاة في المهور فيها خير وبركة على أصحابها. ( )

٢ – تقاليد العصر في حفلات الزواج دلالة واضحة على الجهالة. ( )

٣ – حث الإسلام على إظهار الفرح بشتى وسائله. ( )

٤ – أجاز الإسلام خِطبة الرجل على خِطبة الفاسق بموافقة المخطوبة. ( )

س٨ – ما الحكم الشرعي لكل حالة من الحالات الآتية مع بيان السبب:

١ – اختلاط الرجال بالنساء في حفلات الزواج:

الحكم: .....

السبب: .....

٢ – الإعلان عن الزواج وإظهار الفرح.

الحكم: .....

السبب: .....

س٩ – كيف تهنئ أخاً لك تزوج؟

س١٠ – ما الآثار المترتبة على المغالاة في المهور؟

اكتب دليلاً واحداً على النهي عن ذلك.

س١١ – اكتب بعضاً من منكرات الأفراح في المجتمعات الإسلامية في ضوء دراستك:

١ – .....

٢ – .....

٣ – .....

س١٢ – ارجع إلى كتاب (حقوق المرأة في الزواج) للشيخ محمد الفروي، لإعداد بحث عن حكم المغالاة في المهور.

وكتاب (تحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد) تأليف محمود مهدي إستانبولي، واكتب عن يسر الإسلام في الزواج الإسلامي السعيد، ثم اقرأه على زملائك.

س١٣ – قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والمعازف». بين المقصود من الحديث الشريف.

* * *

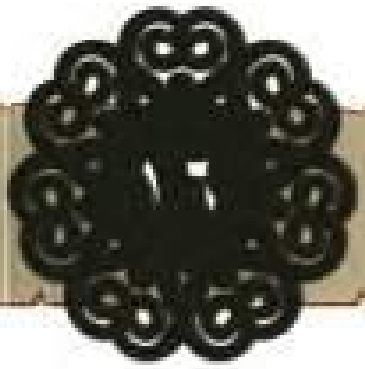

الزواج وأحكامه

أولاً – عقد الزواج – أركانه – شروط صحته:

عقد الزواج: هو اتفاق يقصد به حل استمتاع كل من الزوجين بالآخر على الوجه المشروع، وقد جاء العقد بلغة القرآن بلفظ النكاح والزواج.

وتعريف النكاح والزواج:

لغة: الوطء، لملابسته له من حيث إنه طريق له. يقال (نكح المطر الأرض).

وشرعاً: حقيقة في العقد مجاز في الوطء على الصحيح، وذلك لكثرة وروده في الكتاب والسنة.

قال – سبحانه وتعالى –:

﴿...فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...﴾[1].

قال – صلى الله عليه وسلم –: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»[2].

والحكمة من تشريع الزواج: لتحقيقه مصالح كثيرة سبق ذكرها، ولا شك أن الزواج فيه ترويح للنفس يحتاجه الإنسان بصورة مستمرة، لأن النفس ملولة وتحب يوماً التغيير والتنويع، والحياة التي تستمر على وتيرة واحدة، مرهقة للعقل ومعطلة للعمل المثمر.

فالنكاح نعمة إلهية وهبها الله – سبحانه وتعالى – للإنسان العاقل الذي يصونها ويحافظ عليها من أجل إثرائها وإنمائها بالطرق المشروعة.

فالزواج المبني على أسس سليمة له أثر كبير في حياة الإنسان وتصرفاته وسعادته وشقائه، حيث يجعل القلوب عفيفة، والنفوس طاهرة، ويبدل طباع الإنسان في ظل وجود شريكة لحياته تعينه على مصاعبها، وتشجعه على تحملها.

أركان عقد الزواج:

الركن الحقيقي للزواج هو رضا الطرفين، وتوافق إرادتهما في الارتباط. ولما كان الرضا وتوافق الإرادة من الأمور النفسية التي لا يُطلع عليها، كان لا بد من التعبير الدال على التصميم على إنشاء الارتباط وإيجاده.

---

(١) سورة النساء من الآية ٣.

(٢) رواه أبو داود والنسائي والرواية لأبي داود حديث ١٧٥٤.

ويتمثل التعبير فيما يُجرى من عبارات بين المتعاقدين، فما صدر أولاً من أحد المتعاقدين للتعبير عن إرادته في إنشاء الصلة الزوجية يسمى إيجاباً، ويقال: إنه أوجب.

وما صدر ثانياً من المتعاقد الآخر من العبارات الدالة على الرضا والموافقة يسمى قبولاً.

ومن ثم يقول الفقهاء:

إن أركان الزواج:

١ – «الإيجاب، والقبول»:

الإيجاب وهو اللفظ الصادر – من الولي أو من يقوم مقامه فهو أبو الزوجة أو الوصي، أو الأقرب فالأقرب من عصبتها أو ذي الرأي من أهلها أو السلطان، لقوله – صلى الله عليه وسلم –: «لا نكاح إلا بولي»[١]، وفي رواية: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل».

وقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: «لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها، أو ذي الرأي من أهلها، أو السلطان»[٢].

وأما القبول فهو اللفظ الصادر من الزوج أو من يقوم مقامه.

وزاد بعض الفقهاء فوق الركن السابق من أركان الزواج ثلاثة أركان أخرى وهي:

٢– الشاهدان:

المراد بالشاهدين، أن يحضر العقد اثنان فأكثر من الرجال العدول المسلمين لقوله – تعالى –: ﴿...وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ...﴾[٣].

وقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل»[٤].

٣ – صيغة العقد:

هي قول الزوج أو وكيله في العقد: زوجني ابنتك أو وصيتك فلانة، وقول الولي: لقد زوجتك أو انكحتك ابنتي فلانة، وقول الزوج: قبلت زواجها من نفسي.

٤ – المهر أو الصداق:

هو ما تُعطاه المرأة لجليّة الاستمتاع بها، وهو واجب، يقول الله – تعالى –: ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً...﴾[٥]، وقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «التمس ولو خاتماً من حديد»[٦].

---

(١) رواه أصحاب السنن، في كتاب النكاح وصححه الحاكم وابن حبان

(٢) رواه الإمام مالك في الموطأ بسند صحيح.

(٣) سورة الطلاق من الآية ٢.

(٤) رواه أحمد والدارقطني. انظر تمام تخريجه في التلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني (٣/١٥٦).

(٥) سورة النساء الآية ٤.

(٦) متفق عليه. واللفظ للبخاري حديث رقم ٤٧٤٠.

الشروط الواجب توافرها في عقد الزواج:

لا يتم هذا العقد ولا يكون الزواج صحيحاً إلا إذا تحققت فيه الشروط التالية:

أولاً: أن يكون كل من الطرفين المتعاقدين بالغاً عاقلاً مختاراً.

ثانياً: أن تكون ألفاظه بصيغة مناسبة يتوافر فيها الإيجاب والقبول كما ذكرنا عندما تكلمنا عن أركان العقد.

ثالثاً: أن يكون الزواج بنيّة الاستمرار لأن الدوام هو الذي يحقق الأهداف المنشودة من سكن ومودة، وتناسل وتعاون وتعاطف، وعفة وطهر.

رابعاً: أن يكون كل من الزوجين حلالاً للآخر، فلا يكون الرجل من محارم المرأة، ولا تكون المرأة من المحرمات على الرجل كما سيأتي بعد.

خامساً: الإشهاد على العقد وإشهاره والإعلان عنه، وذلك لحفظ الحقوق والأنساب التي تترتب على عقد الزواج.

سادساً: عدم الإحرام بالحج أو العمرة من الزوج أو الزوجة أو الولي وهذا عند الأئمة الثلاثة لحديث «لا ينكح المحرم ولا يُنكح»[1].

سابعاً: توثيق عقد الزواج: لخطورة هذا العقد الشرعي، وما يترتب عليه من حقوق وإبطال محاولات الإنكار التي يلجأ إليها (البعض)، فقد حث الإسلام الراغب بالزواج على تسجيل هذا العقد بوثيقة رسمية قانونية ومعتمدة.

فالزواج غير الموثّق مع كونه شرعياً، لأنه يتم فيه الإيجاب والقبول مع وجود الولي والشاهدين إلا أنه بلا وثيقة رسمية، ولا تستطيع به الزوجة أن تحل مشاكلها المترتبة عليه، كم أنه لا يمكنها إثبات هذه العلاقة أمام القضاء، فيضيع حقها في المطالبة بنفقة، أو إثبات نسب، فيصبح هذا الزواج دون حماية اجتماعية، وبالتالي لا ينبغي الإقدام عليه. أما ما يتم الآن بين الشباب والفتيات بأن تزوج المرأة نفسها فلا يسمى زواجاً أو شرعياً لأنه خالٍ من أركان الزواج وشروطه.

ثانياً - موانع الزواج:

قال - تعالى -:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ

---

(١) متفق عليه، وفي رواية لأخرى (ولا يخطب) رواه أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة حديث ٤٣٦.

سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُم بِهِ مِن بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[1].

اقتضت حكمة الله - عزّ وجلّ - ورحمته الواسعة بعباده، أن يبين لهم في القرآن المجيد، وفي سنة نبيه الكريم، النساء اللاتي يحرم التزوج بهن، لحكمة خاصة تقتضي منع الرجل من التعامل معهن كزوج، وما يسببه هذا الزواج من تعارض بين حقوق القرابة، وحقوق الزوجية، ولعدم تحقيق ما يناط بالزواج من تقوية للروابط الأسرية.

والمحرمات من النساء من الأحكام التي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان، لأنها لا تقبل التغيير ولا التبديل، وليس فيها مجال للاجتهاد.

وبذلك يشترط في المرأة التي يراد العقد عليها أن تكون غير محرّمة على من يريد التزوج بها، سواء أكان هذا التحريم مؤبداً أم مؤقتاً.

التحريم المؤبد:

هو ما يمنع المرأة أن تكون زوجة للرجل في جميع الأوقات للأسباب الآتية:

أولاً - القرابة أو النسب.

ثانياً - المصاهرة.

ثالثاً - الرضاعة.

أولاً - المحرمات بسبب القرابة أو النسب:

وهي التي وردت في الآية الكريمة، قال - تعالى -:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾[2].

يؤخذ من هذه الآية أن المسلم يحرم عليه بسبب القرابة والنسب أربعة أمور:

أ - الأصل من النساء وإن علا (الأم، أم الأم وإن علت وأم الأب، وأم الجد وإن علت)، قال - تعالى -: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ...﴾.

ب - الفرع وإن نزل والمراد به: (البنت وما تناسل منها، وبنت الابن وإن نزل، وما تناسل منها) كما قال - تعالى -: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ...﴾.

---

(١) سورة النساء الآيتان ٢٢-٢٤.

(٢) سورة النساء من الآية ٢٣.

جـ - فروع الأبوين أو أحدهما وإن نزلن وهن (الأخوات سواء شقيقات، أو أخوات لأب، أو لأم، وفروع الإخوة والأخوات) لقوله - تعالى -: ﴿...وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ...﴾.

د - فروع الأجداد والجدات وهُنَّ (العمات والخالات) سواء كُنَّ شقيقات، أو أخوات لأب، أو لأم، وكذلك عمات الأصل والخالات لقوله - تعالى -: ﴿...وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ...﴾.

أما بنات الأعمام والأخوال، وبنات العمات والخالات، وفروعهن فيجوز التزوج بهن، لعدم ذكرهن في المحرمات.

الحكمة من التحريم:

١ - لقد أمر الإسلام بصلة الرحم، والحرص على الروابط التي تربط الأقرباء بعضهم ببعض، وحمايتها من الخصومات والمنازعات.

وقال الكاساني في كتابه (بدائع الصنائع): (إن احترام الأم وتعظيمها واجب، ولهذا أمر الولد بمصاحبة الوالدين بالمعروف وخفض الجناح لهما والقول الكريم، ونهى عن التأفف لهما، فلو جاز النكاح بها، فتكون تحت أمر الزوج وطاعته يلزمها ذلك، وهذا ينافي الاحترام، فيؤدي إلى التناقض).

٢ - حاجة الإنسان في هذه الحياة إلى الاجتماع والاختلاط، فلا غنى للزوجين عن مودة الأقارب في ألفة بغير تحفظ وتكلف، فإذا لم يرفع الحل بين هؤلاء الأقربين لكان من الواجب ألا يلتقي الأخ بأخته والابن بأمه.

٣ - قرر علماء الأحياء أن التزاوج بين الأقارب الأقربين يضعف النسل، بينما التزاوج بين المتباعدين يقويه.

ثانياً - المحرمات بالمصاهرة:

قال - تعالى -:

﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾[1].

وقوله - تعالى -:

﴿...وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ ۖ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ...﴾[2].

يحرم بالمصاهرة أربعة أصناف:

أ - زوجة الأصل، وهو الأب وإن علا سواء من العصب (كأبي الأب)، أو من ذوي الأرحام (كأبي الأم) بمجرد عقد الأب عليها عقداً صحيحاً.

---

(١) سورة النساء الآية ٢٢.

(٢) سورة النساء من الآية ٢٣.

ب - أصل الزوجة: (وهي أمها وأم أمها وأم أبيها وإن علت) سواء دخل بزوجته أو لم يدخل. وهذا رأي جمهور الفقهاء.

جـ - فروع الزوجة: (وهن بناتها وبنات أبنائها وبنات بناتها وإن نزلن) بشرط الدخول بالزوجة وإن لم يدخل فلا تحرم عليه فروعها بمجرد العقد.

لقوله - تعالى -:

﴿...وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ...﴾[1].

الربيبة: وهي (ابنة الزوجة) وهي حرام على زوج أمها بنص الآية، سواء أكانت في الحجر أم لم تكن، وهي تحظى بما تحظى به بنت الصلب من عطف ورعاية.

د - زوجة الفرع: أي زوجة ابنه، أو ابن الابن أو ابن بنته مهما بعدت الدرجة سواء دخل الفرع بزوجته أو لم يدخل لقوله - تعالى -: ﴿...وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ...﴾[2].

الحكمة من التحريم:

١ - إن رابطة المصاهرة كرابطة القرابة والنسب لما تحظى به من الاحترام والاهتمام.

٢ - حرمة زواج أم الزوجة على زوج ابنتها بمجرد العقد عليها حفاظاً على صلة المودة بينهما.

المحرمات بالرضاعة:

قال - تعالى -:

﴿...وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ...﴾[3].

هذه الآية الكريمة صريحة في تحريم الأمهات رضاعاً والأخوات رضاعاً.

وإن الرضاع يصل الرضيع بمن أرضعته صلة الفرع بأصله.

روي أن عائشة - رضي الله عنها - كانت قد رضعت من امرأة أبي القعيس، فجاء أخوه «أفلح» يستأذن عليها فلم تأذن له، وقالت: إنما أرضعتني امرأة أخيه فلا آذن له حتى أستأذن رسول الله، فلما ذكرت ذلك للرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: «ائذني له، فإنه عمك، تربت يمينك»[4].

وبذلك فإنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب.

يثبت التحريم في الرضاعة: بمجرد حصول الرضاع قليلاً أو كثيراً، وذهب الشافعية والحنابلة وابن حزم إلى أن التحريم لا يثبت بأقل من خمس رضعات مشبعات، متفرقات، معلومات بيقين.

---

(١) سورة النساء من الآية ٢٣.
(٢) سورة النساء من الآية ٢٣.
(٣) سورة النساء من الآية ٢٣.
(٤) رواه البخاري في كتاب النكاح رقم الحديث ٤٧٢٢.

التحريم المؤقت له خمسة أسباب:

١ - **المحصنة:** أي المتزوجة أو المعتدة من وفاة أو طلاق.

قال - تعالى -: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[١].

وقال - تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ...﴾[٣].

الحكمة من ذلك: منع الإنسان من الاعتداء على غيره بالتزوج من زوجته أو معتدته، وحفظ الأنساب من الاختلاط والضياع.

٢ - **المشركة:** أي من ليست مسلمة ولا من أهل الكتاب، والمشركون لا يؤمنون بكتاب ولا بسنة ولا يعترفون بوجود الله، قال - تعالى -: ﴿...وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ...﴾[٤].

الحكمة من ذلك: أن بين المسلم والمشركة تناقضاً وتنافراً واختلافاً شاسعاً في العقيدة يحول دون إقامة مودة واستقرار بينهما.

٣ - **الجمع بين محرمين:** قال - تعالى -:

﴿...وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ...﴾[٥].

الحكمة من ذلك: الجمع بين المحرمين يؤدي إلى قطيعة الرحم والعداوة بينهما.

٤ - **الجمع بين أكثر من أربع:** قال - تعالى -:

﴿...فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ...﴾[٦].

٥ - **المطلقة ثلاثاً:** فإذا طلق الزوج زوجته للمرة الثالثة حُرِّمَتْ عليه كزوجة حتى تتزوج رجلاً آخر، ويموت عنها أو يطلقها، قال - تعالى -:

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ...﴾[٧].

الحكمة من ذلك: أن الزوج إذا علم أن زوجته ستحرم عليه إذا طلقها ثلاث طلقات، تروّى في إيقاع الطلاق، ولا يقدم عليه، وإن علمت الزوجة أن طلاقها ثلاثاً يحرّمها على طليقها كانت حريصة على أن تبقي زوجها راضياً فتطيب لها الحياة.

---

(١) سورة النساء من الآية ٢٤.
(٢) سورة البقرة من الآية ٢٣٤.
(٣) سورة البقرة من الآية ٢٢٨.
(٤) سورة الممتحنة من الآية ١٠.
(٥) سورة النساء من الآية ٢٣.
(٦) سورة النساء من الآية ٣.
(٧) سورة البقرة من الآية ٢٣٠.

ثالثاً - الزواج المشروع والزواج غير المشروع:

الزواج المشروع:

وهو ما توافرت أركانه وشروطه، وترتبت عليه آثار شرعية:

- من الآثار الشرعية الواجبة على الزوج لزوجته:
(المهر، والنفقة بجميع أنواعها، والعدل بينها وبين غيرها من الزوجات، وعدم إيذائها بالفعل أو القول أو الظلم).
- من الآثار الشرعية الواجبة على الزوجة لزوجها:
(الطاعة، القرار في البيت الشرعي، ثبوت نسب الولد، التأديب بالمعروف).
- من الآثار الواجبة على كل من الزوجين للآخر:
(حل الاستمتاع، حسن المعاشرة، حرمة المصاهرة، التوارث).

الزواج غير المشروع:

هو الذي لا يترتب عليه آثار شرعية للأسباب الآتية:

- لحصول خلل في الصيغة أو في أهلية العاقد يمنع انعقاد العقد.
- إذا كانت الزوجة من المحارم سواء (قرابة، رضاعة، مصاهرة، زوجة لغيره، معتدة، مطلقة الزوج ثلاثاً، أو ما لا يحل الجمع بينهما وبين من في عصمته، أو لا تدين بدين سماوي).
- إذا كان أحد الزوجين مرتداً أو كان الزوج غير مسلم والمرأة مسلمة.

التقويم

أولاً – أجب عما يأتي:

س١ – ما المقصود بعقد الزواج؟

س٢ – وضِّح معنى قول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –: «لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها أو ذي الرأي من أهلها، أو السلطان».

س٣ – عيِّن ما تراه صحيحاً في ضوء دراستك بوضع علامة الصواب (✓):

أ – يصح زواج التارك للصلاة عمداً من المرأة المسلمة. ( )

ب – وجوب حصول الإيجاب والقبول في مجلس واحد. ( )

جـ – ينعقد النكاح بكل لفظ يؤدي إلى الإيجاب والقبول. ( )

س٤ – ما المقصود بالشاهدين في عقد النكاح؟ مع ذكر الدليل من القرآن والسنة.

س٥ – عقد النكاح الصحيح له أركان أساسية: اكتب ثلاثة منها مع ذكر الدليل:

الركن الأول: ..... الدليل: .....

الركن الثاني: ..... الدليل: .....

الركن الثالث: ..... الدليل: .....

س٦ – أكمل العبارات الآتية بما هو صحيح ومناسب في ضوء دراستك:

١ – الزواج العرفي لا يتمتع بـ ..... ولذلك لا ينبغي الإقدام عليه.

٢ – يبطل عقد الزواج إذا باشره الإنسان لنفسه أو لغيره وهو .....

٣ – من شروط عقد الزواج الصحيح ..... لأن الدوام هو الذي يحقق الأهداف المنشودة من الزواج.

س٧ – علل ما يأتي:

١ – حرمة التزوج بالمحرمات.

٢ – تسمية الزواج غير الشرعي (بالزواج الباطل).

س٨ – اكتب بحثاً عن شروط صحة الزواج، وما يترتب عليها من آثار شرعية بعد الانعقاد.

س٩ – اذكر أهمية توثيق عقود الزواج.

س١٠ – اذكر الفرق بين التحريم المؤبد والتحريم المؤقت.

س١١ – أكمل كل عبارة مما يأتي بما يناسبها من كلمات:

– أسباب التحريم المؤبد: ..... و ..... و ..... و .....

- أسباب التحريم المؤقت: ..... و ..... و .....
- التربية هي: .....
- اقتضت حكمة الله - تعالى - الواسعة في حرمة تزوج الرجال ..... من النساء ..... لما في هذا الزواج من تعارض بين حقوق ..... وحقوق ..... وعدم تحقيق ما يناط بالزواج وهو تقوية .....

س١٢ - ضع علامة (✓) أمام الاختيار الصحيح مما يلي:

(يحرم زواج الرجل بعمته وخالته):

- تحريم بسبب القرابة. ( )
- تحريم بسبب المصاهرة. ( )
- تحريم بسبب الرضاع. ( )

(يحرم زواج الرجل بإحدى قريباته بسبب الرضاع لأن):

- المرضعة تكون أختاً لوالدته. ( )
- لأن المرضعة التي أرضعته بمنزلة الأم. ( )
- لأن البنت تصبح أختاً لإخوته. ( )

(يحرم زواج الرجل بربيبته):

- قبل الدخول بالأم. ( )
- بعد الدخول بالأم. ( )
- قبل وبعد الدخول بالأم. ( )

س١٣ - بيِّن حكمة الله - تعالى - من تحريم كل مما يأتي:

زواج الرجل بالمحرمات بسبب القرابة من مثل:

١ - الأم: .....

٢ - الأخوات: .....

٣ - أقاربه الأقربين (ابنته/ عمته/ خالته) .....

.....

س١٤ - حدد حكم الإسلام في كل مما يأتي:

- زواج رجل من امرأة أرضعته أمها ثلاث رضعات متفرقات.

الحكم: ..... السبب: .....

- زواج رجل من بنت زوجته التي لم يدخل بها.

الحكم: ..... السبب: .....

- زواج رجل من ابنة أخت مرضعته.

الحكم: ..... السبب: .....

- زواج رجل من أم مطلقته بعد الدخول بها.

الحكم: ..... السبب: .....

- زواج رجل من مطلقته ثلاثاً بعد الانتهاء من عدتها.

الحكم: ..... السبب: .....

س١٥ - قال تعالى:

﴿وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ..﴾[1]

ارجع إلى تفسير (اليسر التفاسير) ثم بين المقصود من الآية الكريمة.

س١٦ - ضع المفهوم المناسب أمام كل تعريف في جدول الكلمات المتقاطعة (أفقياً فقط):

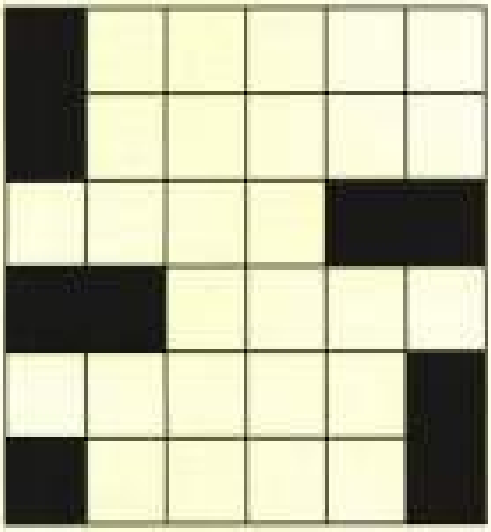

١ - أودع الله - تعالى - في الإنسان غرائز فطرية مختلفة.

٢ - تسجيل العقود رسمياً وقانونياً.

٣ - زواج لا يترتب عليه آثار شرعية.

٤ - بمعنى المهر.

٥ - تمتع الرجل أكثر من المرأة بقوة بدنية وتحمل صعاب الحياة الزوجية.

٦ - من المحرمات التي تمنع المرأة أن تكون زوجة للرجل في جميع الأوقات.

* * *

(١) سورة النساء الآية ٢٣.

الدرس السابع عشر

حقوق كل من الزوجين على الآخر

التمهيد:

رسّخ الإسلام في المجتمع ظاهرة التوازن بين الزوجين في الحقوق والواجبات من غير جنوح أو محاباة، فإنَّ كلاً من الزوجين له من الحقوق بقدر ما يضطلع به من الواجبات، وهذه معادلة منضبطة ومتوازنة ذات طرفين متكافئين.

ويشير إلى ذلك قول الله – تعالى – في تعبير جلي وجامع ووجيز، يغني عن كثير من الإطناب والإسهاب:

﴿...وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ...﴾[1].

وإليك يا بني الآن جملة من حقوق الزوجة على زوجها:

حقوق الزوجة على زوجها:

١ – المهر:

أن يُصْدقها المهر عند حصول النكاح، ويكون عن مبادرة ومودة، وطيب نفس من غير مشاحة ولا كزازة، والمهرُ حق خالص لكل امرأة تتزوج، وهو رمز للتكريم والإخلاص والود، يبادر به الرجل ليدخر لنفسه مع شريكة عمره كريم الذكريات والاحترام المتبادل، فيظل يسكب في واقع الحياة الزوجية فيضاً من المودة والرحمة، قال – تعالى –:

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً...﴾[2].

وقد أوجب الله – تعالى – المهر نظراً لخطورة عقد الزواج، وتقديراً للمرأة، لأنه لو أبيح الزواج دون المهر لكان في ذلك امتهان للنساء وحط لأقدارهن، فينظر الرجل إلى المرأة بعين الاحتقار، فلا تَحْسُنَ العشرة بينهما، ولا يدوم الحب والوئام، مما يؤدي إلى حل الرابطة الزوجية.

٢ – نفقة الزوجة:

أن ينفق عليها نفقة كاملة لتتحقق لها مطالبها كافة من أسباب العيش الهانئ الكريم سواء من (طعام، لباس، إيواء، دواء) إلى غير ذلك من لوازم العيش.

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٢٨.

(٢) سورة النساء من الآية ٤.

والقرابة سبب من أسباب وجوب النفقة على الإنسان سواء في أصوله أو فروعه أو أقاربه، قال - تعالى -: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾[1].

فقد أوجب الله - تعالى - النفقة على الوالدات وهن (الزوجات) وعلى المولود له وهو (الزوج) الذي ينتسب إليه الولد. وإذا كان الزوج بخيلاً فعلى الزوجة أن تأخذ حقها بيدها بالمعروف، وهذا ما رواه البخاري ومسلم عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال: «إن هنداً بنت عتبة قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بنيّ، إلا ما أخذت من ماله بغير علمه فهل عليّ في ذلك من جناح، فقال عليه الصلاة والسلام: خذي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك»[2].

٣ - عدم الإضرار بالزوجة:

أن لا يضارها لا في استيفائها عنده زوجة ولا في تطليقها، فإن استمسك بها زوجة وجب عليه أن يحسن إليها في التعامل والمعيشة، ولا يجعلها عنده ذريعة للتضييق أو القهر أو المناكدة، بل يجب أن يسرحها بإحسان لتمضي في سبيلها من غير أن يظلمها. قال - تعالى -:

﴿...فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ...﴾[3].

وحسن معاملة الزوجة دليل على أصالة الزوج، ومتانة خلقه، وإهانتها أمارة على خبثه ولؤمه. يشهد لذلك قول الرسول - صلى الله عليه وسلم -: «...لا تضرب الوجه ولا تقبّح، ولا تهجر إلا في البيت»[4].

فإذا خرج الزوج عن آداب الإسلام وآذى زوجته بالقول أو الفعل، كان عليها أن ترفع أمرها إلى القاضي ليزجره ويعزّره بما يراه رادعاً له.

٤ - العدل بين الزوجات:

أن لا يحيف عليها بمحاباة أو جنوح نحو زوجة أخرى، بل عليه أن يعدل بين زوجاته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، فلم يحدد الشارع المدة التي يقيمها الزوج عند كل واحدة من زوجاته، بل ترك ذلك إلى تقديره، فإن شاء جعل لكل واحدة ليلة أو ليلتين أو أكثر على ألا يزيد مدة المبيت على سبعة أيام دفعاً للضرر، وبعداً عن إثارة الحزن والاغتمام والغيظ.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إذا كان عند الرجل امرأتان فلم يعدل بينهما، جاء يوم القيامة وشقه ساقط»[5].

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٣٣.
(٢) رواه البخاري ومسلم والرواية لمسلم في كتاب الأقضية حديث ٣٢٣٢.
(٣) سورة البقرة من الآية ٢٢٩.
(٤) رواه أبو داود في كتاب النكاح حديث ١٨٣٠.
(٥) رواه الترمذي في كتاب النكاح حديث ١٠٦٠.

حقوق الزوج على زوجته:

للزوج أيضاً حقوق على زوجته، نبيّنها فيما يأتي:

١ - الطاعة:

أن تطيعه فيما يأمرها به بشرط ألا يكون في ذلك معصية لله - تعالى -، وحق الطاعة مقيد بالمعروف، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فلو أمرها بمعصيته وجب عليها أن تخالفه، ويعتبر الإسلام طاعة الزوجة لزوجها سبيلاً إلى دخول الجنة. قال - صلى الله عليه وسلم -: «أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»(١).

٢ - أن تقوم على خدمة زوجها:

فإن أساس العلاقة بين الزوجين هو المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات. قال - تعالى -:

﴿...وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٢).

والأساس الذي وضعه الإسلام للتعامل بين الزوجين وتنظيم الحياة بينهما هو أساس فطري وطبيعي، فالرجل أقدر على العمل والكدح والكسب خارج المنزل، والمرأة أقدر على تدبير المنزل وتربية الأولاد وتيسير أسباب الراحة في البيت، والطمأنينة في المنزل، وبهذا ينتظم البيت من الداخل والخارج، دون أن يجد أي واحد من الزوجين سبباً من أسباب انقسام البيت على نفسه.

وقوله -تعالى -:

﴿...وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ...﴾.

الدرجة هنا: يقصد بها (القوامة) التي منحت للرجل، والتي تجعله يتمتع بقوة بدنية وقدرة على تحمل الصعاب والشدائد والسعي في جلب قُوته وقوت زوجته وأولاده، فيعرف من أمور الحياة ما لا تعرفه الزوجة، كما يحيط الأسرة بكامل الاهتمام والرعاية.

قال - تعالى -:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ...﴾(٣).

وعلى المرأة أن تقوم بعمل البيت إن كانت قادرة على الخدمة بنفسها، فقد أكد الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - فطرة الله - تعالى - التي فطر الناس عليها أن يعمل الرجل عمل الرجال، وتعمل المرأة عمل النساء، وتقوم دولة المرأة في البيت، ودولة الرجل في معترك الحياة. رُوي أن فاطمة - رضي الله عنها - أتت النبي - صلى الله عليه وسلم - تشتكي إليه ما تلقى في يديها من الرحى وتسأله خادمة، فقال: «ألا أدلكما على خير مما سألتما: إذا أخذتما مضاجعكما فسبحا ثلاثاً وثلاثين، واحمدا ثلاثاً وثلاثين، وكبرا ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من خادم»(٤).

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الرضاع حديث ١٠٨١.
(٢) سورة البقرة من الآية ٢٢٨.
(٣) سورة النساء من الآية ٣٤.
(٤) رواه أبو داود في كتاب الأدب حديث ٤٤٠٣.

٣ – القرار في البيت الشرعي:

أن يسكن زوجته بمنزل الزوجية، والذي يسمى (بالمسكن الشرعي) ويجب أن يكون لائقاً ومحققاً لاستقرار المعيشة الزوجية، وتمنع الزوجة من الخروج منه إلا بإذنه، وإذا خرجت يجب أن يكون خروجها على أساس من العفة والاحتشام والفضيلة والخلق القويم، فعليها أن تستر عورتها وتلتزم حدود الطهارة والحياء، حتى لايطمع فيها أهل الفسق.

عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «المرأة عورة فإذا خرجت استشرفها الشيطان»[1].

٤ – ولاية التأديب بالمعروف:

أن تحفظ غيبته في نفسه وماله، فلا تخونه في نفسها، وتحفظ الأسرار الزوجية والمنزلية، وهذا الصنف من الزوجات ليس للرجال عليهن شيء من سلطان التأديب، فتكون على الدوام موضع ثقة واتمان وطهر، قال – تعالى –:

﴿...فَالصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ...﴾[2].

أما اللواتي يخاف نشوزهن ويحاولن الخروج على الحقوق الزوجية فهن في حاجة إلى إصلاح وتأديب. عن عمرو بن الأحوص الجشمي رضي الله عنه، أنه سمع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حجة الوداع يقول: بعد أن حمد الله وأثنى عليه وذكر ووعظ قال: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً، فإنما هن عوان[3] عندكم، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبيّنة فإن فعلن، فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون، ولا يأذنّ في بيوتكم لمن تكرهون، ألا وحقهن عليكم، أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»[4].

حقوق مشتركة بين الزوجين:

١ – حلُّ الاستمتاع:

يحل لكل من الزوجين الاستمتاع بالآخر، وهذا أمر تدعو إليه الفطرة، ولا يمتنع أحدهما عن الآخر إلا لعذر شرعي من (حيض أو نفاس أو مرض) روي أن زوجة عبدالله بن عمرو بن العاص شكت إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – عدم قربان زوجها لانشغاله بالصلاة، فأرسل إليه النبي – صلى الله عليه وسلم –، فلما جاء قال له: «يا عبدالله ألم أُخبر أنك تصوم النهار، وتقوم الليل؟ فقال: بلى يا رسول الله، قال له: فلا تفعل: صم، وأفطر، وقم ونم فإن لجسدك عليك حقاً، وإن لعينيك عليك حقاً، وإن لزوجك عليك حقاً»[5].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الرضاع حديث ١٠٩٢.
(٢) سورة النساء آية ٣٤.
(٣) عوان أسيرات عندكم.
(٤) رواه الترمذي في كتاب الرضاع حديث ١٠٨٣ وقال: حديث حسن صحيح، كما رواه أحمد في مسند البصريين حديث ١٩٧٧٤.
(٥) متفق عليه، رواه البخاري في كتاب النكاح حديث رقم ٤٨٠٠.

٢ - حسن المعاشرة:

يجب على كل من الزوجين أن يحسن معاشرة صاحبه بالتعاون على جلب الخير، ودفع الشر، والتغاضي عما يحدث من هفوات، والإخلاص وهو أن يخلص كل منهما في أداء الواجبات.

٣ - حرمة المصاهرة:

سبق بيانها في المحرمات، قال - تعالى -:

﴿وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾[1].

٤ - التوارث:

قال - تعالى -:

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ﴾[2].

ويثبت في الزواج الصحيح، إذا مات أحد الزوجين، حال قيام الزوجية حقيقة أو حكماً، ورثه الآخر[3].

٥ - ثبوت نسب الولد للزوج:

عني الفقهاء بثبوت نسب الأولاد، لأنه الهدف الذي ترمي إليه الشريعة الإسلامية من الحياة الزوجية، وهم اللبنات التي يقوم عليها الوجود البشري.

قال - تعالى -:

﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾[4]

---

(١) سورة النساء الآيتان ٢٢-٢٣.

(٢) سورة النساء الآية ١٢.

(٣) المراد قيام الزوجية حكماً أن تكون الزوجة في العدة من طلاق رجعي، والعدة من طلاق بائن فلا توارث بينهما لانقطاع الزوجية.

(٤) سورة الأحزاب من الآية ٥.

وثبوت نسب الولد لأبيه، يكون بأحد الأدلة الثلاثة الآتية:

أولاً: الفراش.

ثانياً: الإقرار.

ثالثاً: البينة.

أولاً: (الفراش) ويراد به (الحمل) فمن حملت وكانت زوجة وقت الحمل، وجاء الولد بعد العقد الصحيح لتمام ستة أشهر فأكثر، ثبت نسب حملها من زوجها من غير حاجة إلى إقرار أو بينة، قال – تعالى –:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ...﴾[1].

الفصال يعني الفطام وهو يعادل (٢٤) شهراً، ومدة الحمل والفصال معاً (ثلاثون شهراً) من هذا نجد أن أقل مدة حمل ستة أشهر وهي التي يثبت بها الحمل.

ثانياً: (الإقرار) ويسمى بثبوت النسب (بالدعوى) وهو نوعان:

- إقرار بثبوت نسب المقر له (الابن) من نفس المقر (الأب).

مثال: الإقرار بأن هذا الولد ابنه، ففيه ثبوت نسب الولد من هذا المقر، ويكون أبو المقر (جداً له) وإخوته (أعمامه) وأولاده (إخوة له) وهكذا.

- إقرار بثبوت نسب المقر له من غير المقر (آخرين).

مثال: إقرار الرجل لآخر أنه (أخوه) فهذا يقتضي أن يكون (ابناً) لوالد المقر فيكون أخاً للمقر ولسائر إخوته. والإقرار لآخر أنه (عمه، أو ابن أخيه).

ثالثاً: (البينة) ويقصد بها (البينة الكاملة) وهي شهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين عدول. وجاء في قانون الأحوال الشخصية الكويتي (لا تسمع دعوى الإقرار بالنسب عند الإنكار إلا إذا كان ثابتاً بورقة رسمية أو عرفية بخط المقر وتوقيعه).

---

(١) سورة لقمان من الآية ١٤.

التقويم

أجب عن الأسئلة الآتية:

س١ – اكتب حقوق الزوج على زوجته.

س٢ – ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

- رسَّخَ الإسلام في المجتمع ظاهرة العدل بين الزوجين فجعل حقوق الرجل تغلب حقوق المرأة. ( )
- أوجب الشرع المهر للمرأة بمجرد إتمام العقد وقبل الزواج. ( )
- الزوجة الموظفة التي تعمل بغير إذن زوجها عليه نفقتها. ( )
- أجاز الفقهاء للزوجة المتضررة أن تطلب من القاضي التطليق من زوجها. ( )
- تطبيق العدل بين الزوجات في المظاهر المادية دون المحبة القلبية. ( )

س٣ – علل ما يلي:

١ – تشريع المهر للزوجة.

٢ – اشتراط الإسلام في مسكن الزوجين أن يكون مسكناً شرعياً.

٣ – أمر الإسلام الزوج بالعدل بين زوجاته في المظاهر المادية دون المحبة القلبية.

٤ – طاعة المرأة لزوجها وخدمته حق من حقوقه المشروعة.

س٤ – قال – تعالى –: ﴿...فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ...﴾[١].

في هذه الآية الكريمة قول رباني معجز يحيط بكل المقاصد وضّحه.

س٥ – ما المقصود بقوله – تعالى –: ﴿...وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ...﴾[٢].

س٦ – قال – تعالى –: ﴿...فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ...﴾[٣].

قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»[٤].

بيّن العلاقة بين الآية الكريمة والحديث الشريف...

س٧ – ارجع إلى كتاب الأحوال الشخصية في التشريع الإسلامي، للدكتور (أحمد الغندور) للبحث عن الحقوق الآتية مع بيان معانيها والحكمة منها وأدلة مشروعيتها:

(المهر/ النفقة/ تأديب الزوجة بالمعروف).

---

(١) سورة النساء من الآية ٣٤.
(٢) سورة البقرة من الآية ٢٢٨.
(٣) سورة البقرة من الآية ٢٢٩.
(٤) رواه مسلم في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء.

س٨ – اختر المعنى الصحيح لكل عبارة آتية من المعاني التي تحتها بوضع علامة (✓):

(١) طاعة الزوجة لزوجها تحقق:

* تفضيل الرجل على المرأة. ( )
* عبودية المرأة وقهرها. ( )
* مصلحة الأسرة وحسن العشرة. ( )

(٢) قوامة الرجل على المرأة تعني:

* الإجبار والتسلط. ( )
* تنظيم أمور الأسرة. ( )
* تجاهل مكانة المرأة. ( )

(٣) يقصد بالمسكن الشرعي:

* الذي تتوافر فيه جميع وسائل اللهو. ( )
* الذي تتوافر فيه جميع سبل الراحة. ( )
* الذي يتوافر فيه الطعام والشراب. ( )

س٩ – حدد حكم الإسلام في القضايا الآتية بكلمة (يجوز / لا يجوز) مع ذكر السبب:

* أخذت الزوجة من مال زوجها البخيل سراً لسد حاجتها وحاجة أولادها.

الحكم: ..... السبب: .....

* خرجت الزوجة من بيت زوجها متبرجة ودون إذن زوجها.

الحكم: ..... السبب: .....

* * *

الإسلام يبيح الفرقة بالمعروف عند الاختلاف وتحذر الاتفاق

ونتناوله من خلال الدروس الآتية :

الدرس الثامن عشر: لماذا أبغض الإسلام الطلاق؟

الدرس التاسع عشر: الطلاق وأحكامه.

الدرس العشرون: أحكام الفراق بغير لفظ الطلاق.

الدرس الحادي والعشرون: أحكام ما بعد الطلاق.

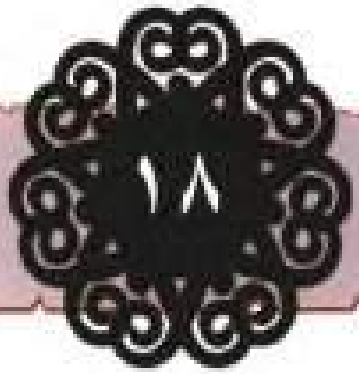

لماذا أباح الإسلام الطلاق؟

التمهيد:

إن استقرار الحياة الزوجية غاية من الغايات التي يحرص عليها الإسلام، وعقد الزواج إنما يعقد للدوام والتأبيد إلى أن تنتهي الحياة، ليتسنى للزوجين أن يجعلا من البيت ركناً يأويان إليه وينعمان في ظلاله، من أجل هذا كانت الصلة بين الزوجين من أقدس الصلات وأوثقها لا ينبغي الإخلال بها أو التهوين من شأنها، ولقد أباح الإسلام الطلاق عند الحاجة إليه وتعذر تحقيق أهداف الزواج ومنافعه.

الحكمة من تشريع الإسلام للطلاق:

ليس كل طلاقٍ محموداً في الإسلام، فمن الطلاق ما يكرهه الإسلام بل يحرّمه، لما فيه من هدم للأسرة التي يحرص الإسلام على بنائها وتكوينها.

ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود: «أبغض الحلال عند الله الطلاق»[1].

إن الطلاق الذي شرّعه الإسلام هو أشبه ما يكون بالعملية الجراحية المؤلمة، التي يتحمل الإنسان العاقل فيها آلام جرحه، بل بتر عضو منه، حفاظاً على بقية الجسد، ودفعاً لضرر أكبر.

فإذا استحكم النفور بين الزوجين، ولم تنجح كل وسائل الإصلاح ومحاولات المصلحين في التوفيق بينهما، فإنّ الطلاق - في هذه الحالة - هو الدواء المر، الذي لا دواء غيره. ولهذا قيل: إن لم يكن وفاق ففراق، قال -تعالى-:

﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦ﴾[2].

وما شرعه الإسلام هنا هو الذي يفرضه العقل والحكمة والمصلحة، فإن من أبعد الأمور عن المنطق والفطرة، أن تفرض بقوة القانون شركة مؤبدة على شريكين، لا يرتاح أحدهما للآخر ولا يثق به.

إن فرض هذه الحياة بسلطان القانون عقوبة قاسية، لا يستحقها الإنسان إلا بجريمة كبيرة، إنها شر من السجن المؤبد، بل هي الجحيم الذي لا يطاق.

وقديماً قال أحد الحكماء: «إن من أعظم البلايا معاشرة من لا يوافقك ولا يفارقك».

وقال المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى

عدواً له ما من صداقته بدّ

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجة في كتاب الطلاق، حديث رقم ١٨٦٣.

(٢) سورة النساء من الآية ١٣٠.

فلنظر وقارن بين هذا التشريع الإلهي العظيم الذي وضعه مَنْ خَلَقَ الإنسان ويعلم ما يصلحه، وبين ما وُضع في الأديان السابقة من أغلال وقيود تجعل من الحياة الزوجية سجناً، وتقتل في الإنسان حقه في الحياة المستقرة وتسلبه أهم حقوقه في الحياة وهي الحرية. لذا نرى الجرائم تكثر والفساد يستشري.

ففي بعض المذاهب المسيحية يحرم الطلاق تحريماً مؤبداً حتى ولو كانت الزوجة غير عفيفة، أو بها من الصفات الخلقية والأخلاقية ما لا يطاق.

وفي بعض المذاهب الأخرى نراه لا يبيح الطلاق إلا في حالات خاصة مثل أن تكون المرأة غير عفيفة، لكنه في هذه الحالة لا يكون طلاقاً كما هو المعروف في الإسلام وإنما يكون فراقاً جسدياً فقط، بحيث يظل كل منهما مرتبطاً بالآخر، ولكن لا يلتقيان جسدياً ولا يستطيع أحدهما أن يتزوج... فلا يكون إلا مخرج واحد أمام الزوجين لممارسة حقهما في إشباع شهوتهما وهو مخرج الشيطان. لهذا كثر الزنى وانتشرت الرذيلة وزهد الناس في الزواج مخافة ألا يستطيعا الفكاك منه إذا ما تعذرت الحياة الزوجية، وانصرف الناس إلى قضاء شهوتهم بالطرق المحرمة، واتخذ الرجل خليلةً واتخذت المرأة خليلاً وما ذلك إلا لوضع التشريعات التي لا تصلح إلا قيوداً مكبلة موضع التشريع الإلهي.

تضييق دائرة الطلاق:

على أن الإسلام وضع جملة من المبادئ والتعاليم، لو أحسن الناس اتباعها والعمل بها لقلت الحاجة إلى الطلاق، ولضيقت من نطاقه إلى حد بعيد، ومن ذلك:

١ – حسن اختيار الزوجة، وتوجيه العناية حين الاختيار إلى الدين والخلق، قبل المال والجاه والجمال، يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(١).

٢ – النظر إلى المخطوبة قبل العقد، ليطمئن الخاطب على مبلغ حسنها في نظره وموقعها من قلبه، ولأن هذا النظر السبكر رسول الألفة والمودة.

٣ – اهتمام المرأة وأوليائها باختيار الزوج الكريم، وإيثار من يرضون دينه وخلقه: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»(٢).

٤ – اشتراط رضا المرأة بالزواج ممن يتقدم لها، ولا يجوز أبداً إجبارها على من لا ترغب فيه.

٥ – اعتبار رضا ولي المرأة وموافقته واجباً وركناً من أركان العقد، ويرى البعض أنه مستحب.

٦ – الأمر بمشاورة الأمهات في زواج بناتهن، ليقوم الزواج على أساس مكين من رضا الأطراف كلها، فقد روي عنه – صلى الله عليه وسلم –: «آمروا النساء في بناتهن»(٣).

---

(١) متفق عليه – رواه البخاري في كتاب النكاح – باب الأكفاء في الدين، ورواه مسلم في كتاب النكاح – باب (في نكاح ذات الدين) مختصر صحيح مسلم للحافظ المنذري تحقيق الألباني ج١ ص٢٠٧ رقم ٧٩٨ وعزاه صاحب كتاب (مفتاح كنوز السنة) إلى أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجة والدارمي وأحمد.

(٢) رواه الترمذي في كتاب النكاح حديث رقم ١٠٠٤.

(٣) رواه أبو داود في كتاب النكاح حديث ١٧٩٢، ورواه أحمد حديث ٤٦٧٠.

٧ - إيجاب المعاشرة بالمعروف، وتفصيل الحقوق والواجبات المتبادلة بين الزوجين، وإيقاظ الضمائر المؤمنة بالتزام حدود الله فيها، وتقوى الله في مراعاتها.

٨ - ترغيب الزوج في أن يكون واقعياً، بحيث لا ينشد الكمال في زوجته، بل ينظر إلى ما فيها من محاسن، إلى جوار ما يكون بها من عيوب، فإن كره منها خُلُقاً رضي منها آخر.

٩ - دعوة الزوج إلى تحكيم العقل والمصلحة إذا أحس بباعث الكراهية نحو زوجته، فلا يسارع بالاستجابة إلى عاطفته، راجياً أن يغير الله الحال إلى ما هو خير. قال - تعالى -:

﴿...وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

١٠ - أمر الزوج أن يعالج الزوجة الناشزة العاصية بالحكمة والتدرج، من اللين في غير ضعف، إلى الشدة في غير عنف. قال - تعالى -:

﴿...وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[2].

١١ - أمر المجتمع بالتدخل عند وقوع الشقاق بين الزوجين، وذلك بتشكيل مجلس عائلي من ثقات أهله وأهلها، لمحاولة الإصلاح والتوفيق وحل الأزمة القائمة بالحسنى. قال - تعالى -:

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾[3].

هذه هي تعاليم الإسلام، ولو أن المسلمين اتبعوها ورعوها حق رعايتها، لانحصر الطلاق في أضيق نطاق.

---

(١) سورة النساء من الآية ١٩.

(٢) سورة النساء من الآية ٣٤.

(٣) سورة النساء من الآية ٣٥.

التقويم

السؤال الأول: أجب عما يأتي:

أ - لماذا أباح الإسلام الطلاق؟

ب - متى يكون الطلاق في الإسلام محموداً؟ مع التوضيح.

جـ - ما حكم الإسلام إذا استحكم النفور بين الزوجين ولم تصلح جميع وسائل الإصلاح؟

د - قارن بين تشريع الإسلام للطلاق وبين ما سبقه من أديان ومذاهب.

هـ - اذكر ثلاثة من المبادئ والتعاليم التي وضعها الإسلام للتقليل من حالات الطلاق.

السؤال الثاني:

ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة، وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

١ - إجبار المرأة على الزواج من الرجل الغني فيه سعادة للزوجين. ( )

٢ - كل طلاق في الإسلام مكروه. ( )

٣ - من أعظم البلايا معاشرة من لا يوافقك ولا يفارقك. ( )

٤ - الإسلام يحرص على وجود السعادة في الأسر المسلمة. ( )

٥ - من أجمل الصفات التي تُرَغِّبُ في زواج المرأة الدين. ( )

السؤال الثالث:

- عند الإقدام على الزواج هناك صفات مادية وصفات معنوية - اذكرها مبيناً أفضلها، ولماذا؟

السؤال الرابع:

- ماذا تفهم من قوله تعالى: ﴿...وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ...﴾؟

ارجع إلى كتب التفسير.

* * *

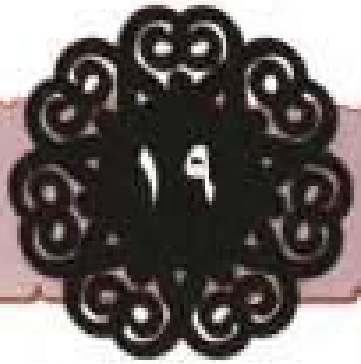

الطلاق وأحكامه

التمهيد:

بعد أن بيّنا في الدرس السابق الحكمة من مشروعية الطلاق والمبادئ والأسباب التي تؤدي إلى انخفاض حالات الطلاق، نتعرف في هذا الدرس على الطلاق وأحكامه.

تعريف الطلاق:

الطلاق لغة: مأخوذ من الإطلاق وهو الإرسال والترك.

الطلاق شرعاً: حل رابطة الزواج وإنهاء العلاقة الزوجية.

حكم الطلاق: يجوز شرعاً إذا استحال دوام العشرة بين الزوجين.

قال الله – تعالى –:

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ...﴾[١].

قال الله – تعالى –:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ...﴾[٢].

ومن السنة: أن ابن عمر – رضي الله عنهما – طلق امرأة له وهي حائض فذكر ذلك عمر للنبي – صلى الله عليه وسلم – فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «مُره فليراجعها ثم إذا طهرت فليطلقها»[٣].

ومن الإجماع: اجتمعت الأمة على مشروعية الطلاق إذا تعذر بقاء الحياة الزوجية واستمرارها. ويحرم الطلاق إن لم يكن لحاجة تدعو إليه (عند الأحناف والحنابلة).

وأدلتهم: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «أبغض الحلال عند الله الطلاق»[٤].

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة»[٥].

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق»[٦].

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٢٩.
(٢) سورة الطلاق من الآية ١.
(٣) رواه مسلم في كتاب الطلاق حديث ٢٦٨٦.
(٤) رواه أبو داود في كتاب الطلاق حديث ١٨٦٢.
(٥) رواه أصحاب السنن وحسنه الترمذي والرواية للترمذي في كتاب الطلاق واللعان حديث ١١٠٨.
(٦) رواه أبو داود في كتاب الطلاق حديث ١٨٦٢.

هذا وقد فصّل الحنابلة في حكم الطلاق تفصيلاً حسناً فقالوا:

١ - قد يكون الطلاق واجباً: إذا تحقق للزوج إلحاق الأذى به في دينه أو عِرْضِهِ أو نفسه أو نسله، ولم يصلح معها وسائل العلاج.

مثل: أن تكون الزوجة غير عفيفة، أو مصرة على المعصية.. إلخ، وطلاق الحَكَمين وطلاق المولي إذا بلغ أربعة أشهر.

وطلاق الحكمين «عند مخافة الشقاق بين الزوجين يندب حَكَم من طرف الزوج وحَكَم من طرف الزوجة للإصلاح بينهما وإيجاد حل لما بينهما من مشكلات، فإذا قرر الحَكَمان الطلاق حلاً للمشاكل وجب الطلاق.

والمُولي هو «الذي يقسم على زوجته ألا يمسها فترة معينة من الزمن فإذا تعدى أربعة أشهر كان واجباً عليه أن يطلقها».

٢ - ويكون الطلاق محرماً: إذا حصل منه أو تحقق حصول الأذى بأحد الزوجين.

٣ - ويكون الطلاق مندوباً إليه: إذا كانت الزوجة تفرّط في حقوق الله أو الزوج أو الأبناء ولا يصلح معها علاج.

٤ - ويكون الطلاق مباحاً: إذا كانت المرأة غليظة الطبع ويصعب تحملها.

أركان الطلاق:

١ - الزوج البالغ العاقل المختار غير المكره.

٢ - الزوجة التي في عصمة زوجها من عقد صحيح.

أولاً - الطلاق الرجعي:

تعريفه: هو ما يملك معه الزوج حق مراجعة مطلقته ما دامت في العدة ولو بدون موافقتها، بشرط أن يكون بعد الدخول وبدون عوض وبدون ثلاث طلقات، فإذا اختل أحد الشروط لا يسمى رجعياً.

الدليل من القرآن الكريم:

قال الله - تعالى -:

﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[1].

وقال الله - تعالى -:

﴿...وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا...﴾[2].

ومن السنة: «أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر ابن عمر أن يراجع زوجته»[3].

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٢٩.

(٢) سورة البقرة من الآية ٢٢٨.

(٣) رواه النسائي ومسلم وابن ماجة وأبو داود سبق تخريجه.

الأحكام المترتبة على الطلاق الرجعي:

١ – المطلقة طلاقاً رجعياً لها حكم الزوجة من النفقة والسكنى وغيرها حتى تنقضي عدتها، فإذا انقضت عدتها بانت منه ولا يراجعها إلا بعقد ومهر جديدين وبموافقتها.

٢ – الطلاق الرجعي لا يمنع توارث أحد الزوجين إذا مات الآخر ولا يوجب مؤخر الصداق، ويلحق بالمرأة ما يوقعه عليها الرجل من ظهار أو إيلاء.

٣ – الطلاق الرجعي لا يمنع استمتاع الرجل بزوجته، مع العلم بأن الاستمتاع يعتبر رجعة، ولذلك منع المشرّع خروج المرأة من بيتها ما دامت في العدة بغية المراجعة.

٤ – المطلقة طلاقاً رجعياً لها أن تتزين وتتجمل وتتكحل وتتحلى بالحلي وغيره ولها أن تظهر بهذا لزوجها بغية المراجعة.

٥ – الطلاق الرجعي يحتسب من عدد مرات الطلاق.

٦ – المراجعة من حق الرجل وحده ودون إذن الزوجة ما دامت في العدة.

٧ – المراجعة تكون بالقول كما تكون بالفعل، فالقول مثل «راجعتك»، والفعل مثل القبلة أو المباشرة بشهوة أو الجماع، وعند الشافعي لا تكون المراجعة إلا بالقول.

ثانياً – الطلاق المحرم:

الطلاق الحرام له صور كثيرة في المذاهب فمنه:

١ – أن يطلق الرجل امرأته ثلاث طلقات متتاليات في وقت واحد كأن يقول لزوجته أنت طالق أنت طالق أنت طالق.

٢ – الطلاق في المحيض لأمر النبي – صلى الله عليه وسلم – ابن عمر بمراجعة زوجته التي طلقها وهي حائض.

٣ – إذا تحقق من الطلاق حصول الضرر بأحد الزوجين أو كليهما لأنه لا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

ثالثاً – الطلاق بالتحريم:

تعريفه: وهو أن يجعل الرجل تحريم زوجته قسماً، كأن يقول زوجتي محرمة إذا فعلت كذا، أو زوجتي محرمة إذا كان كذا وكذا، أو يحرم الرجل زوجته على نفسه كأن يقول لها أنت محرمة علي كأمي أو كأختي وهذا ظهار، أو يجعل من تحريم زوجته وسيلة للتهديد فيقول لها أنت محرمة إذا فعلت كذا أو كذا مثل إذا خرجت من بيتك فأنت محرمة علي.

الحكم: إذا نوى الزوج المحرّم يمين الظهار كان عليه كفارة الظهار، وإذا نوى به الطلاق وقع طلاقاً رجعياً، وإذا نوى به مجرد التهديد والتخويف أو مجرد القسم ولم يكن في نيته الطلاق أبداً كان عليه كفارة يمين.

الدليل من السنة:

١ - أن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «إذا حرَّم الرجل عليه امرأته فهي يمين يكفرها، ثم قال: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة» وهو يعني بذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حرَّم مارية فلم تحرم عليه وإنما اكتفى بعتق رقبة»[١].

٢ - قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: «إذا حرَّم الرجل عليه امرأته فهي يمين يكفرها»[٢].

رابعاً - الطلاق بالكتابة والوكالة:

التعريف:

الطلاق بالكتابة: أن يكتب الزوج كتاباً إلى زوجته يُعْلمها فيها بطلاقها.

الحكم: إن الكتابة تقوم مقام النطق حتى مع القدرة على النطق، وعلى هذا فإذا كتب الرجل إلى زوجته كتاباً يعلمها فيه بطلاقها منه انفذه إليها طُلقت متى وصلها الكتاب.

شروط الكتاب:

١ - أن يكون صريحاً بالدلالة على الطلاق «كأن يقول في كتابه يا زوجتي يا فلانة أنت طالق مني أو طلقتك.. إلخ» فلو كان غير صريح، كأن يقول في كتابه زوجتي طالق ولم يحدد اسمها فلا تطلق لاحتمال أن يكون له زوجة أخرى وهكذا.

٢ - أن يكون الزوج معلوم الخط وواضح التوقيع عند الزوجة، فإذا لم يعرف توقيعه لا تطلق، ويسن الإشهاد على الكتاب.

تعريف الطلاق بالوكالة:

هو أن يوكل الزوج عنه شخصاً آخر يقوم مقامه في تطليق زوجته.

الحكم: يجوز للزوج أن يوكل مكانه من يقوم بتطليق زوجته عنه، ولا خلاف في ذلك لأن الوكالة جائزة في الحقوق، والطلاق حق للرجل.

خامساً - طلاق التخيير والتمليك:

أولاً - طلاق التخيير:

وهو أن يقول الرجل لامرأته اختاري أو خيرتك في مفارقتي أو البقاء معي: فإن اختارت الطلاق طلقت، وقد خير رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نساءه فاخترنه جميعاً على الحياة الدنيا وزينتها.

قال - تعالى -:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ

---

(١) متفق عليه والرواية لمسلم في كتاب الطلاق حديث ٣٦٩٣.

(٢) رواه مسلم في كتاب الطلاق حديث ٣٦٩٣.

وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

ثانياً - طلاق التمليك:

وهو أن يقول الزوج لزوجته ملكتك أمرك، أو أمرك بيدك، فإذا قال لها ذلك فقالت إذاً أنا طالق طلقت منه طلقة واحدة رجعية، وعند الإمام مالك أنها إذا طلقت نفسها ثلاثاً بانت منه، ولا يملك رجعتها إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره.

سادساً - الطلاق الصريح والطلاق بالكناية:

أولاً - الطلاق باللفظ الصريح:

هو ما لا يحتاج إلى بيان النية بالنسبة للزوج لأن اللفظ واضح وصريح في التطليق مثل أن يقول الزوج لزوجته أنت طالق أو مطلقة أو طلقتك... إلخ وهذا النوع يوقع الطلاق في الحال.

ثانياً - الطلاق بالكناية:

وهو ما يحتاج فيه إلى بيان نية الزوج إن كان يقصد الطلاق أم لا، لأن اللفظ غير صريح في الدلالة على الطلاق مثل أن يقول الزوج لزوجته الحقي بأهلك، لا تكلميني، أو اخرجي من الدار، أو أنت حرة، وما أشبه ذلك من الألفاظ التي تحمل الطلاق وغيره.

ومثل هذه الألفاظ لا بد فيها من بيان النية وسؤال الزوج عن نيته، فلو قال لا أقصد الطلاق يُصدَّقُ ولا تطلق زوجته، وإن نوى الطلاق طُلقت، وهذا هو مذهب الإمام مالك والشافعي - رحمهما الله -.

الأدلة:

١ - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - طلق إحدى نسائه بلفظ «الحقي بأهلك» يقصد مطلقة.

٢ - أن كعب بن مالك لما أمره رسول الله - صلى الله عليه وسلم - باعتزال زوجته سأل: أطلقها؟ أم ماذا أفعل؟ فلما قالوا له بل فقط اعتزلها قال لها: الحقي بأهلك «يقصد غير مطلقة».

فنلاحظ أن لفظ «الحقي بأهلك» استخدم مرة بمعنى الطلاق ومرة بمعنى الاعتزال.

ملاحظة:

هناك بعض الكنايات الظاهرة الواضحة في معنى الطلاق فلا تحتاج إلى نية مثل: «أن يقول الزوج لزوجته أنت بائن مني تحلين لجميع الرجال»، ففي هذه الحالة تطلق المرأة ولا يسأل الزوج عن النية إذ هي واضحة. أما إذا قال الزوج لزوجته: «أنت بائن» فقط ولم يُجلِّها لغيره كناية ظاهرة بل هي كناية خفية لا بد فيها من سؤال الرجل عن نيته، لأن كلمة «بائن» تفيد البعد وتفيد الطلاق.

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٢٨-٢٩.

سابعاً – الطلاق المنجز والمعلق:

أولاً – الطلاق المنجز:

وهو أن تطلق المرأة بلفظ يفيد وقوع الطلاق في الحال مثل «أنت طالق» فتطلق في الحال، أو مثل «أنت مطلقة، أو طلقتك... إلخ».

ثانياً – الطلاق المعلق:

وهو ما علق على فعل شيء أو تركه مثل أن يقول الزوج لزوجته «إذا خرجت من الدار فأنت طالق» فهذا الطلاق معلق على الخروج فإذا خرجت وقع الطلاق.

قال العلماء:

والتعليق نوعان:

١ – قسمي: ويقصد منه الحمل على الفعل أو الترك مثل: إن خَرَجْتِ فأنت طالق، أو إذا لم تفعلي كذا فأنت طالق.

فإن قصد التخويف والتهديد أو القسم ففيه كفارة يمين عند ابن تيمية وابن القيم، وهذا يقع طلاقاً عند الجمهور.

٢ – شرطي: ويقصد منه إيقاف وقوع الطلاق على شرط، مثل أن يقول الرجل لزوجته: «إن أبرأتني من مؤخر الصداق فأنت طالق»، فإذا أبرأته طلقت لوقوع الشرط، وهذا يقع طلاقاً عند الجمهور لوقوع الشرط المعلق عليه الطلاق.

التقويم

السؤال الأول:

أ – عرّف الطلاق لغة وشرعاً.

ب – ما حكم الطلاق في الإسلام؟

جـ – اذكر الدليل على مشروعية الطلاق من القرآن والسنة.

د – فصّل الحنابلة في حكم الطلاق تفصيلاً حسناً وضّح ذلك.

هـ – للطلاق أركان يتوقف عليها – اكتبها.

و – عرّف الطلاق الرجعي – واذكر الدليل عليه.

ز – ما الأحكام المترتبة على الطلاق الرجعي؟

السؤال الثاني:

أ – الطلاق الحرام له صور كثيرة – اذكر ثلاثة منها.

ب – عرّف الطلاق بالتحريم – واذكر الدليل عليه – واذكر صورة له.

السؤال الثالث:

أ – عرّف الطلاق بالكتابة والوكالة – واذكر حكمه وشروطه.

ب – ما المقصود بطلاق التخيير والتمليك؟

جـ – ما المقصود بما يأتي؟

١ – الطلاق باللفظ الصريح.

٢ – الطلاق بالكناية.

٣ – الطلاق المنجز.

٤ – الطلاق المعلق.

د – الطلاق المعلق نوعان – اذكرهما مع التوضيح.

السؤال الرابع:

ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة:

١ – الطلاق الرجعي يمنع التوارث بين الزوجين إذا مات أحدهما. ( )

٢ – الطلاق بالكتابة يحتاج إلى بيان نية الزوج. ( )

٣ – طلاق التمليك أن تكون الزوجة ملكاً لزوجها. ( )

٤ – إذا حرّم الرجل عليه امرأته فهي يمين يكفرها. ( )

* * *

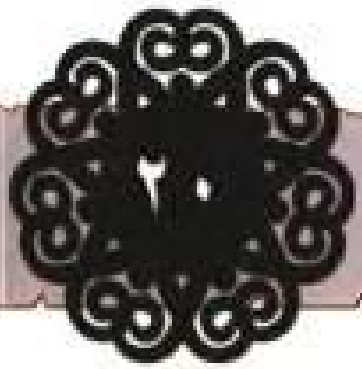

أحكام الفراق بغير لفظ الطلاق

التمهيد:

هناك أنواع أخرى قد تؤدي إلى الفراق بين الزوجين بغير لفظ الطلاق وهي (الظهار – الخلع – اللعان).

أولاً – الظِّهار:

تعريفه: هو أن يقول الرجل لامرأته: أنت عليَّ كظهر أمي أو أختي.

حكم استعمال هذا اللفظ: يحرم استخدام هذا اللفظ لأن الله – تعالى – وصفه في سورة «المجادلة» بالمنكر والزور.

قال – تعالى –: ﴿الَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾[1].

الأحكام المترتبة على الظِّهار:

١ – يجب على المظاهر كفارة وهي عتق رقبة، فإن عجز فصيام شهرين متتابعين، فإن عجز فإطعام ستين مسكيناً قبل أن يمس زوجته.

٢ – لا يمس المظاهر زوجته قبل الكفارة، وإن فعل فعليه إثم ويتوب إلى الله ولا شيء عليه من الكفارات.

٣ – يقع الظِّهار بكل محرَّمةٍ عليه كالعمة والخالة والابنة... إلخ، ولا يعتبر الظهار طلاقاً.

ثانياً – الخلع:

تعريف الخلع: هو افتداء المرأة نفسها من زوجها الكارهة له بمال تدفعه إليه أو تتنازل عن كامل حقوقها لديه ليتخلى عنها.

حكم الخلع: الخلع جائز شرعاً.

الدليل: قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – لامرأة ثابت بن قيس: «أتردين عليه حديقته التي أصدقك؟ قالت: نعم، فقال الرسول – صلى الله عليه وسلم – لثابت زوجها، خذ منها»[2] وذلك أن زوجة ثابت بن قيس اشتكت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – استحالة قدرتها على العيش معه، وأنها تخشى أن تُغضب الله فيه، وبينت أن ذلك ليس لعيب في أخلاقه ولا دينه بل لدمامته، وهي تخشى أن تدفعها هذه الكراهة إلى التقصير فيما يجب له من حقوق.

---

(١) سورة المجادلة الآية ٢.

(٢) رواه أحمد في مسند المدنيين حديث ١٥٥٦٣.

شروط الخلع:

١ - أن يكون البغض من الزوجة.

٢ - ألا تطالب المرأة بالخلع إلا إذا بلغت درجة الضرر التي تخشى معها ألا تقيم حدود الله.

٣ - ألا يتعمد الرجل إضرار زوجته حتى تخالعه.

أحكام الخلع:

١ - يستحب ألا يأخذ الزوج من زوجته أكثر من مهرها.

٢ - الخلع يقع بائناً، وعلى ذلك لا يُمكن للمخالع أن يراجع في العدة.

٣ - إن كان الخلع بلفظ الخلع اعتدَّت منه بحيضة واحدة، وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أمر زوجة ثابت بن قيس أن تعتد بحيضة واحدة.

أما إذا كان الخلع بلفظ الطلاق فإن رأي الجمهور على أنها تعتد بثلاث حيضات.

رأي ابن تيمية: أن الطلاق بعوض يعد خلعاً سواء كان بلفظ الخلع أو بلفظ الطلاق، وهو يقع فسخاً وليس طلاقاً، بدليل أمر النبي - صلى الله عليه وسلم - لامرأة ثابت بن قيس أن تعتد بحيضة واحدة مع أنه قال لزوجها «طلقها» فاستخدم النبي لفظ الطلاق وأجرى الحكم فسخاً.

٤ - يجوز الإنابة والوكالة في المخالعة.

٥ - يجوز مخالعة المريضة والصغيرة ووليُّها يخالع عنها.

ثالثاً - اللعان:

تعريفه: هو أن يرمي الرجل زوجته بالزنى أو ينفي حملها منه. وذلك بأن يقوم كلٌّ من الزوجين بلعن نفسه في الخامسة إن كان كاذبا وهو شهادات مؤكدات بأيمان من الجانبين مقرونة بلعن وغضب.

مشروعيته:

اللعان مشروع بكتاب الله - تعالى -.

قال الله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ۝ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ۝ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[1].

وفي السُّنة أنَّ عويمر العجلاني وامرأته تلاعنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وتلاعن أيضاً هلال بن أمية وامرأته عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وذلك أنَّ هلال بن أمية قذف امرأته عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بشريك بن سحماء فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «البينة أو حد في ظهرك». فقال يا رسول الله: إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة؟!

فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: «البينة وإلا حد في ظهرك». فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصادق وليُنزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزلت الآيات السابقة.

---

(١) سورة النور الآيات من ٦-٩.

فانصرف النبي – صلى الله عليه وسلم – إليها فجاء هلال فشهد والنبي – صلى الله عليه وسلم – يقول: «إنَّ الله يعلم أنَّ أحدكما كاذب فهل منكما تائب»، ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة أوقفوها وقالوا: إنها موجبة، قال ابن عباس فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع، تنكَّرت فضيحة قومها فاتمت الشهادة، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – «أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الإليتين خدلَّج الساقين فهو لشَريك بن سحماء»، فجاءت به كذلك، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن»[1].

كيفية اللعان: إذا اتهم الرجل زوجته بأنه رآها تزني وليس معه شهود، أو نفى حملها منه بأن حملت ولم يقرَّبها، أو ولدت قبل ستة أشهر من زواجه منها فإنه يشهد أربع شهادات بالله أنها زانية فيقول: «أشهد بالله أنها زانية زانية» وفي الخامسة يقول: «ولعنة الله عليَّ إن كنت من الكاذبين» ولهذا سمي لعاناً.

فإذا أقرت المرأة أقيم عليها الحد، وإذا لم تقر وأرادت أن تبرِّئ نفسها تشهد أربع شهادات بالله أنه كاذب وفي الخامسة تقول: «وغضب الله عليَّ إن كان من الصادقين».

أحكام اللعان:

١ – إن الذي يجري اللعان هو الحاكم، وينوب عنه القضاء.

٢ – لا بد أن يكون المتلاعنان بالغين عاقلين.

٣ – يعتبر اللعان قسماً وشهادة.

٤ – الزوج هو الذي يبدأ بالملاعنة أولاً ثم الزوجة.

٥ – يجوز لعان الأعمى والأخرس ما دام يُفهم عنه الإشارة.

٦ – إذا رجعت المرأة في شهادتها أو كذبت نفسها تُحد حدَّ الزنى.

٨ – إذا تلاعن الزوجان وقعت الفرقة بينهما على سبيل التأبيد ولا ترتفع الحرمة بينهما بحال من الأحوال، وتقع الفرقة فسخاً عند الجمهور.

٩ – إذا نفى الرجل ابنه وتم اللعان بنفيه له، ينتفي نسبه من ابنه، وتسقط نفقته عليه وينتفي التوارث بينهما ويلحق المولود بأمه ترثه ويرثها.

وقد قضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في ولد المتلاعنين أنه يرث أمه وترثه أمه، ومَنْ رماها به جلد ثمانين.

١٠ – الابن المتلاعن ينفيه يعامَلُ معاملة الابن احتياطاً، فلا يدَّعيه أحد ولا يُعَدُّ مجهول النسب، وتثبت المحرميَّة بينه وبين أخواته البنات، ولا يأخذ من الزكاة ولا قصاص بينهما، وإذا كذَّب الأب نفسه انتقل الابن من البنوة الحكمية الاحتياطية إلى البنوة الشرعية الثابتة.

١١ – من قذف المتلاعنة بابنها حُدَّ حدَّ القذف وهي من عداد المحصنات.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الشهادات وكتاب تفسير القرآن حديث ٤٧٤٧.

التقويم

أجب عما يأتي:

س١-

أ - عرّف الظهار. واذكر حكمه، والأحكام المترتبة عليه.

ب - عرّف الخلع واذكر حكمه والدليل عليه.

جـ - للخلع شروط وأحكام تترتب عليه - اذكرها.

س٢-

أ - عرّف اللعان - وبين مشروعيته.

ب - وضّح كيفية اللعان.

جـ - للعان أحكام كثيرة اذكر ثلاثة منها.

س٣-

أ - لابن تيمية رأي في الطلاق بعوض - وضّحه.

ب - هل يُعدُّ الظهار طلاقاً؟ استدل على ما تقول بدليل.

س٤ - ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة:

أ - الظهار في الإسلام لا يعد طلاقاً. ( )

ب - اللعان أن يرمي الزوج زوجته بالسرقة. ( )

جـ - لا يشترط في المتلاعنين أن يكونا بالغين. ( )

د - إذا رجعت المرأة في شهادتها في اللعان تحدّ حدّ الزنى. ( )

س٥ - ما حكم الابن المتلاعن بنفيه؟

* * *

أحكام لما بعد الطلاق

التمهيد:

يحرص الإسلام على نسل أبناء المسلمين، فوضع أحكاماً لا بد من تحقيقها قبل أن تتزوج المطلقة برجل آخر لإثبات براءة الرحم أو إثبات الحمل للزوج المتوفى.

١ – العدة:

تعريفها: هي المدة التي تنتظر فيها المرأة وتمتنع عن الزواج بعد وفاة زوجها أو فراقه لها لإثبات براءة الرحم أو إثبات الحمل للزوج المتوفى...

حكمها: واجبة على كل مفارقة لزوجها في حياته أو بعد وفاته، وهي ثابتة بالقرآن والسنة والإجماع.

الدليل: قال – تعالى –: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ...﴾[١].

وقال – تعالى –: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[٢].

والدليل من السنة: قول الرسول – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الذي يرويه الشعبي عن فاطمة بنت قيس: قالت طلقني زوجي ثلاثاً فأردت النفقة فأتيت النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: «انتقلي إلى بيت ابن عمك عمرو بن أم مكتوم فاعتدي عنده»[٣].

هذا وقد أجمعت الأمة على وجوب العدة دون اختلاف على مر الأزمان والعصور وذلك لاستبراء الأرحام، وطهارة الأنساب، ومراعاة شعور أهل الزوج عند وفاته، وتقديراً له بعد مماته، وهي أيضاً فرصة في الطلاق الرجعي للمراجعة واستدامة الحياة الزوجية، وهي من حكمة الإسلام في تشريعاته.

أنواع العدة:

أ – عدة المطلقة:

١ – عدة المرأة التي تحيض ثلاث حيضات، قال – تعالى –:
﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ...﴾[٤].

٢ – عدة المستحاضة: والمستحاضة هي التي ينزل عليها الدم لفترات طويلة قد تصل لشهر أو أكثر،

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٢٨.
(٢) سورة البقرة من الآية ٢٣٤.
(٣) رواه مسلم في صحيحه في «كتاب الطلاق، باب المطلقة ثلاثاً لا نفقة لها حديث ٣٧١٨.
(٤) سورة البقرة من الآية ٢٢٨.

وهذه عدتها تكون بالاقراء إذا كانت تميز دم الحيض من غيره، أما إذا كانت لا تميز دم الحيض من غيره فعدتها بالشهور «ثلاثة أشهر»، أما إذا كانت تعرف عدد أيام حيضها احتسبتها.

٣ - عدة المرأة التي يئست من المحيض ثلاثة أشهر. قال - تعالى -:

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ﴾[1].

٤ - عدة غير المدخول بها: لا عدة لها، لقوله - تعالى -:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا...﴾[2].

- عدة الحامل: عدة الحامل تنتهي بوضع الحمل.

ب - عدة المتوفى عنها زوجها:

١ - عدة المرأة التي مات عنها زوجها وهي غير حامل أربعة أشهر وعشراً. قال - تعالى -:

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا...﴾[3].

٢ - عدة المرأة المتوفى عنها زوجها وهي حامل عِدَّتُها وضع الحمل. قال - تعالى -:

﴿...وَأُو۟لَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ...﴾[4].

٣ - عدة غير المدخول بها كعدة المدخول بها (أربعة أشهر وعشراً) لحقوق الزوج ومشاعر أهله.

جـ - عدة من غاب عنها زوجها ولم يُعرف مصيره أي (المفقود):

فهذه تتربص أربع سنوات من تاريخ غياب الزوج وانقطاع خبره ثم بعد السنوات الأربع تعتد عدة وفاة أربعة أشهر وعشراً.

- مسألة: ما الحكم إذا رجع بعد أن انتظرت الزوجة أربع سنوات واعتدت بأربعة أشهر وعشراً ثم تزوجت من رجل آخر؟

- الحكم: إذا رجع الزوج الغائب الذي كان قد انقطع خبره وانتظرت زوجته أربع سنوات، واعتدت بأربعة أشهر وعشراً، ثم تزوجت بآخر، أن ترجع إليه إذا أراد ذلك، فإن كان الزوج الثاني قد دخل بها تعتد منه عدة طلاق، ثم تعود لزوجها الأول دون عقد أو مهر، لأن العقد قائم والمهر قد قبض، أما إذا كان زوجها الثاني لم يدخل بها فإنها تعود لزوجها الأول دون عدة، وللزوج الأول الحق أيضاً في عدم ردها وتركها مع الزوج الثاني، وله أن يأخذ مقابل ذلك المهر الذي دفعه من الزوج الثاني ويأخذه الزوج الثاني من الزوجة، وهذا الحكم قضى به علي وعثمان «رضي الله عنهما»[5].

- مسألة: ماذا تفعل المرأة إذا تداخلت عليها العِدد؟

---

(١) سورة الطلاق من الآية ٤.
(٢) سورة الأحزاب من الآية ٤٩.
(٣) سورة البقرة من الآية ٢٣٤.
(٤) سورة الطلاق من الآية ٤.
(٥) منهاج المسلم ص ٤٩٠.

الجواب:

١ – إذا كانت المرأة معتدة من طلاق رجعي ومات زوجها فإنها تنتقل من عدة الطلاق إلى عدة الوفاة.

٢ – إذا كانت المرأة معتدة بالحيض فحاضت حيضة أو حيضتين ثم انقطع حيضها فإن عدتها تنتقل من الأقراء إلى الأشهر.

٣ – إذا كانت المرأة معتدة بالأشهر ورأت الدم، فإنها تنتقل من الحساب بالأشهر إلى الحساب بالقروء.

٤ – إذا كانت المرأة معتدة بالأشهر أو بالقروء ثم ظهر لها أنها حامل، فإن عدتها تكون بوضع الحمل.

٢ – الاستبراء:

تعريفه: هو التأكد من خلو الرحم حتى لا تختلط الأنساب وتضيع الحقوق.

حكمه: وهو بالنسبة للأمَةِ بحيضة واحدة إن كانت من ذوات الحيض، وأما إن كانت لا تحيض فبالأشهر، «شهراً واحداً»، وأما إن كانت حاملاً فعدتها بوضع الحمل، وإن كانت صغيرة أو لا يُعرَف لها حيض فبعدد من الأيام يمكن من خلاله التأكد من براءة الرحم.

وبالنسبة للحرائر إذا اعْتُصِبْنَ أو وُطِئْنَ بشبهة فيبرأن بمثل ما تتبرأ به غيرهن من المطلقات ثلاث حيضات أو ثلاثة أشهر أو وضع الحمل، وليس عليهن عدة وفاة.

الدليل: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقي ماءه زرع غيره»(١).

وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يسقي ماءه ولد غيره»(٢).

٣ – الإحداد:

تعريفه: هو اجتناب المعتدة ما يدعو إلى جماعها أو يُرَغِّب في النظر إليها من الزينة والطيب والملبس والتحسين وهيئة المشية والكلام والحركة.

حكمه: يجب على المرأة المُتَوَفَّى عنها زوجها أن تحد مدة عدتها، فلا تلبس جميلاً ولا تتخضب ولا تكتحل ولا تضع الحناء ولا تمس الطيب ولا تلبس الحُلِيّ.

الدليل: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً»(٣).

كما يجب على المعتدة ألا تخرج من بيتها إلا لضرورة ملحة، وإذا خرجت تلتزم بما سبق بيانه في الهيئة والكلام والحركة والمظهر، ولا تبيت خارج بيتها، لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للمرأة

---

(١) رواه أبو داود في كتاب النكاح حديث ١٨٤١.

(٢) رواه الترمذي وصححه ابن حبان في كتاب النكاح حديث ١٠٥٠.

(٣) رواه النسائي في كتاب الطلاق حديث ٣٤٦٩.

التي استأذنته أن تنتقل إلى بيت أهلها: «امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب أجله»[1] هذا إذا لم يكن هناك من الضرورات التي تبيح لها المبيت خارج البيت، ككونها مريضة تعالج بالمستشفى وتم حجزها للعلاج الضروري وما يقاس على نفس الضرورة.

أما أن تبيت خارج البيت لغير ضرورة ملحة فلا يحل لها أبداً.

٤ - النفقة:

تعريفها: هي ما يقدم من طعام وشراب وكسوة وسكنى لمن وجبت له.

وجوب النفقة: تجب النفقة للأصناف الآتية:

١ - **الزوجة:** ونفقتها واجبة على زوجها ما لم تكن ناشزاً، فإن كانت ناشزاً فلا نفقة لها. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ألا، وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن»[2].

٢ - **المطلقة طلاقاً بائناً:** ونفقتها واجبة على مطلقها ما دامت في العدة، قال - تعالى -:

﴿وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[3].

٣ - **الأولاد الصغار:** ونفقتهم على والدهم واجبة حتى يبلغوا الكسب، ما لم يكن الأب مريضاً أو مجنوناً.

مقدار النفقة:

بالنسبة للزوجة: إن القدر الواجب من النفقة للزوجة على زوجها، والمتفق عليه هو ما يلزم لحفظ الحياة من طعام وشراب صالحين طيبين، ولباس يقي الحر والبرد ويستر العورة، وسكنى مناسبة للراحة والاستقرار، هذا هو القدر الواجب الذي لا يمكن الحياة بدونه ولا بأقل منه، أما إذا كانت حالة الزوج ميسورة وفي سعة من العيش فيحسن به أن يوسع على أهله وألا يبخل عليهم حتى يشعروا بنعم الله فيزدادوا له شكراً ويحسنوا كرم الزوج وسعة يده ومودته فيزدادوا حباً وتقديراً وإكراماً، وليس من الإسلام أن يكون الزوج في سعة من الرزق ويضيق على أهله فيكرهوه ويتمنوا موته، أو ينظروا إلى ما في أيدي الناس أو تضطرهم الحاجة إلى معصية الله - تعالى -، ويكون بُخْلُ الزوج هو السبب.

الحضانة:

تعريفها:

هي إيواء الصغير وكفالته وتعهده بما يصلحه ووقايته مما يؤذيه حتى يكبر.

حكمها:

الحضانة واجبة للصغير للحفاظ عليه والنهوض به بدنياً وعقلياً ونفسياً كي يقوى على النهوض بتبعات الحياة والقيام بمسؤولياتها.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الطلاق واللعان حديث ١١٢٥.

(٢) رواه الترمذي في كتاب الرضاع حديث ١٠٨٣.

(٣) سورة الطلاق من الآية ٦.

على من تجب الحضانة؟

تجب حضانة الصغار على الأبوين، فإن فُقِدا فعلى الأقرب فالأقرب من ذوي قرباتهم، وإن انعدمت القرابة فعلى الحكومة أو جماعة المسلمين.

من الأولى بالحضانة في حياة الأبوين؟

إذا حصلت الفرقة في حياة الأبوين بطلاق أو وفاة كان الأحق بالحضانة هي الأم ما لم تتزوج، لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لمن اشتكت إليه انتزاع ولدها: «أنت أحق به ما لم تنكحي»[1] فإن لم تكن الأم فأم الأم، فإن لم تكن أم الأم فالخالة، لقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «الخالة بمنزلة الأم»[2]، فإن لم تكن الخالة فأم الأب، فإن لم تكن فالأخت، فإن لم تكن فالعمة، فإن لم تكن فبنت الأخ، فإن لم تكن من الحاضنات المذكورات من يقوم بالطفل انتقلت حضانته إلى أبيه، ثم جده، ثم أخيه، ثم ابن أخيه ثم عمه، ثم الأقرب فالأقرب من العصبة، والشقيق يقدم على الذي من الأب، وكذا الشقيقة تقدم على التي من الأب.

مدة الحضانة:

بالنسبة للولد: إلى سن السابعة، ثم يخير بعدها بين أمه وأبيه، فأيهما اختار انتقل إليه يحضنه، وإن لم يختر أحدهما وأراده كل منهما يُقْرَعُ بينهما.

بالنسبة للبنت: إلى سن سبع سنوات، ثم تنتقل حضانتها إلى الأب، وقد يمدها القاضي إلى تسع سنين، لتتمكن البنت من تعلُّم أمور النساء والإلمام بها من أمها.

وإذا بلغ الولد أو البنت هذه السن ولم يميز لا تنتقل حضانته حتى يميز، هذا وللقاضي أن يزيد هذه السن أكثر من ذلك إذا رأى أن في مصلحة المحتضن أن يبقى أكثر من ذلك فالمعوَّل عليه مصلحة المحضون أولاً ثم الحاضن يأتي بعد ذلك.

شروط الحاضن:

١ – **العقل:** فلا حضانة لمعتوه أو مجنون أو محجور عليه.

٢ – **البلوغ.**

٣ – **القدرة على التربية:** فلا حضانة لكفيفة، أو مريضة مرضاً معدياً، أو مرضاً يعجزها عن القيام بحضانة الصغير، ولا عجوز ولا مهملة في شؤون من تعول، ولا من تعيش مع من يكره الطفل أو يخشى عليه منه ولو كان قريباً.

٤ – **الأمانة والخلق:** فلا تكون الحاضنة غير أمينة فيضيع الطفل وينشأ نشأة فاسدة، ولا تكون الحاضنة فاسقة أو غير حافظة لحدود الله تعالى فينشأ الولد على ما رأى وسمع وتعلم فيضيع.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم والرواية لأحمد في مسند المكثرين من الصحابة حديث ٦٤٢٠.

(٢) متفق عليه والرواية للبخاري في كتاب الصلح حديث ٢٥٠١.

٥ - الإسلام: فلا حضانة لكافرة أو كافر حتى لا يؤثر في عقيدة الصغير أو يضيع أخلاقه وينشأ نشأة الكفر.

٦ - ألا تكون متزوجة، فإن تزوجت الحاضنة سقط حقها في الحضانة، هذا إذا تزوجت بأجنبي، أما إذا تزوجت بقريب محرم للصغير كالعم فإنها لا تسقط، لأن العم صاحب حق في الحضانة وهو يقوم مقام الأب.

٧ - الحرية: لأن المملوك مشغول برعاية وخدمة سيده ولا يتفرغ لحضانة الطفل.

أجرة الحضانة:

الأم لا تأخذ نفقة الحضانة ما دامت زوجة أو في العدة لأن لها نفقة الزوجية أو نفقة العدة، قال - تعالى -: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾[1]

أما بعد انقضاء العدة فإنها تستحق أجرة الحضانة كما تستحق أجرة الرضاعة لقوله - تعالى -: ﴿...فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ...﴾[2]

أما إن كانت الحاضنة غير الأم فإنها تستحق أجرة الحضانة من وقت حضانتها، كما تجب أجرة الرضاعة وأجرة الحضانة على الأب وتجب عليه أيضاً أجرة المسكن وإعداده وأجرة الخادم إذا احتيج إليه، هذا بخلاف نفقات الطفل الخاصة من مأكل ومشرب وملبس وفراش وعلاج ونحو ذلك، وهذه الأجرة تظل ديناً في عنق الأب لا تسقط إلا بدفعها أو التنازل عنها، ويجوز للحاضنة التنازل عن أجرتها إذا أرادت.

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٣٣.

(٢) سورة الطلاق من الآية ٦.

التقويم

أجب عن الأسئلة الآتية:

س١ – عرّف العدة، واذكر حكمها والدليل عليها من القرآن والسنة.

س٢ – بيّن الحكمة من مشروعية العدة في الإسلام.

س٣ – للعدة صور وأنواع كثيرة – اذكرها.

س٤ – ماذا تفعل المرأة إذا تداخلت عليها العدد؟

س٥ – عرّف الاستبراء – واذكر حكمه – والدليل عليه.

س٦ – عرّف الإحداد – واذكر حكمه – والدليل عليه.

س٧ – عرّف النفقة.

س٨ – على من تجب نفقة من يأتي؟

أ – الزوجة.

ب – المطلقة طلاقاً بائناً.

س٩ – ما مقدار نفقة الزوجة؟ وضّح ذلك.

س١٠ – عرّف الحضانة واذكر حكمها.

س١١ – على من تجب الحضانة؟

س١٢ – ما مدة الحضانة بالنسبة للولد والبنت؟

س١٣ – للحضانة شروط – اذكرها.

س١٤ – ما الأجرة التي تستحقها الحاضنة؟

س١٥ – ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة:

أ – يجب على الزوج أن ينفق على زوجته الناشز. ( )

ب – الأولى بالحضانة الأم ما لم تتزوج. ( )

جـ – تتحمل المرأة المطلقة نفقة إرضاع ولدها الصغير. ( )

د – عدة المتوفى عنها زوجها وهي غير حامل أربعة أشهر وعشراً. ( )

* * *

القرآن الكريم والسنة النبوية
مصدر تربية المسلمين

ونتناوله من خلال الدروس الآتية:

الدرس الثانى والعشرون: الرسول ـ ﷺ ـ قدوة المسلمين وخير المربين.

الدرس الثالث والعشرون: الحج تربية عملية وتطبيقية لتشريع العبادات فى الإسلام.

الدرس الرابع والعشرون: مواقف من حياة الصحابة

أولا: عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الدرس الخامس والعشرون: ثانيا: كعب بن مالك ـ شاعر العقيدة الإسلامية

الدرس السادس والعشرون: صحابيات خالدات ـ رضى الله عنهن ـ :

أولا: فاطمة بنت رسول ـ ﷺ ـ سيدة نساء أهل الجنة

ثانيا: السمراء بنت قيس ـ الصابرة المجاهدة

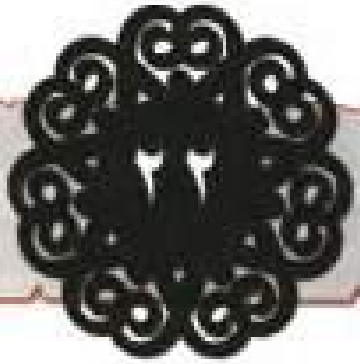

الرسول – صلى الله عليه وسلم – قدوة المسلمين وخير المربين

تمهيد:

شهدت البشرية في تاريخها الطويل انفصالاً بين المُثُل والواقع، وبين الأقوال والأفعال، وبين الباطل والحقيقة، لكن حياة الرسول – صلى الله عليه وسلم – كانت واقعاً أعظم من كل تصور نظري، فالرسول – صلى الله عليه وسلم – في تربيته لم يُعْنَ بالرجل وحده، ولا بالمرأة وحدها، ولا بالطفل وحده، بل كانت عنايته موجهة إلى الجميع، الطفل في مهده، والمرأة في بيتها وخدرها، والرجل في بيته وعمله.

قال – تعالى –:

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ۝ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾(١).

الرسول – صلى الله عليه وسلم – قدوة في الأفعال والأقوال:

لقد أمرنا ربنا – تبارك وتعالى – بالاقتداء برسوله – صلى الله عليه وسلم – حيث قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾(٢).

وأخبر – سبحانه وتعالى – عن قول رسوله – صلى الله عليه وسلم – بأنه لا يتكلم ولا ينطق حسب هواه، وإنما يتكلم بأمر منه تعالى، قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ﴾(٣).

وإليك بعض الشواهد على هذا القول:

١ – بيانه – صلى الله عليه وسلم – لحقيقة صلة الرحم:

كان من الشائع أن المودة لذوي القربى يمكن أن تتم إذا قامت على أساس قانون المنفعة أي تبادل المصالح والمجاملات، فالواصل لذوي رحمه وقرابته هو الذي يُكافئ وُدّاً بود وإحساناً بإحسان.

ولكنه – صلى الله عليه وسلم – يلغي هذا المفهوم الخاطئ لصلة الرحم، لأنه يقوم على النفعية

---

(١) سورة الجمعة الآيات من ٢–٤.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١.
(٣) سورة النجم الآيات من ٢–٥.

والانانية وكلاهما أمر لا ينبغي أن يكون بين الإنسان وأخيه الإنسان، ثم يرشد - صلى الله عليه وسلم - إلى المفهوم الحقيقي لصلة الرحم حيث يقول: «ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها»[1].

أي أن الواصلَ رَحِمِهِ حقاً هو ذلك الذي إذا قاطعه اقاربه وصلَهُم وإذا أساؤوا إليه احسن إليهم.

٢ - بيانه - صلى الله عليه وسلم - لحقيقة الغِنَى:

فقد كان الشائع بين الناس أن الغني هو من حاز المال الوفير، أو تملك العقار الكثير، أو استحوذ على متاع الحياة.

بينما قد يدفع هذا الاعتقاد إلى ما يأتي:

١ - الحقد والحسد.

٢ - التفاخر والتنافس على متاع زائل.

٣ - الصراع والقتال.

٤ - تقويم المرء بماله لا بشخصه وأخلاقه.

وقد بيَّنَ - عليه الصلاة والسلام - خطأ هذا الفهم، وضلال ما يترتب عليه من سلوك، حيث قال: «ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغنى غِنَى النفس»[2].

وبهذا لفت الأنظار إلى المفهوم الحقيقي للغنى، وأنه في استغناء المرء عن غيره وقناعته بما قسم الله له، دون أن يحقد على غني، أو يحسد ذا جاه، أو يطمع فيما ليس له، أو يحرص على الازدياد من الدنيا بغير طريق مشروع.

٣ - الرسول - صلى الله عليه وسلم - يبين أن المؤمن يتعلم بالتجربة ولا يكرر الخطأ نفسه:

قال - صلى الله عليه وسلم -: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»[3].

وقصة هذا المثل أن أبا عزة الجمحي - أحد شعراء المشركين الذين أكثروا من هجاء المسلمين والتحريض على قتلهم - أُسِرَ فيمن أُسِرَ يوم بدر وكان محتاجاً، ذا بنات، فتوسل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - بذلك أن يطلقه أي يحرره من الأسر وهو يقول: يا رسول الله لقد عرفت مالي من مال وإني لذو حاجة، وذو عيال، فامنن عليَّ، فمنَّ عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخذ عليه العهد أن لا يحاربه، ولا يناصر عليه أحداً يحاربه... ثم كان الأسير الوحيد الذي أسَرَهُ المسلمون في موقعة أخرى، فقال: يا محمدا عيالي، مُنَّ عليَّ فإني حَمِلْتُ على الخروج إليك، فقال - صلى الله عليه وسلم -: «لا أدعك تمسح عارضيك وتقول: خَدَعْتُ محمداً مرتين، (لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين)».

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب حديث ٥٥٣٢.

(٢) رواه البخاري ومسلم في كتاب الرقاق رقم الحديث ٥٩٦٥.

(٣) رواه البخاري ومسلم في كتاب الأدب حديث ٥٦٦٨.

الرسول – صلى الله عليه وسلم – قدوة في العبادة:

التربية النبوية ليست تربية مثالية نظرية فقط بل هي تربية مثالية عملية يمكن تطبيقها والعمل بها، تشمل المعلم والمتعلم على حد سواء. والوالد لا يمكن أن ينجح في تربية ابنه إذا كان عمله يخالف كلامه. فهو إن كذب ورآه ابنه يكذب ثم دعا ابنه إلى الصدق عشرات المرات فلن يستمع له أحد.

وقد ضرب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – المثل الأعلى في نفسه، إذ إنه طبق العبادة على شخصه، قبل أن يطلب من بقية الصحابة والمسلمين تطبيقها، ولولا فعله هذا – وفي هذا مثل تربوي عظيم – لما تبعه الصحابة ولما كانوا فيما بعد الجيل المثالي الذي ساد الدنيا والعالم أجمع.[1]

ولقد أخبرت عائشة – رضي الله عنها – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقوم من الليل حتى تتفطر[2] قدماه، فتقول له: «لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحبُّ أن أكون عبداً شكوراً»[3].

فانظر إلى عبادة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في هذا الحديث فهو يؤدي صلاة الليل بدأبه أي أنه مستور عن الناس بعيداً عن أنظارهم فلو كان هناك تناقض بين سلوكه وأوامره لما جشم نفسه عناء قيام الليل حتى تتشقق قدماه وهو يعلم أنه قد غُفِرَ له ذنبه.

ونراه بعد ذلك يربط هذا القيام وهذه الصلاة الكثيرة بغاية أخلاقية نبيلة وهي الإحساس بفضل الله والحاجة إلى شكره. فإذا كان محمد – صلى الله عليه وسلم – يأمر الناس بالعبادة والتسبيح شكراً لله على نعمته وتكفيراً للسيئات فقد جعل نفسه في مقدمة العاملين بأوامره، والمثل الأعلى في التطبيق وحسن الأداء والنموذج الكامل في التربية.

فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا فاتته الصلاة من الليل من وجع أو غيره صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة»[4].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا دخل العشر أحيا الليل كله وأيقظ أهله وجد وشد المِئْزَر»[5].

وعن الأغر المزني أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إنه ليُغانُ على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[6].

وعن أنس – رضي الله عنه – قال: كان أكثر دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم –: «اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار»[7].

---

(١) من كتاب المربي محمد – صلى الله عليه وسلم – «بتصرف» تأليف: محمد سعيد المولوي، ص٤٧.
(٢) تتفطر: تتشقق.
(٣) متفق عليه واللفظ للبخاري في كتاب تفسير القرآن حديث ٤٤٦٠.
(٤) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها حديث رقم ١٢٣٤.
(٥) رواه البخاري ومسلم الرواية لمسلم في كتاب الاعتكاف حديث ٢٠٠٨.
(٦) رواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار حديث ٤٨٧٠.
(٧) رواه البخاري في كتاب الدعوات حديث ٥٩١٠.

هذه نماذج من عبادته عليه الصلاة والسلام لله شكراً، فهل بلغ أحد في عبادة الله وشكره ما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟

الرسول - صلى الله عليه وسلم - قدوة في الأخلاق والمعاملات:

يصف القرآن خلق الرسول - صلى الله عليه وسلم - في قوله - تعالى -: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1]. ولم ترد كلمة عظيم لغير الله - سبحانه وتعالى - إلا في هذا المقام تقريراً أو إثباتاً، ودلالة على سمو الخلق، وعلو المنزلة، ولذا كان الاستفسار من الصحابة عن معناها، وكان من إجابة السيدة عائشة: «كان خلقه القرآن»[2].

كان عطوفاً يَؤُمّ[3] من حوله، ويودهم، ويدوم لهم على المودة طول حياته، وإن تفاوت ما بينه وبينهم من سن وعرْق، ومقام، ويفصح عن هذه الصداقة لمزيد من المودة والحب.

يقول - صلى الله عليه وسلم -: «لو كنت متخذاً خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخي وصاحبي»[4].

ويعمل الرسول - صلى الله عليه وسلم - العمل الذي يقومون به، فقد حمل اللبِنَ والحجارة معهم في بناء المسجد، ويرتجز «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة»، فالصديق يحب الأنس بالصديق، ومشاركته، لا التعالي عليه.

ويضرب لنا الرسول - صلى الله عليه وسلم - مثلاً رائعاً في العفو عند المقدرة، فنجده يعفو عندما يقدر على من نوى قتله أمثال عمير بن وهب الجمحي، الذي جاء إلى المدينة يحمل سيفاً مسموماً يريد قتله، ونراه يعفو عن سيد بني حنيفة ثمامة بن أثال، وهو الذي كان يخطط لقتله، فعندما يقبض عليه ويربطه إلى سارية المسجد يعفو عنه.

ونراه يعفو عمن قتل حمزة رضي الله عنه، وكان حمزة من أحب الناس إليه ولا يزيد على أن يقول له: «اغرب وجهك عني»[5].

ونراه يعفو عمن هجاه من الشعراء عندما قدر عليه، ويعفو عن قومه الذين طردوه وآذوه، وحاولوا قتله، فعندما قدر عليهم فاتحاً مكة عفا عنهم جميعاً.

إن العفو كما هو خلق أصيل فهو فنٌّ قلّ من يجيده من القادرين، وهكذا كان رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - قدوة لنا ولأصحابه الكرام في الأقوال والأفعال والعبادة والأخلاق والمعاملات ولا يسعك عزيزي المتعلم إلا أن تقتدي برسولك - صلى الله عليه وسلم - في جميع شؤون حياتك.

---

(١) سورة القلم الآية ٤.

(٢) رواه مسلم وأحمد والنسائي. تفسير ابن كثير للسورة والرواية لأحمد في باقي مسند الأنصار حديث ٢٢٤٦٠.

(٣) يَؤُمّ: أي حوله: يحبهم ويعطف عليهم.

(٤) رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة حديث ٤٣٩١.

(٥) من كتاب وقفات تربوية من السيرة النبوية (للبلالي).

* ما يستفيده المسلم من دروس:

١ - المسلم يقتدي بالرسول - صلى الله عليه وسلم - في جميع شؤون حياته.

٢ - المسلم يحب الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأنه خير المربين وقدوة المسلمين.

٣ - يحترم المسلم كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - ويستمع إليه بأدب، ويطبّق أحاديثه في حياته اليومية.

٤ - يحرص المسلم على العبادة والطاعة لأنها تُقوّي إيمانه وتعينه على مقاومة هوى النفس بشرط أن تكون موافقة لما جاء به رسولنا - صلى الله عليه وسلم -.

٥ - المسلم يتمثل بأخلاق الرسول - صلى الله عليه وسلم - من حب ومودة لأصحابه وأهل بيته ومشاركتهم في أمور حياتهم.

٦ - العفو عند المقدرة خلق كريم يطبقه المسلم عندما يقدر على أعدائه ويمكنه الله منهم.

٧ - الداعية إلى الله يتمنى دائماً الهداية والصلاح لأهله وقومه.

التقويم

س١ – قال تعالى:

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾[1].

استحدث الرسول – صلى الله عليه وسلم – أنماطاً من التعبير لم يعهدها العرب في أساليبهم. اشرح ذلك موضحاً بمثال.

س٢ – قال – صلى الله عليه وسلم –: «لا يُلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين»

أ – اكتب قصة هذا الحديث الذي أصبح قاعدة للسلوك الإنساني.

ب – ماذا يستفيد المسلم من هذه القاعدة في حياته اليومية؟

س٣ – ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

١ – التربية النبوية تربية مثالية لا يمكن تطبيقها. ( )

٢ – الرسول – صلى الله عليه وسلم – كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه. ( )

٣ – عبادة الله تعالى هي نوع من الشكر لنعمه. ( )

٤ – عفا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عمن قتل عمه حمزة معاملة للصحابة. ( )

س٤ – علل ما يأتي:

١ – عفو النبي – صلى الله عليه وسلم – عن قومه الذين طردوه وحاولوا قتله.

٢ – المسلم يحب رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

٣ – كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يستغفر ربه في اليوم مائة مرة.

س٥ – (جميع الصحابة خير البشر بعد الأنبياء والمرسلين)

اشرح هذه العبارة في ضوء دراستك لموضوع الرسول – صلى الله عليه وسلم – قدوة المسلمين وخير المربين.

س٦ – ما القيم المستفادة من موضوع الدرس؟ (اكتب أربعاً).

١ – .....

٢ – .....

٣ – .....

٤ – .....

* * *

(١) سورة النجم الآيتان ٣-٤.

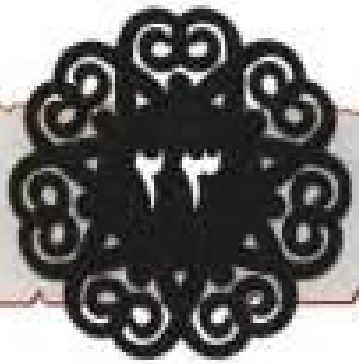

الحج تربية عملية وتطبيقية لتشريع العبادات في الإسلام

تمهيد:

الحج إحياء لأخلد ذكريات ربانية عرفها البشر، ذكرى الأسرة التي لا تبالي في الله بشيء، ذكرى الولد الذي يقدم نفسه قرباناً لله – تعالى –، وذكرى الوالد الذي يقدم ابنه قرباناً لله – تعالى –، وذكرى الأم التي تثق برعاية الله – تعالى – ثقة لا حد لها، وتطيعه وتطيع سيدها طاعة لا حد لها، ذكرى التوكل الكامل.

والحج ميزان يعرف به المهتمون بأمر المسلمين وحالهم، فالأمة الإسلامية بما فيها من قوة أو ضعف، لا تعرف كما تعرف في الحج.

والحج قبل هذا وبعده، طريق من طرق الخلاص من براثن الشيطان، إلى معية الرحمن.

١ – تعريف الحج:

هو القصد في أشهُرٍ معلومات إلى البيت الحرام للنسك والعبادة.

٢ – فضله:

رغّب الشارع في أداء فريضة الحج في مواضع كثيرة منها:

قوله – تعالى –: ﴿...وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾[١].

وقوله – تعالى –: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ...﴾[٢].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[٣].

والرَّفَثُ: هو الجماع ودواعيه ومقدماته والمباشرة فيما دون الفرج.

والفسق: هو المعاصي القولية والفعلية والخروج عن طاعة الله عزَّ وجلَّ.

٣ – شروطه:

اتفق العلماء على أنه يشترط لوجوب الحج، الشروط الآتية:

١ – الإسلام، ٢ – البلوغ، ٣ – العقل، ٤ – الحرية، ٥ – الاستطاعة.

فمن لم تتحقق فيه هذه الشروط، فلا يجب عليه الحج.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٧.

(٢) سورة البقرة الآية ١٩٦.

(٣) متفق عليه والرواية للبخاري في كتاب الحج حديث ١٨٢٠.

وذلك أن الإسلام، والبلوغ، والعقل، شرط التكليف في أية عبادة من العبادات.

وفي الحديث: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «رُفِعَ القلمُ عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبي حتى يشبَّ، وعن المعتوه حتى يعقل»[1].

والحرية شرط لوجوب الحج لأنه عبادة تقتضي وقتاً بينما العبد مشغول بحقوق سيده.

والاستطاعة شرط لقوله - تعالى -:

﴿...وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا...﴾[2].

وتتحقق الاستطاعة بما يأتي:

١ - أن يكون المكلف صحيح البدن.

٢ - أن يكون الطريق آمناً بحيث يأمن الحاج على نفسه وماله.

٣ - أن يكون مالكاً للزاد والراحلة.

٤ - عدم وجود ما يمنع الناس من الذهاب إلى الحج كالحبس والخوف من سلطان جائر.

٤ - مواقيت الحج:

تنقسم المواقيت إلى قسمين:

أ - مواقيت زمانية: وهي الأوقات التي لا يصح شيء من أعمال الحج إلا فيها لقوله - تعالى -: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ...﴾[3] أي وقت أعمال الحج أشهر معلومات والمراد بها، شهر شوال، وذو القعدة، وعشر من ذي الحجة.

ب - مواقيت مكانية: وهي الأماكن التي يُحرِمُ منها من يريد الحج أو العمرة، ولا يجوز للحاج أو المعتمر أن يتجاوزها دون أن يحرم.

وقد بيَّنها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كالآتي:

١ - ميقات أهل المدينة (ذو الحليفة) وتسمى الآن (أبيار علي).

٢ - ميقات أهل الشام ومصر (الجحفة) وتسمى الآن (رابغ).

٣ - ميقات أهل نجد (قرن المنازل) وتسمى الآن (السيل).

٤ - ميقات أهل اليمن (يلملم) وتسمى الآن (السعدية).

٥ - ميقات أهل العراق (ذات عرق).

فقد روى ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: (وقَّت النبي - صلى الله عليه وسلم - لأهل المدينة (ذا الحليفة) ولأهل الشام (الجحفة) ولأهل نجد (قرن المنازل) ولأهل اليمن (يلملم) فهن لهن، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن، لمن كان يريد الحج والعمرة فمن كان دونهنَّ فمُهلُّهُ من أهله وكذلك حتى أهل مكة يُهلون منها)[4].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الحدود حديث ١٣٤٣.

(٢) سورة آل عمران من الآية ٩٧.

(٣) سورة البقرة من الآية ١٩٧.

(٤) رواه البخاري في كتاب الحج باب مهل أهل الشام حديث ١٤٢٩.

عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (وقّتَ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأهل المدينة ذا الحليفة ولأهل الشام ومصر الجحفة ولأهل العراق ذات عرق ولأهل نجد قرنا ولأهل اليمن يلملم)[1].

٥ – أركان الحج:

للحج أربعة أركان هي:

أ – الإحرام ، ب – الوقوف بعرفة ، جـ – طواف الإفاضة ، د – السعي بين الصفا والمروة.

وإليك التفصيل في الأركان:

أولاً – الإحرام:

١ – تعريف الإحرام:

وهو نية أحد النُّسُكَيْن: الحج أو العمرة، أو نيتهما معاً. لقوله – تعالى –:

﴿وَمَا أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ...﴾[2].

وقول الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى...»[3]

والنية محلها القلب.

٢ – آداب الإحرام وسننه:

للإحرام آداب ينبغي مراعاتها وهي:

أ – النظافة: وتتحقق بتقليم الأظافر، وقص الشارب، ونتف الإبط، وحلق العانة، والوضوء أو الاغتسال وهو أفضل، وتسريح اللحية وشعر الرأس. وقد أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – أسماء بنت عميس بالاغتسال للإحرام وهي نفساء.

ب – التجرد من الثياب المخيطة ولبس ثوب الإحرام بالنسبة للرجل.

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: «انطلق النبي – صلى الله عليه وسلم – من المدينة بعدما ترجّل، وادّهن، ولبس إزاره ورداءه هو وأصحابه»[4].

جـ – التطيب: وهو التطيب في البدن لا بالثياب، وإن بقي أثره عليه بعد الإحرام. فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «كأني أنظر إلى وبيص الطيب في مفرق النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو مُحْرِمٌ»[5].

والوبيص بمعنى: البريق واللمعان.

د – صلاة ركعتين ينوي بهما سنة الإحرام يقرأ في الأولى منها بعد الفاتحة سورة (الكافرون) وفي الثانية سورة (الإخلاص). قال ابن عمر – رضي الله عنهما –: «كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يركع بذي الحليفة ركعتين»[6].

---

(١) رواه النسائي في كتاب مناسك الحج حديث ٢٦٠٩.

(٢) سورة البينة من الآية ٥.

(٣) رواه الشيخان والرواية للبخاري في كتاب بدء الوحي حديث ١.

(٤) رواه البخاري في كتاب الحج باب ما يلبس المحرم من الثياب والأردية والأزر حديث ١٥٤٥.

(٥) متفق عليه والرواية للبخاري في كتاب الغسل حديث ٢٧١.

(٦) رواه مسلم في كتاب الحج حديث ٢٠٣١.

٣ – أنواع الإحرام:

أنواع الإحرام ثلاثة:

١ – **الإفراد:** وهو من أحرم بالحج وحده فهو مفرد.

٢ – **التمتع:** وهو من أحرم بالعمرة ثم تحلل منها ثم أحرم بالحج يوم التروية فهو متمتع.

٣ – **القران:** وهو من أحرم بالحج والعمرة معاً دون تحلل بينهما فهو قارن.

وعمل القارن كعمل المفرد إلا أن القارن عليه فدية، والمفرد لا فدية عليه.

فعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: (خرجنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عام حجة الوداع، فمنّا من أهلّ بعمرة، ومنا من أهل بحج وعمرة، ومنا من أهل بالحج، وأهلّ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالحج، فأما منْ أهلّ بالحج، أو جمع الحج والعمرة، لم يحلوا حتى كان يوم النحر)[١].

قال – تعالى –:

﴿...فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[٢].

٤ – محظورات الإحرام:

يحرم على المحرم ما يأتي:

أ – الجماع ودواعيه ومقدماته: فالجماع هو الوطء عمداً في الفرج، ودواعيه كل ما يهيج الشهوة.

ب – المعصية: وهي وإن كانت حراماً قبل الإحرام فإن إثمها يزداد بعده ومن أمثلتها السب والقذف وبذاءة اللسان.

جـ – الجدال: قال – تعالى –: ﴿...فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ...﴾[٣].

والجدال المنهي عنه هنا هو الجدال بغير علم، أو الجدال في الباطل، أما الجدال في طلب الحق فهو مستحب أو واجب، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»[٤].

د – لبس المخيط والمحيط بالجسد للرجال خاصة.

هـ – تقليم الأظافر وإزالة الشعر.

قال – تعالى –:

﴿...وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ...﴾[٥].

---

(١) رواه البخاري في كتاب الحج باب ٣٤ حديث ١٥٦١.

(٢) سورة البقرة من الآية ١٩٦.

(٣) سورة البقرة من الآية ١٩٧.

(٤) رواه البخاري ومسلم سبق تخريجه.

(٥) سورة البقرة من الآية ١٩٦.

و - التطيب في الثوب.

ز - التعرض للصيد البري الوحشي المأكول، لقوله - تعالى -:
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞ...﴾[1].

ح - الأكل من صيد البر الذي صيد من أجله أو صيد بإشارته إليه أو بإعانته عليه.

ط - عقد النكاح لنفسه أو لغيره بولاية أو وكالة.

ي - لبس الخفاف والأحذية.

ك - تغطية الرأس بطاقية أو عمامة. وهذا كله في حق الرجال، أما المرأة فلا تلبس القفازات ولا النقاب أو البرقع.

*** حكم من ارتكب محظوراً من محظورات الإحرام:**

من كان له عذر واحتاج إلى ارتكاب محظور من محظورات الإحرام، غير الجماع، كحلق الشعر ولبس المخيط ونحو ذلك لزمه أن يذبح شاة، أو يطعم ستة مساكين، كل مسكين نصف صاع، أو يصوم ثلاثة أيام، وهو مخير بين هذه الأمور الثلاثة.

فعن عبدالرحمن بن أبي يعلى عن كعب بن عجرة: أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مرَّ به زَمَن الحديبية فقال: «قد آذاك هوام رأسك» قال: نعم، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «احلق، ثم اذبح شاة نسكاً، أو صُم ثلاثة أيام، أو اطعم ثلاثة أصُعٍ من تمر على ستة مساكين»[2]، وأما من ترك واجباً من واجبات الحج فإنه يجبره بذبح شاة.

*** ثانياً - الطواف:**

١ - كيفيته:

أ - يبدأ الحاج طوافه محاذياً الحجر الأسود مقبلاً له أو مستلماً أو مشيراً إليه ما أمكنه جاعلاً البيت على يساره قائلاً: (بسم الله والله أكبر).

ب - يطوف الحاج سبعة أشواط حول الكعبة، ويستحب أن يهرول في الأشواط الثلاثة الأولى ويضطبع. وهذا خاص بالرجال.

جـ - يستحب أن يستلم الركن اليماني في أثناء الطواف ويقبل الحجر الأسود أو يستلمه في كل شوط من الأشواط السبعة.

د - يستحب أن يكثر من الذكر والدعاء ويتخير ما ينشرح له صدره في أثناء الطواف.

هـ - إذا انتهى الحاج إلى الركن اليماني واستلمه من غير تقبيل دعا فقال: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار)[3].

---

(١) سورة المائدة من الآية ٩٥.

(٢) رواه أبو داود في كتاب المناسك حديث ١٨٨٢.

(٣) سورة البقرة من الآية ٢٠١.

٢ – أنواعه:

أ – طواف القدوم.

ب – طواف الإفاضة.

جـ – طواف الوداع.

د – طواف التطوع.

٣ – شروط الطواف:

أ – الطهارة من الحدث الأصغر والأكبر والنجاسة. عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «إن أول شيء بدأ به النبي – صلى الله عليه وسلم – حين قدم مكة – أنه توضأ ثم طاف بالبيت»[١].

ب – ستر العورة لحديث أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: بعثني أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل حجة الوداع، في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: «لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»[٢].

جـ – الابتداء بالحجر الأسود.

د – جعل البيت عن يساره.

هـ – أن يكون سبعة أشواط كاملة.

و – أن يكون الطواف خارج البيت.

ز – عدم صرف النية إلى غيره من الأعمال.

● ثالثاً – السعي بين الصفا والمروة:

كيفيته:

يستحب الارتقاء على الصفا والمروة والدعاء عليهما بما شاء من أمر الدين والدنيا مع استقبال البيت، فالمعروف من فعل النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه خرج من باب الصفا، فلما دنا من الصفا قرأ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

ثم ارتقى عليه حتى رأى البيت، فاستقبل القبلة فوحد الله وكبره ثلاثاً وحمده وقال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده، أنجز وعده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، ثم دعا بين ذلك وقال مثل هذا ثلاث مرات ثم نزل إلى المروة حتى انصبت قدماه في بطن الوادي سعى حتى إذا صعدتا مشى حتى أتى المروة ففعل على المروة كما فعل على الصفا»[٤].

ويستحب المشي بين الصفا والمروة فيما عدا بين الميلين المشار إليهما فيندب الرَّمَلُ أي الهرولة الخفيفة.

---

(١) رواه الشيخان والرواية للبخاري في كتاب الحج حديث ١٥٤٣.

(٢) رواه الشيخان والرواية في صحيح البخاري في كتاب الحج حديث ١٥١٧.

(٣) سورة البقرة الآية ١٥٨.

(٤) رواه مسلم من كتاب نيل الأوطار باب السعي بين الصفا والمروة حديث ٢١٢٧.

شروط السعي:

يشترط لصحة السعي أمور هي:

١ - أن يكون بعد الطواف.

٢ - أن يكون سبعة أشواط.

٣ - أن يبدأ بالصفا وينتهي بالمروة.

٤ - أن يكون السعي بالمسعى، وهو الطريق الممتد بين الصفا والمروة، لفعل الرسول - صلى الله عليه وسلم - ذلك لما رواه ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «إنما سعى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ورمل بالبيت ليُري المشركين قوته»[١].

*** رابعاً - الوقوف بعرفة:**

١ - فضل يوم عرفة:

عن عائشة - رضي الله عنها - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو عز وجل ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء»[٢].

٢ - حكم الوقوف بعرفة:

أجمع العلماء على أن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم فعن عبدالرحمن بن يعمر «أن ناساً من أهل نجد أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو واقف بعرفة، فسألوه فأمر منادياً فنادى: الحج عرفة، من جاء ليلة جمع قبل طلوع الفجر فقد أدرك الحج، أيام منى ثلاثة فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه وأردف رجلاً ينادي بهن»[٣].

وقوله: «الحج عرفة»، أي أن الحج الصحيح حج من أدرك يوم عرفة ومن لم يقف بعرفات قبل فجر يوم النحر فقد فاته الحج ولا يجزئ عنه إن جاء بعد طلوع الفجر.

٣ - وقت الوقوف بعرفة:

يرى جمهور العلماء أن وقت الوقوف بعرفة يبتدئ من زوال اليوم التاسع إلى طلوع فجر اليوم العاشر، وأنه يكفي الوقوف في أي جزء من هذا الوقت ليلاً أو نهاراً.

٤ - آداب الوقوف بعرفة:

أ - المحافظة على الطهارة الكاملة.

ب - استقبال القبلة.

جـ - الإكثار من الاستغفار والذكر والدعاء لنفسه ولغيره بما شاء.

د - خشوع القلب.

هـ - رفع اليدين في أثناء الدعاء.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحج حديث رقم ٢٢٢١.

(٢) رواه مسلم في باب الوقوف بعرفة حديث ٢٤٠٢.

(٣) رواه الترمذي في كتاب الحج حديث ٨١٤.

واجبات الحج:

الانصراف من عرفة والمبيت بالمزدلفة:

ثم إذا غربت الشمس دفع الحاج إلى مزدلفة بسكينة لقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «أيها الناس: السكينة، السكينة»[1].

وإن وجد فرجة أسرع لأن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يسير العنق فإذا وجد فجوة نص – أي أسرع – فإذا وصل إلى مزدلفة جمع بها بين العشاءين قبل حط الرحل بأذان واحد وإقامتين، ثم يبيت الحاج بمزدلفة وجوباً، ولا يجوز الانصراف منها قبل منتصف الليل غير معتور كالمريض، يبقى الحاج بمزدلفة إلى طلوع الفجر.. ويصلي الصبح بغلس[2] ثم يأتي المشعر الحرام فيقف عنده – إن تيسر له، ويحمد الله ويهلله، ويكبره، ويدعو بما أحب لقوله – تعالى –:

﴿... فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ...﴾[3].

رمي جمرة العقبة:

فإذا وصل إلى منى، بدأ بجمرة العقبة فرماها بسبع حصيات واحدة بعد واحدة، ويشترط الرمي فلا يجزئ الوضع في المرمى لأنه ليس برمي.. ويشترط علم وقوع الحصيات بالمرمى، ثم بعد الرمي ينحر هديه إن كان متمتعاً أو قارناً ثم يحلق رأسه وهو أفضل من التقصير أو يقصر من جميع شعره، والمرأة تقصر من كل قرن قدر أنملة.

فإذا رمى وحلق أو قصر فقد حصل له التحلل الأول وحل له كل شيء حرم عليه بالإحرام إلا النساء وطئاً ومباشرة وتقبيلاً ولمساً لشهوة..

حكم من قدم الحلق أو النحر على الرمي:

وإن قدم الحاج الحلق على الرمي أو قدم الحلق على النحر أو قدم النحر على الرمي أو قدم طواف الإفاضة على الرمي والحلق فلا شيء عليه، لما ثبت في الصحيحين أن رجلاً قال: يا رسول الله – «حلقت قبل أن أنبح، قال: فاذبح ولا حرج. قال: نحرت قبل أن أرمي.. قال: ارم ولا حرج..»[4] وفي بعض ألفاظ الحديث: قال: فما سمعته يسأل يومئذ عن شيء قدم ولا أخر إلا قال: افعل ولا حرج.. ثم يفيض إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة – وهو ركن – لا يتم الحج إلا به ووقته من منتصف ليلة النحر، وفعله يوم النحر أفضل، وإن أخره عن أيام منى جاز، لأنه لا آخر لوقته.

فضل ماء زمزم:

ويستحب بعد الطواف أن يشرب من ماء زمزم ويتضلع منه ويرش على بدنه وثوبه ويدعو بما شاء، لقوله – صلى الله عليه وسلم –: «ماء زمزم لما شرب له»[5].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الحج حديث رقم ٢١٢٧.
(٢) بغلس: أي بظلام آخر الليل.
(٣) سورة البقرة من الآية ١٩٨.
(٤) رواه الشيخان والرواية لمسلم في كتاب الحج حديث ٢٣٠٤.
(٥) رواه ابن ماجة جـ٢ ص١٠١٨ حديث رقم ٣٠٦٢، ورواه أحمد حديث رقم ١٤٨٩٣، والدارقطني.

رمي الجمار أيام التشريق:

ويرمي الجمرات أيام التشريق كل يوم بعد الزوال لقول جابر: «كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يرمي يوم النحر ضحى وأما بعد ذلك فبعد زوال الشمس»[1]. وقال ابن عمر: كنا نتحيّن إذا زالت الشمس رميناه ويمتد وقت الرمي إلى غروب الشمس إلا أن المستحب المبادرة حين الزوال ويرمي كل جمرة من الثلاث بسبع حصيات - واحدة بعد واحدة - فيبدأ بالجمرة الأولى الصغرى ثم الجمرة الوسطى وينتهي بالجمرة الكبرى.

وترتيب الجمرات شرط لأنه - صلى الله عليه وسلم - رماها كذلك وقال: «خذوا مناسككم»[2] ويكرر ذلك في اليوم الثاني من أيام التشريق، واليوم الثالث إن لم يتعجل ويجوز الاستنابة في الرمي لمن له عذر نحو مرض أو المرأة الحامل أو الأطفال.

طواف الوداع:

فإذا أتى مكة متعجلاً أو غيره لم يخرج حتى يطوف للوداع ويكون ذلك إذا فرغ من جميع أموره لقول ابن عباس: أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض، فإن ودع ثم اشتغل بشيء غير شؤون السفر كتجارة ونحوها أو أقام بعده أعاد طواف الوداع.

وإن خرج قبل طواف الوداع رجع إلى مكة وجوباً للوداع، فإن شق رجوعه أو بعد عن مكة مسافة قصر فعليه دم، ولا وداع على حائض ونفساء.

آثار الحج:

للحج آثار كثيرة منها:

١ - الحج مظهر عملي للأخوة الإسلامية، حيث يحس الإنسان بشكل عملي أنه أخ لكل مسلم في العالم.

٢ - الحج مدرسة يتعلم المسلم فيها بذل الجهد مع الصبر، ويتعلم منها أن يعيش في عبادة دائمة، ويتعلم منها كبح عواطفه، وإلجام نزواته، ويتعلم منها أن يكون ظليقاً مع المؤمنين رحيماً بهم.

٣ - الحج يحيي في نفس الإنسان مشاعر كثيرة:

أ - مشاعر الولاء لله - تعالى - ورسوله الكريم - صلى الله عليه وسلم -.

ب - مشاعر التوجه الخالص لله - تعالى -.

جـ - مشاعر التجرد من الدنيا والإقبال على الآخرة.

د - مشاعر العزم على فتح صفحة جديدة مع الله - عزّ وجلّ -.

٤ - الحج عودة للمسلمين إلى مراكز الإسلام الأولى، دين إبراهيم ومحمد - عليهما السلام -، فتقوى في المسلم رابطته الدينية، لأنها وطنه الروحي، وقبلته الوحيدة، ومنطلق تطلعاته وآماله، فيرجع منه وقد تغير كثير من معالم صورة الحياة لديه.

٥ - الحج رمز لستسلام المسلم لأمر الله - تعالى - دون نقاش أو جدال.

٦ - الحج رمز لوحدة الأمة الإسلامية، بصرف النظر عن الأجناس والألوان والأوطان فوحدة المسلمين نابعة من عقيدتهم ودينهم وشريعتهم.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الحج حديث ٨١٨.

(٢) رواه النسائي في كتاب مناسك الحج حديث ٣٠١٢.

التقويم

س١ – (الحج طريق من طرق الخلاص من براثن الشيطان إلى معية الرحمن).
اشرح هذه العبارة في ضوء دراستك لموضوع: الحج تربية عملية.

س٢ – علل ما يأتي:
أ – يعتبر العقل شرطاً من شروط وجوب الحج.
ب – النظافة والتطيب سنة من سنن الإحرام.
جـ – نهى الله – عز وجل – عن الجدال في الحج.

س٣ – أكمل ما يأتي:
أ – يشترط لوجوب الحج ما يأتي:
١– _____ ٢– _____ ٣– _____ ٤– _____ ٥– _____
ب – تتحقق الاستطاعة بـ:
١– _____ ٢– _____ ٣– _____ ٤– _____ ٥– _____

س٤ – ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:
أ – التطيب سنة من سنن الإحرام وتكون في البدن والثياب. ( )
ب – يجوز للحاج أو المعتمر أن يطوف بالكعبة وهو غير طاهر من الحدث الأصغر. ( )
جـ – ستر العورة شرط من شروط صحة الطواف. ( )
د – الوقوف بعرفة ركن من أركان الحج. ( )

س٥ – عرّف ما يأتي:
أ – الحج ، ب – الإحرام ، جـ – الطواف.

س٦ – ضع الرقم المناسب من المجموعة (أ) أمام ما يناسبه من المجموعة (ب) فيما يأتي:

(أ)	(ب)
١ – ميقات أهل المدينة.	( ) الجحفة.
٢ – ميقات أهل الشام.	( ) قرن المنازل.
٣ – ميقات أهل نجد.	( ) ذو الحليفة.
٤ – ميقات أهل اليمن.	( ) ذات عرق.
٥ – ميقات أهل العراق.	( ) يلملم.

س٧ – قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ...﴾[1].

ما الإحرام؟ وما أنواعه؟

س٨ – أكمل ما يأتي:

أ – من آداب الإحرام وسننه:

١ – .....

٢ – .....

٣ – .....

٤ – .....

ب – من محظورات الإحرام:

١ – .....

٢ – .....

٣ – .....

٤ – .....

س٩ – ما الحكم في المواقف الآتية مع بيان السبب؟

أ – حلق رجل شعره قبل أن يتحلل من الإحرام بسبب المرض.

ب – امرأة حاضت فرجعت إلى بلدها ولم تطف طواف الوداع.

جـ – وقف حاج في عرفات في التاسع من ذي الحجة بعد الزوال.

د – انصرف حاج من عرفات ولم يمكث في مزدلفة.

هـ – حاج قدّم الطواف على الرمي.

س١٠– للحج آثار في نفس المسلم... اذكر خمسة منها.

س١١ – قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[2].

ارجع إلى كتاب من كتب التفسير واشرح هذه الآية في ضوء فهمك لقراءة التفسير.

* * *

(١) سورة البينة من الآية ٥.

(٢) سورة البقرة الآية ١٥٨.

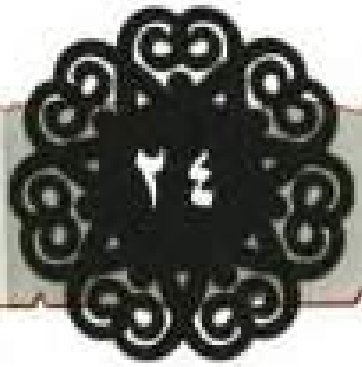

مواقف من حياة الصحابة الكرام
«رضي الله عنهم»

التمهيد:

لقد أعز الله – تعالى – الإسلام وأهله بإسلام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – الذي ضرب أروع الأمثلة بالصدع بالحق والجهر به والقوة في الدين والشدة مع الكافرين الجاحدين.

أولاً – عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – رجل كله بطولات:

من أراد أن يحصي مواقف البطولات في سيرة عمر – رضي الله عنه – فقد تصدى لاقتحام بحر زاخر من فضائل النفس التي لا يتحلى بها إلا عظماء الرجال.

نشأته:

عمر – رضي الله عنه – من قريش من فخذ يقال لهم بنو عدي بن كعب بن لؤي، ولُقِّب بالفاروق لأن بإسلامه فرق الله به بين الحق والباطل، وكانت أمه حنتمة بنت هاشم فيكون بهذا أبو جهل خاله.

إسلامه:

وقد روي في سبب إسلامه عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: خرج عمر متقلداً السيف فلقيه رجل من بني زهرة قال: أين تعمد يا عمر؟ فقال أريد أن أقتل محمداً، قال: كيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمداً؟ قال: فقال عمر: ما أراك إلا قد صبوت وتركت دينك الذي أنت عليه، قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر إن ختنك[1] وأختك قد صبآ وتركا دينك الذي أنت عليه.

قال: فمشى عمر ذامراً حتى أتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له: خباب بن الأرت.

قال: لما سمع خباب حس عمر توارى في البيت، فدخل عليهما، فقال: ما هذه الهينمة[2] التي سمعتها عندكما؟ قال: وكانوا يقرؤون سورة طه، فقالا ما عدا حديثاً تحدثنا بيننا قال: فلعلكما قد صبأتما؟ قال: فجاءت أخته فدفعته عن زوجها، فنفحها بيده نفحة فدمى وجهها، فقالت وهي غضبى: يا عمر إن كان الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله!

فلما يئس عمر قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكما فأقرؤه! قال: وكان عمر يقرأ الكتب، فقالت أخته: إنك رجس ولا يمسه إلا المطهرون، فقم فاغتسل أو توضأ فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب فقرأ من أول سورة طه:

﴿طه﴾ حتى انتهى إلى قوله – تعالى –:

﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[3].

---

(١) ختنك: زوج الأخت. (٢) الهينمة: الصوت الخفي. (٣) سورة طه الآيات من (١ – ١٤).

فقال عمر: دلوني على محمد، فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال: أبشر يا عمر! فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لك ليلة الخميس: اللهم أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام! قال: ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الدار التي في أصل الصفا.

فانطلق عمر حتى أتى الدار، قال: وعلى باب الدار حمزة وطلحة وأناس من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما رأى حمزة وجل القوم من عمر، قال: نعم، فهذا عمر، فإن يرد الله بعمر خيراً يسلم ويتبع النبي - صلى الله عليه وسلم - وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هيناً. قال: والنبي - صلى الله عليه وسلم - داخل يوحى إليه، قال: فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حتى أتى عمر فأخذ بمجامع ثوبه وحمائل السيف، فقال: «أما أنت منتهياً يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة؟

اللهم هذا عمر بن الخطاب، اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب». قال: فقال عمر: أشهد أنك رسول الله!! فأسلم، وقال: اخرج يا رسول الله[1].

قال ابن مسعود - رضي الله عنه -: ما زلنا أعزة منذ أن أسلم عمر» وقال: لقد رأيتنا وما نستطيع أن نصلي بالبيت حتى أسلم عمر، فلما أسلم عمر قاتلهم حتى تركونا نصلي.

هجرته:

وهاجر من هاجر مستخفياً، أما عمر فقد أبت عليه طبيعته المتفوقة إلا أن يجهر بهجرته ليكون أنكى لقريش، وأقسى على قلبها. ويحدثنا عن ذلك علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فيقول: (ما علمت أحداً من المهاجرين إلا هاجر متخفياً إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هم بالهجرة تقلد سيفه، وتنكب قوسه، وانتضى في يده أسهماً، واختصر عنزته، ومضى قبل الكعبة، والملأ من قريش بفنائها، فطاف بالبيت سبعاً متمكناً، ثم أتى المقام فصلى متمكناً، ثم وقف على الحلق واحدة واحدة، وقال لهم: شاهت الوجوه، لا يرغم الله إلا هذه المعاطس، من أراد أن تثكله أمه، ويبتم ولده، وترمل زوجته، فليلقني وراء هذا الوادي. قال علي: فما تبعه أحد إلا قوم من المستضعفين علمهم وأرشدهم ومضى لوجهه)[2].

زهده:

كان يعيش في بيته أقل معيشة وأخشنها، فطعام أهله أقل مما يأكل المسلمون، في سنة المجاعة كان يقف والناس يأكلون وربما أكلوا لحماً وعاد هو إلى بيته فلم يجد غير خبز وزيت فيأكل بشهية ثم يشرب وهو يقول: الحمد لله الذي أطعمنا فأشبعنا وسقانا فأروانا، وكان ربما أثر الجوع والحرمان في وجهه فيقول لأهله لستم عندي إلا كأي أهل بيت من بيوت المسلمين، ومع أن إحدى زوجاته كانت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وهي ابنة فاطمة وجدها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقد كانت تصبر على ما يصبر عليه من التقشف.

وجيء - رضي الله عنه - بذخائر كسرى وكنوزه وذهبه وفضته فما مد عينه إلى زهرة الحياة الدنيا بل كان كل همه أن يهتم بإنفاذ وعد الله ورسوله كما فعل حين جيء بسواري كسرى فقال أين أخو بني سراقة بن مالك ثم ألبسه سواري كسرى إنفاذاً لوعد الله ورسوله حين دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الهجرة فقال لسراقة: «ألبسك الله سواري كسرى».

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢٦٨-٢٦٩).
(٢) صور من سير الصحابة، عبدالحميد السحيباني ص٣٠.

تواضعه:

كان – رحمه الله – عظيم التواضع يرقع الثوب بالاديم، ويحمل القربة على كتفيه رغم مهابته، ويركب الحمار عرياً، والبعير مخطوماً بالليف، وكان نقش خاتمه (كفى بالموت واعظاً).

وقدم عليه الأحنف بن قيس فوجده يطلي جملاً من إبل الزكاة في الشمس ليعالج جربه فقال له الاحنف: كان يكفيك عبد كلّ هذا العناء. قال: ويحك يا أحنف وهل هنالك عبد أذلّ من عمر.

ويعقبه خادمه (أسلم) ليلة فرآه يدخل بيتاً حقيراً فيمكث فيه مدة ثم يخرج قال أسلم: ودخلت من حيث خرج فوجدت في البيت عجوزاً مقعدة عمياء فسألتها من الذي خرج من عندك الساعة؟ فقالت رجل لا أعرفه يأتي كل يوم فيكنس الأوساخ من حولي.

مواعظه:

وقد جرت على لسانه – رضي الله عنه – ينابيع الحكمة، وفاضت قريحته بمواعظ وعبر، وهي نعمة من لدن الفتاح العليم.

قال للناس ناصحاً ومرشداً: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم، قبل أن توزنوا فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم وتزينوا للعرض الأكبر[1]. قال – تعالى –:

﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[2].

ونهى عن كثرة الضحك والكلام، فقال للأحنف: (يا أحنف، من كثُر ضحكه قلت هيبته، ومن مزح استُخِفَّ به، ومَنْ أكثر من شيء عُرِفَ به، ومَنْ كَثُرَ كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قلّ حياؤه، ومن قلّ حياؤه قل ورعه، ومن قلّ ورعه مات قلبه)[3].

وقال مادحاً أولئك العباد العارفين المخلصين، الذين استقامت بهم طريقتهم، فوصلوا إلى دار السلام بسلام: (إن لله عباداً يُميتون الباطل بهجره ويحيون الحق بذكره، رغبوا فرغّبوا، ورهبوا فرهّبوا، خافوا فلا يأمنون، أبصروا من اليقين ما لم يعاينوا، فخلطوا بما لم يزايلوه، أخلصهم الخوف فكانوا يهجرون ما ينقطع عنهم لما يبقى لهم، الحياة عليهم نعمة، والموت لهم كرامة، فزوجوا الحور العين، وأخدموا الولدان المخلدين)[4].

ولّيات عمر: ولعمر أوليات اختص بها، فقد كان أول من دعي أمير المؤمنين، وكتب التاريخ مبتدئاً بيوم الهجرة، وعسّ بالمدينة، وأدّب بالدِّرّة، وجمع الناس على التراويح، وجلد في الخمر ثمانين، ونظم ديوان الجيش، وقد بلغت الفتوحات في عصره من بلاد الري إلى ما وراء الإسكندرية ثم إلى طرابلس وبرقة، وفي عهده كانت انتصارات المسلمين في جميع بلاد الشام ومصر.

---

(١) حلية الأولياء (١/٥٢).
(٢) سورة الحاقة الآية ١٨.
(٣) عمر بن الخطاب الفاروق العادل (٢٢٣).
(٤) حلية الأولياء (١/٥٥).

وفاته:

ودنا الأجل المحتوم وتحركت يد المكر شَيْئَةً الخليفة العادل والإمام الراشد، حيث تقدم أبو لؤلؤة المجوسي الأصل، والرومي الدار، غلام المغيرة بن شعبة، إلى زاوية من زوايا المسجد ينتظر خروج أمير المؤمنين لصلاة الصبح، حيث أضمر قتله، واتخذ خنجراً ذا رأسين، نصابه في وسطه وشَخَذَهُ وسمّه وكان عمر إذا مرّ بين الصفين قال: استووا، حتى إذا لم يرَ فيهما خللاً، تقدم فكبّر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو تلك في الركعة الأولى، حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر حتى انقضّ عليه أبو لؤلؤة فطعنه ثلاث طعنات، إحداهن تحت السرة فقتلته – رضي الله عنه –.

ولقد صدق ابن عباس عندما قال: (رحم الله أبا حفص كان – والله – حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومحل الإيمان، وملاذ الضعفاء، ومعقل الحنفاء، للخلق حصناً، وللناس عوناً، قام بحق الله صابراً محتسباً، حتى أظهر الله الدين وفتح الديار، وذكر الله في الأقطار والمناهل على القلال، وفي الضواحي والبقاع، وعند الخنا وقوراً، وفي الشدة والرخاء شكوراً، ولله في كل وقت وأوانٍ نكوراً، فأعقب الله من يبغضه اللعنة إلى يوم الحسرة)[1].

ونستخلص من دراستنا لحياة الصحابي الجليل عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ما يأتي:

أ – من المعارف والمعلومات:

١ – إسلام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – عزة للإسلام والمسلمين.

٢ – لُقِّب عمر بالفاروق لأنه فرّق بين الحق والباطل.

٣ – أعلن عمر هجرته لقريش لتكون قاسية على قلوبهم.

٤ – كان عمر زاهداً في الدنيا يعيش في بيته أقل معيشة وأخشنها.

٥ – كان رحمه الله عظيم التواضع رغم مهابته.

٦ – جرت على لسانه – رضي الله عنه – ينابيع الحكمة والموعظة.

٧ – اختص عمر بأوّليّات كثيرة منها، أنه أول من دعي أمير المؤمنين، وأول من جلد في الخمر ثمانين.

ب – من القيم المستفادة:

١ – استشعار حلاوة الإيمان والدخول في الإسلام.

٢ – الاعتزاز بالإسلام وتسخير طاقاتك لخدمته.

٣ – التأسي بالصحابي الجليل عمر بن الخطاب في زهده وتواضعه.

٤ – الخشية من الله تعالى ومراقبته بالسر والعلن.

٥ – تقدير جهود الصحابة – رضوان الله عليهم – والتزود بتراثهم.

---

(١) صور من سير الصحابة، عبدالحميد السحيباني ص٣٧.

التقويم

س١ – اكتب باختصار قصة إسلام عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –.

س٢ – (ما علمت أحداً من المهاجرين إلا هاجر متخفياً إلا عمر بن الخطاب، فإنه لما هَمَّ بالهجرة تقلد سيفه، وتنكَّب قوسه، وانتضى في يده أسهماً).

من قائل هذه العبارة؟ وما المناسبة التي قيلت فيها؟ وعلام يدل ذلك؟

س٣ – ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

١ – أول من دُعي بأمير المؤمنين هو عمر بن الخطاب. ( )

٢ – لُقِّبَ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بسيف الله المسلول. ( )

٣ – هاجر عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – متخفياً من كفار قريش. ( )

٤ – ليس سراقة بن مالك «سوارَي كسرى» في عهد عمر بن الخطاب. ( )

س٤ – ضرب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أروع الأمثلة في التواضع. دلل على ذلك من سيرته بمثالين.

س٥ – علل ما يأتي:

١ – دعاء الرسول – صلى الله عليه وسلم –: «اللهم أعزَّ الإسلام بعمر بن الخطاب».

٢ – كان عمر يرقع الثوب ويحمل القربة على كتفيه رغم مهابته.

٣ – قول عمر بن الخطاب: (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا).

س٦ – أكمل كل عبارة مما يأتي بالكلمات المناسبة، ثم اكتبها كاملة في كراستك:

أ – أسلم عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – على يد _____ بعد _____ ثم أخذ الكتاب فقرأ _____ حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿_____﴾.

ب – قُتِلَ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على يد _____ في صلاة _____ حيث أضمر قتله، واتخذ خنجراً ذا رأسين، وما أن كبَّر عمر حتى انقض عليه _____ فطعنه حتى مات.

* * *

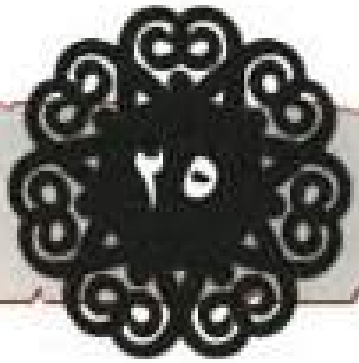

ثانياً: كعب بن مالك – رضي الله عنه (شاعر العقيدة الإسلامية)

التمهيد:

إن الكلمة المؤثرة عملها في القلوب أشد من وقع النبال ورمي الرماح وطعن السيوف، فكيف بمن جمع البنان والسنان في جهاد الكفار، هذا هو شاعر العقيدة – كعب بن مالك – رضي الله عنه.

نسبه ونشأته:

كعب بن مالك شاعر كبير من شعراء الإسلام، وأحد أولئك الأنصار الكرام الذين نصروا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وذادوا عن دينهم بالغالي والرخيص.. وفاق غيره بأن كان مجاهداً بسيفه ولسانه، يحضر المعارك، وينصر دينه..

والده: مالك بن أبي كعب بن القين. له في حروب الأوس والخزرج – التي كانت بينهما قبل الإسلام – مواقف وذكر. وعمه قيس بن أبي كعب ممن شهد بدراً وهو شاعر أيضاً. وأمه: ليلى بنت زيد بن ثعلبة من بني سلمة.

إسلامه:

أسلم كعب بن مالك – رضي الله عنه – مبكراً، فكان من أوائل الأنصار في المدينة، فما أن وصل نور الإسلام إلى يثرب حتى أضاء جوانب نفسه، وانشرح صدره للإيمان، فآمن بالإسلام، وصدق رسوله – عليه الصلاة والسلام – في الوقت الذي لم يكن في المدينة أكثر من أربعين رجلاً من المسلمين وصلى الجُمَع فيها قبل هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – إليها.

ولما كانت العقبة الثانية توجه كعب مع اثنين وسبعين رجلاً وامرأتين، ممن كانوا طلائع الإسلام الأولى في المدينة إلى مكة، حيث وافوا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في العقبة، وبايعوه على الإسلام والإيواء والنصر، وتجمع المصادر على وجوده مع هؤلاء الاثنين والسبعين، ولذلك قيل عنه عقبي[1].

جهاده:

كما حارب كعب أعداء الله – تعالى – بلسانه، ونب عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – بشعره، فقد جاهد – رضي الله عنه – بسيفه، واشترك مع النبي – صلى الله عليه وسلم – في جميع المشاهد إلا غزوتي بدر وتبوك، وقيل إنه شهد بدراً، وهذا وَهْمٌ ينفيه قول كعب نفسه: «لم أتخلف عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني تخلفت عن غزوة بدر». ولم يكن تخلفه يوم بدر عن قصد أو تهاون، إذ تخلف معه قوم من أصحاب الرسول – صلى الله عليه وسلم – لم يحسبوا أن المسلمين سيحاربون، منهم أسيد بن حضير، وسعد بن عبادة، ولما رجع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة هنأه أسيد بنصر الله له، وإظهاره إياه على عدوه، واعتذر عن تخلفه وقال: إنما ظننت أنها العير ولم أحسب أنك تحارب، فصدقه رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

---

(١) عقبي: أي أن كعب بن مالك الأنصاري حضر بيعة العقبة.

وقال كعب: تخلفت عن غزوة بدر ولم يعاتب أحد تخلف عنها، إنما خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يريد عِيرَ قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد.

وفي غزوة أحد لبس كعب لأمة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وكانت صفراء، ولبس النبي – صلى الله عليه وسلم – لامة، فجرح كعب أحد عشر جرحاً، ولما وقعت الهزيمة بالمسلمين في غزوة أحد، وأخذ شعراء المشركين يفتخرون بذلك قال كعب:

وفينا رسول الله نتبع أمره	إذا قال فينا القول لا نتطلع
وتدلي عليه الروح من عند ربه	ينزّل من جو السماء ويرفع
نشاوره فيما نريد وقصدنا	إذا ما اشتهى أنا نطيع ونسمع
وقال رسول الله لما بدوا لنا	ذروا عنكم هول المنيات واطمعوا
وكونوا كمن يشري الحياة تقرباً	إلى ملك يحيا لديه ويرجع
ولكن خذوا أسيافكم وتوكلوا	على الله إن الأمر لله أجمع[1]

ولم تقعد بكعب وقومه هذه الجراحة المثخنة عن متابعة الجهاد في سبيل الله، إذ بعد أحد التي جرحوا فيها بيوم واحد فقط، طلب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من المسلمين أن يخرجوا للقتال العدو في غزوة حمراء الأسد، فوثب المسلمون إلى أسلحتهم وما اكترثوا بجراحاتهم، فحققوا بذلك ولاءهم لله – تعالى – ولرسوله – عليه الصلاة والسلام –.

قصة تخلفه عن غزوة تبوك:

إن قصة تخلف كعب – رضي الله عنه – وتوبة الله – تعالى – عليه وعلى صاحبيه هلال بن أمية ومرارة بن الربيع اللذين تخلفا معه قد اشتهرت في كتب الحديث والتاريخ والسير، لما نزل فيها بالقرآن، وامتحن فيها كعب وصاحباه امتحاناً عسيراً، خرجوا منه بتوبة الله عليهم وعذرهم.

وكانت غزوة تبوك في حر شديد، فأصاب المسلمين الجهد حتى سميت غزوة العسرة، ووصفها عمر ابن الخطاب – رضي الله عنه – فقال: (خرجنا مع رسول الله إلى تبوك، في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً أصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستنسقط، حتى إن الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه، ويجعل ما بقي على كبده)، وها هو – كعب بن مالك – يروي لنا قصة تخلفه عن هذه الغزوة:

غزا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تلك الغزوة، حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله والمسلمون معه، فطفقت أغدو كي أتجهز معهم، فأرجع ولم أقض شيئاً، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه إذا أردت. فلم يزل ذلك يتمادى بي حتى اشتد بالناس الجد، فأصبح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – غازياً والمسلمون معه، ولم أقض من أمري شيئاً فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئاً، فلم يزل ذلك بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم وليتني فعلت فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فطفت فيهم، أحزنني أني لا أرى إلا رجلاً مغموصاً عليه بالنفاق، أو رجلاً ممن عذر الله من الضعفاء.

ولم يذكرني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى بلغ تبوك، فقال وهو جالس في القوم بتبوك:

---

(١) سيرة ابن هشام (٣/ ٩١).

(ما فعل كعب؟)، فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه برداه، ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

قال كعب: فلما بلغني أنه توجه قافلاً حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بم أخرج من سخطه غداً؟ واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي. فلما قيل إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قد أظل قادماً زاح عني الباطل، وعرفت أني لم أخرج منه أبداً بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قادماً، وكان إذا قدم من السفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس. فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلاً. فقبل منهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله. فجئته، فلما سلمت عليه تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المغضب ثم قال: (تعال)، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه، فقال لي: (ما خَلَّفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟) فقلت: بلى، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلاً، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضى به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه، إني لأرجو فيه عفو الله، والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر مني حين تخلفت عنك.

فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «أما هذا فقد صدق، فقم حتى يقضي الله فيك».

فقمت وقام رجال من بني سلمة، فاتبعوني فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بما اعتذر إليه المتخلفون، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لك، فوالله ما زالوا يؤنبونني حتى أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قالوا: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً، فيهما أسوى، فمضيت حين ذكروهما.

مقاطعتهم عن الكلام:

ونهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن كلامنا نحن الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس، وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي الأرض فما هي التي أعرف، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة.

البلاء يزداد:

قال: فبينما أنا أمشي بسوق المدينة، إذا بنبطي من أنباط أهل الشام، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إلي كتاباً من ملك غسان، فإذا فيه: أما بعد فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان، ولا مضيعة، فالحق بنا. فقلت لما قرأتها: وهذا أيضاً من البلاء، فتيممت بها التنور، فسجرته بها.

حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسولُ رسولِ الله – صلى الله عليه وسلم – يأتيني فقال: «إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يأمرك أن تعتزل امرأتك».

فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: بل اعتزلها ولا تقربها. وأرسل إلى صاحبيّ مثل ذلك.

فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فتكوني عندهم، حتى يقضي الله في هذا الأمر.

قال كعب: جاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقالت: يا رسول الله إن هلال بن أمية شيخ ضائع، ليس له خادم، فهل تكره أن أخدمه؟ قال: «لا، ولكن لا يقربك».

قالت: إنه والله ما به حركة إلى شيء، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا.

فقال لي بعض أهلي: لو استأذنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في امرأتك، كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه، فقلت: والله لا أستأذن فيها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وما يدريني ما يقول رسولُ الله – صلى الله عليه وسلم – إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب.

جاء الفرج من الله:

فلبثت بعد ذلك عشر ليالٍ، حتى كملت خمسون ليلة من حين نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن كلامنا، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلة، وأنا على ظهر بيت من بيوتنا، فبينما أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت عليَّ نفسي، وضاقت عليَّ الأرض بما رحبت، سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سَلْع[1] بأعلى صوته: يا كعب بن مالك أبشر، قال: فخررت ساجداً، وعرفت أن قد جاء الفرج، وآذن رسول الله – عليه الصلاة والسلام – بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر، فذهب الناس يبشروننا، وذهب قِبَل صاحبيَّ مبشرون، وركض إليَّ رجل فرساً، وسعى ساعٍ من (أسلم) فأوفى على الجبل، وكان الصوت أسرع من الفرس، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبيَّ، فكسوته إياهما ببشراه، والله ما أملك غيرهما واستعرت ثوبين فلبستهما، وانطلقت إلى رسول الله، فيتلقاني الناس فوجاً فوجاً، يهنئونني بالتوبة.

قال كعب: حتى دخلت المسجد فإذا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – جالس حوله الناس، فقام طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهنأني، والله ما قام إليَّ رجل من المهاجرين غيره، ولا أنساها لطلحة.

قال كعب: لما سلمت على رسول الله قال: وهو يبرق وجهه من السرور: «أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك».

قال: قلت: أمِنْ عندك يا رسولَ الله أمْ مِنْ عند الله؟!.. قال: «لا بل من عند الله».

وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا سُر استنار وجهه، حتى كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه.

بعد التوبة:

فلما جلست بين يديه قلت: يا رسول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسول الله، قال – صلى الله عليه وسلم –: «أمسك مالك، فهو خير لك»، قلت: فإني أمسك سهمي الذي بخيبر. وقلت: يا رسول الله، إن الله إنما نجاني بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدِّث إلا صدقاً ما بقيت، فوالله ما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – أحسن مما أبلاني، ما تعمدت منذ ذكرت ذلك لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى يومنا كذباً، وإني لأرجو أن يحفظني الله ما بقيت. وأنزل الله على رسوله:

﴿لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُم بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾[2].

---

(١) هو جبل في سوق المدينة.

(٢) سورة التوبة الآيات من ١١٧-١١٩.

قال كعب: وكنا قد تخلفنا نحن الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين حلفوا له، فبايعهم، واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أمرنا حتى قضى الله فينا، فبذلك قال الله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾[1]

وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو وإنما هو تخليفه إيانا[2].

وبقصة كعب المؤثرة يظهر إيمانه العميق، وإسلامه الكامل، وكان أكثر شيء يخيف كعباً أن يموت قبل أن ينزل الله توبته. قال: «ما من شيء أهم إليّ من أن أموت، فلا يصلي عليّ النبي – صلى الله عليه وسلم – أو يموت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأكون من الناس بتلك المنزلة، فلا يكلمني أحد ولا يصلي عليّ».

وقد بلغ به التأثير والندم ما جعله يخرج من أهله إلى الرقة[3] ويتخذ فسطاطاً يأوي إليه في الليل ويتعبد الله في الشمس بالنهار، ثم يرجع إلى سلع، وكان يقيم به النهار صائماً، ويأوي إلى داره بالليل، حتى نزلت توبته، فكان فرحه لا يوصف، وتصويره له بالقصة يغني عن كل وصف.

وفاته:

عاش كعب بن مالك إلى زمن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – حيث توفي سنة خمسين للهجرة، وهو ابن سبع وسبعين، وكان قد عمي وذهب بصره في آخر عمره رحمه الله – تعالى – ورضي عنه[4].

ونستخلص من حياة الصحابي الجليل كعب بن مالك ما يأتي:

أ – من المعارف والحقائق والمعلومات:

١ – كعب بن مالك شاعر كبير من شعراء الإسلام.

٢ – أسلم كعب بن مالك مبكراً فهو من أوائل الأنصار الذين دخلوا في الإسلام.

٣ – بايع كعب بن مالك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في بيعة العقبة الثانية.

٤ – شارك كعب في جميع المعارك مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما عدا غزوتي بدر وتبوك.

٥ – في قصة تخلفه عن غزوة تبوك الدروس والعبر التي يستفيدها المسلم.

٦ – توفي كعب سنة خمسين للهجرة وهو ابن سبع وسبعين في زمن معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه –.

ب – من القيم المستفادة:

١ – حب الرسول – صلى الله عليه وسلم – ومبايعته على الإيواء والنصر.

٢ – حرص الصحابة على المشاركة في الجهاد في سبيل الله وعدم التخلف إلا لعذر.

٣ – التأسي بمبدأ الصدق كما فعل كعب بن مالك – رضي الله عنه – لأن الصدق منجاة فلا يكذب المؤمن أبداً.

٤ – كراهية الشيطان وعدم الاستماع لوساوسه.

٥ – يفرح المؤمن بتوبته ورضا الله عنه.

٦ – التزام الصحابة بالإسلام وطاعتهم للرسول – صلى الله عليه وسلم –.

---

(١) سورة التوبة من الآية ١١٨.

(٢) انظر في قصة كعب عن غزوة تبوك، البخاري (٨/٨٦)، مسلم (٢٧٦٩).

(٣) الرقة: كل أرض تكون إلى جانب واد ينبسط عليها الماء أيام المد، ثم ينحسر عنها.

(٤) صور من سير الصحابة، عبدالحميد السحيباني.

التقويم

س١ – اجب عما يأتي:

أ – متى أسلم كعب بن مالك؟ ولم سُمي عقبي؟

ب – تخلف كعب بن مالك عن غزوتين من غزوات الرسول – صلى الله عليه وسلم – اذكرهما. مع بيان سبب تخلفه عن كل غزوة.

جـ – حارب كعب بن مالك أعداء الله – تعالى – بلسانه ودافع عن الرسول – صلى الله عليه وسلم – بشعره. دلل على ذلك من شعره يوم غزوة أحد.

د – اشرح بشيء من التفصيل قصة تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك موضحاً حال المخلَّفين الثلاثة.

س٢ – ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

١ – تخلف كعب بن مالك عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في غزوة العسرة. ( )

٢ – استجاب كعب بن مالك لكتاب ملك غسان عندما دعاه. ( )

٣ – من الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أبو ذر الغفاري. ( )

٤ – نزل القرآن الكريم ليبشر بقبول الله توبة المخلفين الثلاثة. ( )

س٣ – علل ما يأتي:

١ – أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الصحابة بعدم الكلام مع المخلَّفين الثلاثة.

٢ – نذر كعب بن مالك بعد نزول التوبة أن لا يحدث إلا الصدق.

س٤ – استدل من الآيات القرآنية بما يدل على توبة الله – تعالى – على المخلفين الثلاثة.

* * *

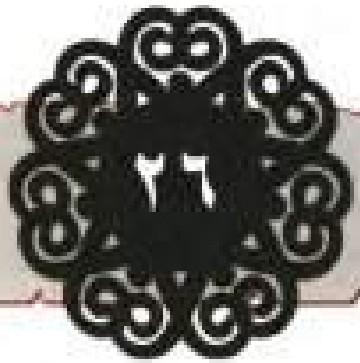

صحابيات خالدات - رضي الله عنهن -

التمهيد:

ها هي سيدة نساء أهل الجنة فاطمة الزهراء التي فاقت مثيلاتها وأقرانها، فقد مرت عليها الصعاب والمحن وصبرت صبر المؤمنات القانتات، ودافعت عن رسولها وأبيها محمد - صلى الله عليه وسلم - في مواقف مأثورة، شهد لها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالفضل في الدنيا والآخرة، وإليك أيها المتعلم جوانب من سيرتها العطرة.

أولاً - فاطمة بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (سيدة نساء أهل الجنة):

أصغر بنات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأحبهن إليه، ولدت قبل البعثة عام تجديد الكعبة، وكانت تُعرف بأم أبيها.

ترعرعت فاطمة في بيت نبوي رحيم، يكلؤها بالرعاية، وبما تتمتع به أمها خديجة بنت خويلد من صفات زكية وسجايا حميدة.

قال - صلى الله عليه وسلم -: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم»[1].

وقد ورد أيضاً أنه قال: «إن ملكاً استأذن الله - تعالى - في زيارتي وبشرني بأن فاطمة سيدة نساء أمتي، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة».

تقدم علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ليخطب من رسول الله ابنته فاطمة فقال - رضي الله عنه -: أردت أن أخطب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ابنته فاطمة، فقلت: والله ما لي من شيء، ثم ذكرت صلته، وعائدته فخطبتها إليه فقال لي النبي - صلى الله عليه وسلم -: «وهل عندك شيء؟».

فقلت: لا يا رسول الله.

فقال - صلى الله عليه وسلم -: «فأين درعك الحُطَيميَّة التي أعطيتك يوم كذا وكذا؟».

فقلت: هي عندي يا رسول الله.

فقال - صلى الله عليه وسلم -: «فأعطها إياها».

فأصدقها، وتزوجها، فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «اللهم بارك فيهما وبارك لهما في نسلهما»[2].

ولقد آثر الله فاطمة الزهراء بالنعمة الكبرى، فحصر في ولدها ذرية نبيه - صلى الله عليه وسلم -.

---

(١) رواه أحمد (١/٢٩٣) والحاكم (٣/٥٩٤) من حديث ابن عباس وصححه.

(٢) طبقات ابن سعد ٨/٩٥ - سنن أبي داود في كتاب النكاح (٧٦).

ولقد بلغ من حب رسول الله لابنته فاطمة أنه كان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيصلي ركعتين، ثم يأتي فاطمة، ثم يأتي أزواجه.

تقول عائشة – رضي الله عنها –: «ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسوله الله – صلى الله عليه وسلم – من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها، فقبلها، ورحب بها، وكذلك كانت هي تصنع به»[1].

لقد مرت السيدة فاطمة – رضي الله عنها – بأحداث كثيرة ومتشابكة وقاسية للغاية، وذلك منذ نعومة أظفارها حيث شهدت وفاة أمها، ومن ثم أختها رقية وتلتها أختها زينب ثم أختها أم كلثوم.

واحتملت حياة الفقر وكابدت، بل كانت مثال الفتاة الصابرة المرابطة المهاجرة. وحج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حجة الوداع فلما انتهت، مرض – صلى الله عليه وسلم –، وما إن سمعت فاطمة بذلك حتى فُزِعت لتوها لتطمئن عليه وهو عند أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – فلما رآها رحّب فقال: مرحباً يا بنيتي، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارّها فبكت بكاء شديداً، فلما رأى جزعها سارّها الثانية فضحكت. فقلت لها – أي عائشة – خصّك رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من بين نسائه بالسّرار، ثم أنت تبكين؟ فلما قام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – سألتها: ما قال لك رسول الله؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله سره.

قالت: فلما توفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قلت: عزمت عليك بمالي عليك من الحق لما حدثتني ما قال لك رسول الله.

فقالت: أما الآن فنعم. أما حين سارّني في المرة الأولى، فأخبرني أن جبريل كان يعارضه القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضه الآن مرتين وإني لا أرى الأجل إلا اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنا لك.

قالت فبكيت بكائي الذي رأيت، فلما رأى جزعي سارّني الثانية، فقال: يا فاطمة، أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة فضحكت[2].

واشتد الوجع على رسول الله واشتد حزن فاطمة فلما دفن – عليه السلام – قالت: يا أنس أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب»[3].

وبكت الزهراء أباها، وبكى المسلمون جميعاً نبيهم ورسولهم محمداً – صلى الله عليه وسلم – وتذكروا قول الله – عزّ وجلّ –:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[4].

ولم تمض على وفاة رسول الله حوالي ستة أشهر حتى مرضت وانتقلت إلى جوار ربها ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة وهي بنت سبع وعشرين سنة، لقد ضربت لنا الزهراء نموذجاً فريداً ومثلاً أعلى في حياتها.

ونستخلص من دراستنا لحياة السيدة فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – ما يأتي:

---

(١) رواه الترمذي (٥/٣٦١) وهو حديث حسن غريب من هذا الوجه.
(٢) رواه البخاري ٥/١٣٧، ومسلم ٢٤٥٠، والرواية لمسلم في كتاب فضائل الصحابة حديث ٤٤٨٧.
(٣) رواه البخاري ٥/١٣٧ في كتاب المغازي حديث ٤١٠٣.
(٤) سورة آل عمران من الآية ١٤٤.

أ – من المعارف والحقائق والمعلومات:

١ – فاطمة الزهراء أصغر بنات الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأحبهن إليه.

٢ – فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – سيدة نساء أمة محمد – صلى الله عليه وسلم –.

٣ – تزوجت علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وأنجبت منه سيدي شباب الجنة وهما: الحسن والحسين – رضي الله عنهما –.

٤ – فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – مثال الفتاة الصابرة المرابطة المهاجرة.

٥ – بشرها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالجنة وأنها سيدة نساء أهل الجنة.

٦ – توفيت بعد وفاة أبيها بستة شهور وهي بنت سبع وعشرين سنة.

ب – من القيم المستفادة:

١ – محبة السيدة فاطمة الزهراء – رضي الله عنها –.

٢ – حرص الرسول – صلى الله عليه وسلم – على زواج ابنته فاطمة ممن يرضى دينه وخلقه دون النظر إلى قيمة المهر.

٣ – الاقتداء بسيرة السيدة فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – بحبها لأبيها، وصبرها على الفقر والهجرة.

٤ – تقدير جهود السيدة فاطمة الزهراء – رضي الله عنها – والتأسي بأخلاقها.

ثانياً – السميراء بنت قيس (الصابرة المجاهدة):

السميراء بنت قيس، أسلمت فشمخت بإسلامها، وشمخ بها الإسلام فإذا هي نموذج فريد متحرك لما ينبغي أن تكون عليه المرأة المسلمة. وحين نفر المسلمون إلى أُحُد، سارعت السميراء تحرض ولديها، النعمان بن عبد عمرو، وسليم بن الحارث، للنفرة مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، ثم تمضي من خلف الركب النبوي، مع نفر من نساء المسلمين تستطلع أخبار القتال.

واحتدم القتال، والسميراء ورهطها يراقبون عن بعد مجرى المعركة، حتى إذا لاح لها فارس يقترب، نهضت إليه تستوقفه، وتسأله عن أخبار المعركة، فعرفها الفارس فنعى إليها ولديها النعمان وسليم، فما زادت أن قالت: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

وعادت إلى الرجل تقول: يا أخا الإسلام، ما عنهما سألتك، أخبرني ما فعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فقال الرجل: خيراً إن شاء الله هو بحمد الله على خير ما تحبين. قالت: أرنيه أنظر إليه، فأشار إليه، فقالت: وقد تهلل وجهها، ونسيت مصيبتها بولديها:

كل مصيبة بعدك جلل[1] يا رسول الله.

وما هي إلا سويعات، حتى جيء إليها بولديها الشهيدين: فقبلتهما، وحملتهما على ناقتها، ورجعت بهما إلى المدينة.

---

(١) جلل: أي بسيطة وهينة.

وفي الطريق قابلتها عائشة أم المؤمنين – رضي الله عنها – فقالت: ما وراءك يا سميراء؟ قالت: أما رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فهو بحمد الله بخير، وأما المسلمون فقد اتخذ الله منهم شهداء، وأما الكافرون فقرات قوله تعالى:

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ...﴾[1].

قالت عائشة – رضي الله عنها –: فمن هؤلاء الذين فوق الثالة يا سميراء؟ قالت: هما وادي، النعمان وسليم، قد شرفني الله باستشهادهما، وإني لأرجو الله أن يلحقني بهما في الجنة.

رحم الله السميراء بنت قيس وأسكنها الله فسيح جناته[2].

ونستخلص من حياة الصحابية الجليلة السميراء بنت قيس ما يأتي:

أ – من الحقائق والمعارف:

١ – تشجيع السميراء ابنيها على المشاركة في الجهاد في سبيل الله.

٢ – أعطى الإسلام المرأة حقوقاً كثيرة حتى المشاركة في القتال والمعارك.

٣ – صبر الصحابية السميراء على مصيبتها عند فقد ولديها والتزامها بالقول: (إنا لله وإنا إليه راجعون).

٤ – المرأة تحب الرسول – صلى الله عليه وسلم – أكثر من حب ولديها.

٥ – اطمئنان قلب المرأة المؤمنة عند سماعها عن سلامة الرسول – صلى الله عليه وسلم – واكتفت بقولها: (كل مصيبة بعدك جلل يارسول الله).

ب – من القيم المستفادة:

١ – حرص المرأة المسلمة على المشاركة في الجهاد وتقديم أبنائها فداء للإسلام.

٢ – التزام المرأة المسلمة بمبادئ الإسلام والتحلي بالصبر عند المصائب.

٣ – حب الرسول – صلى الله عليه وسلم – مقدّم على حب النفس والمال والولد.

٤ – التأسي بأخلاق وبطولات الصحابيات الجليلات أمثال السميراء بنت قيس.

٥ – استشعار حب الشهادة في سبيل الله.

---

(١) سورة الأحزاب من الآية ٢٥.

(٢) مواقف بطولية من صنع الإسلام/ زيادة أبو غنيمة.

التقويم

س١ – ضع علامة (✓) مقابل العبارة الصحيحة وعلامة (×) مقابل العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

١ – تزوج علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء وكان مهرها درعاً. ( )

٢ – توفيت السيدة فاطمة الزهراء قبل وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم –. ( )

٣ – استشهد ابنا السميراء بنت قيس في غزوة أحد. ( )

٤ – استقبلت السميراء خبر استشهاد ابنيها بالصراخ وشق الثياب. ( )

س٢ – اكتب باختصار قصة فاطمة الزهراء مع أبيها عند مرضه.

س٣ – (يا أنس كيف طابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله التراب؟).

- من قائل العبارة؟
- ما المناسبة التي قيلت فيها؟
- وعلام تدل؟

س٤ – لقد ضربت الصحابية الجليلة السميراء بنت قيس أروع الأمثلة في الصبر وتحمل المصائب. وضّح ذلك.

س٥ – استخرج ثلاث قيم من قصة فاطمة الزهراء، وأخرى من حياة السميراء بنت قيس – رضي الله عنهما –.

* * *

أهم المراجع

اسم الكتاب	اسم المؤلف	الطباعة
أحكام الزواج في ضوء الكتاب والسنة	د. عمر الأشقر	دار النفائس
حقوق المرأة في الإسلام	د. محمد عبدالسلام محمد	جامعة الكويت
العلاقات الأسرية في الإسلام	د. محمد عبدالسلام محمد	الفكر الإسلامي
الجامع في فقه النساء	الشيخ: كامل محمد عويضة	دار الكتب العلمية، بيروت
السمط الثمين مناقب أمهات المؤمنين	محب الدين الطبري	مطبعة الحلبي بحلب
الملخص الفقهي، الجزء الثاني	صالح آل الفوزان	دار ابن الجوزي
الأحوال الشخصية في التشريع الإسلامي	د. أحمد الغندور	دار الفلاح
سبل السلام شرح بلوغ المرام	الصنعاني	دار الجيل
فقه السنة	سيد سابق	دار الكتاب العربي
المحرمات من النساء	د. سبيل طلحون	مكتبة الملك فهد
أحكام الأسرة في الإسلام	د. محمد شلبي	دار النهضة
الفقه على المذاهب الأربعة	د. الجزيري	دار إحياء التراث العربي
حقوق المرأة في الزواج	الشيخ محمد الفروي	دار الاعتصام
تحفة العروس أو الزواج الإسلامي السعيد	محمود الإستانبولي	دار المعرفة
الروضة الندية شرح الدرر البهية	القنوجي البخاري	دار التراث، القاهرة
رياض الصالحين	النووي	دار الإرشاد
تفسير أيسر التفاسير	أبو بكر الجزائري	المكتبة العصرية
تفسير الطبري	ابن جرير الطبري	إحياء التراث
عقيدة المسلم	الشيخ محمد الغزالي	دار القلم
عقيدة المؤمن	الشيخ أبو بكر الجزائري	مكتبة الكليات الأزهرية
مع رسل الله وملائكته وكتبه واليوم الآخر	الشيخ حسن أيوب	مطبعة وزارة الأوقاف
البيان في أركان الإيمان	سجد مكي	دار البشائر بيروت
جامع الفقه الإسلامي	قرص مضغوط شركة خرف	
الطبقات الكبرى ج٣	لابن سعد	دار بيروت للطباعة والنشر
صور من سير الصحابة	عبدالحميد السحيباني	دار ابن خزيمة
سيرة ابن هشام ج٢	لابن هشام	بيروت المكتبة العلمية
موسوعة الحديث	قرص مضغوط الإصدار الثاني	شركة خرف التقنية

أودع بمكتبة الوزارة تحت رقم ٥٩١ بتاريخ ١٥/٧/٢٠٠٧م

القيم والسلوكيات المخالفة للسلوك الإسلامي وقيمه

التمهيد:

حرص الإسلام على دعم مقومات الأسرة وحفظ كيانها باعتبارها الوحدة الأساسية للمجتمع، وفي صلاحها قوة له، فالإسلام دين يهتم بالعلاقات الاجتماعية والمعاملة بين الناس والتعارف والإصلاح ليقوى المجتمع ويتماسك بناؤه.

وقد حظي الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع باهتمام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مما يجعل علاقات المجتمع المسلم قائمة على المودة والتعاطف والتعاون والتكافل والتضحية والإيثار.

ولأجل الحفاظ على هذه المقومات حرّم الإسلام الكثير من العادات السيئة الممثلة في القيم والسلوكيات المخالفة للسلوك الإسلامي النبيل، وذلك مثل: قطيعة الرحم، وعقوق الوالدين، والكبْر، وأكل حقوق الناس..

أولاً – قطيعة الرحم:

ومعنى قطيعة الرحم هو الإساءة إلى الرحم بعدم صلتها، وعدم إيصال ما أمكن من الخير لها ودفع ما أمكن من الشر عنها حسب الطاقة.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية آمرة بالصلة ناهية عن القطيعة، فلا واسطة بينهما، والصلة نوع من الإحسان، والقطيعة ضدها وهي ترك الإحسان.

وقاطع الرحم هو الذي لا يصل ولا يوصل، ولا يعطي غيره ولا يعطيه غيره، وأشد منه من يصله غيره، وهو يقاطعه، ويعطيه غيره وهو يمنعه.

وكما تقع المكافأة بالصلة بين الجانبين كذلك تقع المقاطعة من الجانبين، فمن بدأ فهو القاطع.

والرحم بفتح الراء وكسر الحاء تطلق على الأقارب، وهم كل من بينه وبين الآخر نسب سواء أكان يرثه أم لا، وسواء أكان ذا محرم أم لا، وقال القاضي عياض: الرحم التي تقطع وتوصل وتبر إنما هي معنى من المعاني ليست بجسم إنما هي قرابة ونسب تجمعه رحم امرأة والدة، ويتصل بعضه ببعض، فسمي ذلك الاتصال رحماً.

لا خلاف في أن صلة الرحم واجبة وقطيعتها معصية كبيرة، وتكون الصلة بالمال والزيارة وعيادة المريض وإجابة الدعوة، والتهنئة بما يسر والتعزية في المصائب، وسداد الدين أو المساعدة في سداده، وإغاثة الملهوف وتمريض المريض والكلمة الطيبة.

ففي فضل صلة الرحم وثوابها يقول الله – تعالى –:

﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾(١).

ويقول الله – تعالى –:

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾(٢).

ويقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من أحب أن يُبْسَط له في رزقه ويُنْسَأ له في أثره فليَصِلْ رَحِمَه»(٣).

وعن سلمان بن عامر – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: «الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم ثنتان: صدقة وصلة»(٤).

وفي جزاء قطيعة الرحم يقول الله – تعالى –:

﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(٥).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إنَّ الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم، فقالت: هذا مقام العائذ من القيطعة، قال نعم! أما تَرْضَيْنَ أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك،(٦) ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: اقرؤوا إن شئتم:

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾(٧).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم»(٨).

ثانياً – عقوق الوالدين:

يؤمن المسلم بحق الوالدين عليه، لا لكونهما سبب وجوده وتحملهما الكثير من الأعباء والتضحيات من أجل الأبناء، أو لكونهما قدما له من الجميل والمعروف ما وجب معه مكافأتهما بالمثل خاصة الأم التي حملت ووضعت وليدها وهناً وضعفاً وواجهت في أثناء ولادته مشقة وعسراً.

---

(١) سورة الرعد الآية ٢١.
(٢) سورة الإسراء من الآية ٢٦.
(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب حديث ٥٥٢٧.
(٤) رواه الترمذي في كتاب الزكاة حديث ٦٩٤.
(٥) سورة الرعد الآية ٢٥.
(٦) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب حديث ٤٦٣٤.
(٧) سورة محمد الآيتان ٢٢-٢٣.
(٨) رواه أحمد في باقي مسند المكثرين حديث ٩٨٨٢.